عمر الخيام

الحكيم الرياضي الفلكي النيسابوري

حياته وسيرته • عصره السياسي • عصره العلمي • علماء عصره
أدبه وفلسفته • مصادر فلسفته • نظراؤه • رباعياته ورسائله

تأليف

المحامي

احمد حامد الصراف

عضو مجمع اللغة العربية في دمشق • وعضو الفرهنگستان الايراني في طهران

ثمن ٧٥٠ فلساً

الطبعة الثالثة

مزيدة ومنقحة

منشورات مكتبة المثنى ببغداد

مطبعة المعارف ـ بغداد

١٩٦١

ساعدت وزارة المعارف على طبعه

شكر

اسجّل شكري لصديقي الاستاذ السيد قاسم محمد الرجب ، صاحب مكتبة المثنى ببغداد ، لاهتمامه بنشر هذا الكتاب .

ـ المؤلف ـ

OMAR KHAYYAM

The Philosopher, Astronomer of Naisabur
His Life, Works and Rubaiyats

By

AHMAD HAMID AS-SARRAF
Member, Arabic Academy of Damascus,
Member of the Iranian Academy, Teheran.

Third edition
Revised and Enlarged
Publications of the Muthanna Library, Baghdad

Al-Ma'arif Press, Baghdad
1961

كتب للمؤلف

سؤر سباع الطير

١ ـ المطبوعة :

الشبك (بغداد ١٩٥٤)

عمر الخيام : (طبع ثلاث مرات)

الكبشان يتينا طحان

الطبعة الاولى : بغداد ١٩٣١

الطبعة الثانية : بغداد ١٩٤٩

عرف الديك

الطبعة الثالثة : بغداد ١٩٦١

٢ ـ كتب معدّة للطبع :

بين بغداد وطوس (رحلة)

الدراويش

أدب الغلاة

الأوابد العراقية

رسالة فى الحلاج

الفيلسوف الدكتور رضا توفيق فى بغداد

مقارنة بين الأدب العربى والفارسى والتركى

أهازيج الخيام (مع الدكتور مصطفى جواد)

أناشيد من الشرق (مع الاستاذ الشاعر مير بصرى)

أخيلة الخيام (مع الاستاذ محمد الهاشمى)

عمر الخيام

الحكيم الرياضي الفلكي النيسابوري

حياته وسيرته • عصره السياسى • عصره العلمى • علماء عصره
أدبه وفلسفته • مصادر فلسفته • نظراؤه • رباعياته ورسائله

تأليف وترجمة

المحامى

أحمد حامد الصراف

عضو المجمع العلمى العربى فى دمشق • وعضو الفرهنكستان الايرانى فى طهران

الطبعة الثالثة

مطبعة المعارف ـ بغداد

١٩٦٠

ساعدت وزارة المعارف على طبعه

عمر الخيـــــــام

عمـر الخيـام



قبر الخيام في مقبرة امام زاده محروق في نيسابور

اذا قنعت نفسي بميسور بلغة	يحصلها بالكد كفي وساعدي
أمنت تصاريف الحوادث كلها	فكن يا زماني موعدي او مواعدي
ولي فوق هام النيّرين منازل	وفوق مناط الفرقدين مصاعدي
اليس قضى الافلاك من دورها بأن	يعيد الى نحس جميع المساعد
فيا نفس صبراً عن مقيلك انما	يخرّ ذراها بانقضاض القواعد
متى ما دنت دنياك كانت بعيدة	فوا عجبي من ذا القريب المباعد
اذا كان محصول الحياة منية	فسيان حالا كل ساع وقاعد

ـ عمر الخيام ـ[1]

---

(١) راجع رواية الشهرزوري والقفطي .

عمر الخيـام

المقدمة

الأدب الايراني • أقاصيص عن الخيام

في أواسط القرن الخامس الهجرى وفى مدينة نيسابور الحافلة بالعلم الآهلة بالعلماء ولد لرجل من اهلها يدعى ابراهيم ـ ما زال شخصه وبيئه وصنعته سرّاً فى بطن التاريخ السحيق ـ مولود شاءت له الارادة الازلية الحكيمة طالعا حسنا وحظا عظيما لينال اكبر نصيب من العلم وليكون اماما جليلا من أئمة المعرفة الشائعـة فى عصره فانحلت بجهوده العلميـة بعض المعضلات والغوامض والمجهولات من العلوم والفنون فى عصره فاشير اليه بالبنان وشخصت اليه الأبصار فرددت الافواه اسمه مقرونا بالتجلة والاكبار وشاع صيتـه شيوع النور فعرف بين الناس بالعلم الفـذ المتحلى من النسق الأعلى بالصفات ••• فكان هذا الكوكب الطالع فى سماء نيسابور مفخرة من مفاخر الشرق وعلما من اعلام الفضل وكان ذلكم « عمر الخيام » •

* * *

ولد عمر فى نيسابور ونشأ فى ربوعهـا وترعرع فى اوساطها ولما امتدت قامته وعلا به شبابه سطع ذكاؤه كما يلمع البرق الخاطف فالتهمت حافظته مـا وقعت عليه عيناه ووعَتْ ذاكرته ما سمعته اذناه فدرس عـلى فضلاء مدينته شتى المواضيع ومختلف القضايا فتمثل معانى ما درس وتفهم ما قرأ فصار الفارس المجلّى الذى لا يشق له غبار ••• ولجلالة قدره ، وعظيم شهرته ، وكبير صيته ، نعت بنعوت والقاب فخمة حتى لقد خوطب

بالدستور والامام والحكيم والفيلسوف وحجة الحق ، ومن ثم أصبح المبجل المحترم لدى الملوك والأمراء وصديقهم صداقة الند للند فكان السلطان ملكشاه السلجوقي في خراسان ينزله منزلة الندماء والخاقان شمس الملك ببخارا يعظمه غاية التعظيم ويجالسه معه على سريره .

* * *

كلف الامام حجة الحق عمر الخيام بالفلك والرياضيات والهندسة والفلسفة كلفا شديدا – وكان يطلق عليها باصطلاح ذلك العهد باجزاء علوم الحكمة – وقد نهل وغرف من المنهل العذب طوال عمره فكأنه الظمآن الذى لا يرتوى والنهمُ الذى لا يشبع ، فذكر أكثر من واحد من المؤرخين انه كان تلو أبى على ابن سينا فى أجزاء علوم الحكمة وبذلك صرح الامام أبو الحسن البيهقى فى كتابه طبقات الحكماء ، وشمس الدين محمد بن محمود الشهرزورى فى كتابه نزهة الارواح وروضة الافراح وجمال الدين يوسف القفطى فى كتابه أخبار الحكماء وكل من هؤلاء ثقة فى سرد حوادث المترجمين وحجة فى صحة النقل .

* * *

عنى الخيام بالطب فتتلمذ لمشاهير عصره من كبار الاطباء وقد مارسه فطبّب ولم يحترفه مهنة تدر عليه فقد ذكر الشهرزورى ان السلطان سنجر السلجوقى اصيب وهو صبى بالجدرى فعالجه الخيام . وعنى بالفلك فعمر الرصد للسلطان ملكشاه السلجوقى مع جماعة من أعيان المنجمين كأبى المظفر الاسفزارى وميمون بن النجيب الواسطى وغيرهم من الفلكيين الذين لم يتحفنا التاريخ بذكر أسمائهم وبقى الرصد دائرا الى ان مات السلطان سنة ٤٨٥هـ فبطل بعد موته ... وقد وضع الزيج الجلالى الذى رتبه لملكشاه السلجوقى وهو بيّنة بيضاء على انه كان منقطع القرين فى الرياضيات والهيئة ... وله مآثر وفضائل اخرى بوأته مكانة رفيعة بين لداته وأترابه

فمنها انه كان عالما بالفقه واللغة والتواريخ حتى علم القراآت وقد روى لنا البيهقى ما دار بينه وبين أبى الحسن بن الغزال امام القراء فى عصره من الحديث حول القراآت . ولفضائله الجمة وكمالاته التى تفرد بها جلّت منزلته بين العلماء وكثر توقيره عندهم ويكفى تدليلا على ذلك ان أبا القاسم الزمخشرى جار الله الامام الكبير فى اللغة والتفسير كان يسمى الخيام « بحكيم الدنيا وفيلسوفها » فقد دون فى رسالته « الزاجر للصغار عن معارضة الكبار » ما نصه :ـ « ولعهدى بحكيم الدنيا وفيلسوفها الشيخ الامام الخيامى وقد نظمني واياه المجلس الفريدى .... وقد احتدم الجدل بينهما حول عين المطبق والمصمم فى وصف السيف .... الى آخر القصة ، ومع ان الخيام عرّض بالزمخشرى فغمزه بتلاوة بيت لابى العلاء المعرى بقوله :ـ

نبئ من الغربان ليس بذى شرع يخبرنا ان الشعوب الى صدع

نجده ـ أى الزمخشرى ـ لا يرد عليه ويغضى عن ذلك توقيرا له واحتراما لمنزلته وبعد كل هذه الملاحاة يقول فى رسالته مستأنسا بما يقول:ـ ثم انه ـ أى الخيام ـ زاد فى توقيرى .

* * *

تخرج على الخيام جمهور من الفلاسفة والحكماء وتتلمذوا له وقد حفظ لنا المترجمون أسماء جماعة منهم فذكر البيهقى ان من تلامذته الفيلسوف محمدا الايلاقى ، والحكيم على بن محمد الحجازى القاينى ، والعلامة الشهيد عبدالله بن محمد الميانجى ، وغيرهم من الافذاذ ... ومن كان تلميذه ينعت بالفيلسوف والحكيم والعلامة فهو بلا ريب الرأس الاعلى بل فى الذروة من الكمال .

* * *

وجاء فى ترجمته أن له ضنة بالتصنيف والتعليم وكان المنتظر منه وهو دائرة معارف ومحيط ضليع ان يترك وراءه أسفارا جليلة ضخمة وتصانيف عظيمة فخمة تتضمن ما آمن وما شك فيه وما صدق وما وسوس به مشحونة بآرائه القيّمة وطافحة بشروحه الثمينة لكن أمزجة العلماء تختلف فى هذا الخصوص فمنهم من يقبل عليه ومنهم من يصدف عنه وقد لا يدل الاكثار من التصنيف على فضل المؤلف وربما قام النزر منه دليلا على الاحاطة التامة والشاعر المقل المجيد مقدم على الشاعر المكثر غير المجيد والخيام كتاب قائم بذاته يفيض فيبهر فيضه وقد حفظ لنا مترجموه أسماء رسائله وكتبه فى شتى المواضيع كرسالته فى براهين الجبر والمقابلة ورسالته فى شكل ما أشكل من مصادرات اقليدس ورسالة فى الطبيعيات واخرى فى الوجود واخرى فى الكون والتكليف ورسالة عجيبة فى الاحتيال لمعرفة مقدارى الذهب والفضة ورسالة فى لوازم الامكنة وقد بحث فيها عن اختلاف المواسم والفصول والاقاليم أما زيجه الجلالى المشهور المقدم ذكره فانه غرة فى جبين العلم ومفخرة من المفاخر •

* * *

ومن الافتئات والافتراء عليه انه وصم « بسوء الخلق وضيق العطن » وقد بان لنا مما رواه الذين عنوا بترجمته أنه كان حاد الطبع عصبى المزاج تعتريه الحدة وتغلب عليه الغلظة وتلكم صفات قد تكون ملازمة أحيانا للحكماء المفكرين والظاهر انه قد تعسر على معاصريه ان يطلعوا على سريرته فوصموه بسوء الخلق وضيق العطن جهلا وتوهما •• واذ نرى الخيام يوصى فى احدى رباعياته بالاقلال من مصاحبة الناس واتخاذ الاصدقاء نفهم انه كان يتجنب أن يندس فى غمار الدهماء وخصوصا انه رأى بام عينيه ما آلت اليه عاقبة تلميذه العلاّمة عبدالله بن محمد الميانجى الشهيد الذى اهرق دمه ظلما وتعسفا بتهم باطلة حيث قصده الوزير أبو القاسم

الدركزيني وعقد عليه محضرا ، وحمله الى بغداد مقيدا ، ثم صلب بعد القول الزور بهمذان في اليوم السابع من جمادى الآخر سنة ٥٢٥هـ .

* * *

اتهم الحكيم عمر الخيام (بالزندقة) كما اتهم قبله كثير من ذوي الفضل والافكار الحرة فقتلوا تقتيلا وهذه كانت سمة لكل حكيم عميق الغور واسع التفكير في الآفاق البعيدة وتهمة وصم بها كثيرون من النبهاء واذ كان كل ذي نعمة محسودا فان مواهب الخيام وفضائله وما اتصف به من صفات حجب بها أقرانه جعلته هدفا لحسد الحاسدين وتقولات الحاقدين وقد بلغه في حياته قدح أهل زمانه في دينه وشكهم في عقيدته ويروى الوزير يوسف القفطي هذا الواقع في كتابه أخبار الحكماء فنقرأ فيه قوله :ـ ولما قدح أهل زمانه في دينه وأظهروا ما أسره من مكنونه خشي على دمه وأمسك من عنان لسانه وقلمه وحج متاقاة لا تقية وأبدى أسرارا من السرار غير نقية ... ومن يقرأ رباعيات الخيام ويتأمل في جمال معانيها السامية يوقن ايقانا تاما بأنه كان موحدا يؤمن بالله « الواجب الوجود » الازلي السرمدي وانه لم يكن من الملاحدة التائهين في بيداء الضلال كما زعموا ... بيد ان الحكيم الجليل قد أوجعه هذا الغمز وأمضه ذلك اللمز فرد على الثرثارين من شانئيه ردا دل على جنان قوي واعتزاز بالنفس فقال : انا ان كنت سكران بخمرة المجوس فانا ذاك . وان كنت كافرا أو مجوسيا أو وثنيا فانا ذاك ، لكل طائفة ظن في ، أما أنا فملك نفسي أكون كما أريد .. والخلاصة أن حجة الحق قوي الايمان ، راسخ العقيدة ، كامل اليقين عرف رب الارباب كما عرفه الحكماء لا كما عرفه الدهماء .

* * *

لم يكن الحكيم عمر الخيام من أصحاب المذاهب الخاصة بالفلسفة فلم

يبتدع فى الحكمة اسلوبا خاصا استقل به وحده ولم يأت بمقالة جديدة تفرد بها رأيه بل درس الفلسفة اليونانية فقتلها درسا وهضم ما قرأ فهو فلكى رياضى أولا وحكيم استعرض النظريات الفلسفية ثانيا ومن ثم فهو من رادة القضايا فى الحكمة والادب والفقه ، غير انه يبدو للفاحص المتتبع بجلاء ووضوح أنه كان يعتنق مذهب « الجبر » ويدين به ويقول بقدم المادة والزمان ورأيه فى واجب الوجود يختلف عمن سواه فهو مؤمن بالله هو الخير المحض الذى لا يصدر منه الشر ، فان ساغ لنا أن نستدل على عقيدته برباعياته وان نحتج بها على ما نزعم به فان مضامينها صريحة لا ريب فيها . وبعد كل هذا وذاك فانه بلا شك سلك مسلك الفلاسفة اليونانيين فى الفلسفة الالهية .

* * *

كان الخيام مكيناً فى الادبين العربى والايرانى فقد قرض الشعر بلغة دينه ولغة قومه الا انه لم يحلق فى الجو الذى حلق فيه الشعراء وقد نهج منهجا خاصا فى نظم الشعر يختلف عن الآخرين فلم ينشىء القصائد الطوال فى الغزل والنسيب والمديح والرثاء والهجاء ولا غير ذلك من أغراض الشعراء فلم يتغزل بحسناء سلبته لبه ولم يمدح ملكا ولا أميرا لنيل وفر ومال ولم يذم شخصا لعداوة وضغينة ولم يتعرض لاحد من معاصريه لا بالخير ولا بالشر ولم يرد اسم أى أحد منهم فى شعره وقد انفرد بالتعبير عن مشاعره وأحاسيسه وحدها فكان من المبتلين بهواجسه ووساوسه ومخاوفه وقد عطرها بشذا حكمته وصبغها بأزهى ألوان معانيه وطرزها بأروع مضامينه وكان اذا جاش فى صدره وجال فى خاطره ما يجيش فى صدر الشاعر ويجول فى خاطره صب هذه النفثات وهى نتاج انفعالاته النفسية ـ فى قوالب جميلة يبرز منها أدبه الغض الريان عريانا كالشمس فيظهر فى مضانها اليقين والشك والالم والسرور

والنقد والسخرية مشفوعة بالجرأة مقرونة بالصراحة • فيتمثل بمجموعه احساسه المرهف أصدق تمثيل •

اختص الحكيم عمر الخيام بنظم الرباعي وعروضه « لا حول ولا قوة الا بالله » وهو في اصطلاح الادب الايراني « رباعي پرداز » وقد اشتهر بين الافرنجة برباعياته كما عرفه العرب بها وأول من تصدى الى تعريبها هو الشاعر الموهوب وديع البستاني ترجمها عن الانجليزية فجاءت بحلتها القشيبة حسناء تثير الوجد والشجا ، وقد نظم أكثر الشعراء الايرانيين « الرباعي » كابن يمين والسعدي وحافظ والجامي والنظامي والخاقاني والمولوي وغيرهم فلم يُدف أحدهم دفيف الخيام ولم يصل واحد الى العمق الذي غاص فيه الخيام اذ لم يتمكن أي شاعر ايراني ان يعبر عن هواجس الناس من شكوك وآلام ووساوس وأوهام كما فعل هو ، ولكن الخيام اضحل قريحة من هؤلاء الشعراء في أغراضهم واني على وثوق تام من أنه لو انه طلب اليه في حياته أن ينظم قصيدة ينحو بها نحوهم في الرثاء أو الغزل أو النسيب أو الهجو لكان نظمه دون نظمهم جميعا كما لو طلب الى الشعراء ممن سبقه أو خلفه أن ينظموا الرباعي بمعانٍ ومضامين رباعياته لكانوا جميعهم دونه بلا شك وبالجملة فانه لا يستطيع أن يضاهيهم وهم لا يستطيعون أن يضاهوه والسبب جليّ في ذلك فالخيام يفكر بعقله لا بعقل غيره ويقضي باحساسه لا باحساس غيره فغرضه من النظم غرض الحكيم الذي يعبر عن شعوره لتعريف « ذاتيته » وابانة ما في أحشائه من لهب أحمر ، فالصيحات التي نكاد نسمعها من رباعياته والشهقات والصرخات الهائلة الداوي اشطرها هي نتاج الانفعالات المتحصلة من تفكيره العميق في أسرار الطبيعة وعلة الخليقة وحركات الكون وكيفية هذا التكوين وما يتفرع من حياة وموت وبقاء وانطفاء •• فالذي يكتب بقلمه « جئنا مضطرين ولا ارادة لنا في المجيء وسنذهب

مكرهين ولا رأى لنا فى الذهاب ولم نعلم ما الغاية من مجيئنا وبقائنا وذهابنا فى هذه الدنيا وقد وقعنا فى هذه الحياة وقوع الطير فى الفخ مفؤودين من الدهر طائشين على الدوام تائهين فى هذه الدائرة التى لا سطح لها ولا باب. لا جئنا باختيارنا ولا ذهبنا بارادتنا ، ويا حبذا لو كان للراحة موطن ويا حبذا لو بلغنا آخر هذا الطريق الطويل ويا حبذا لو كان لنا أمل فى العودة الى الحياة بعد مئة الف عام كعودة العشب من قلب التراب ... فان مثله مثل الحائر المبهوت المدهوش المضطرب القلق الخائف من الفناء فهو اذا لا يهمه من شؤون الحياة ما يهم الشعراء ولا يبالى ان مات قديس تعبد الله أو هلك مجرم عصى الله ولا يهمه التصاون ولا التهاون .. ولم يكلف نفسه نشر الفضيلة ولم تدفعه نفسه الى حمل الناس على البر وتشويقهم الى صنع المعروف وفعل الخير وهديهم الى الطرق المستقيمة فهو مشغول مبتلى بنزعاته أنّ وناح وبكى وصاح وسخر وغنى لنفسه فرباعياته قائمة بذاتها تمثل شخصيته الوجودية وهى جد أصيلة لم تنهل من منهل سوى عقله وشعوره... فالخيام شاعر تكبره الخاصة وتسخر منه العامة يميل اليه الاذكياء ، وتنفر منه الحمقى ، يعجب منه الشجى ، ويصدف عنه الخلى ، يرغب فيه المهموم الفطن، ويزهد فيه العضروط المتغفل فليس هو بشاعر الدهماء بل هو شاعر الحكماء وحكيم الشعراء .

* * *

تزوج الخيام ــ وما زلنا نجهل شخص حليلته كما لا نعلم شيئا عن بيتها ووالديها ــ الا اننا عرفنا ان له ختنا يسمى الامام محمدا البغدادى ممن أدرك أواسط القرن السادس الهجرى وجرت بينه وبين رشيد الدين الوطواط مراسلات اخوانية فهو اذا أنجب بنتا تزوجها الامام المذكور ويحتمل انه أنجب ولدا كان خاملا فأهمل ذكره ونسى اسمه ، ويروي دولتشاه السمرقندى فى مؤلفه تذكرة الشعراء ان « ملك الكلام شاهفور

النيشابوری ممن يتصل بالحكيم عمر الخيام بوشيجة النسب ولعله كان من أحفاده ان كان قد رزق بولد والا فهو سبطه وقد يكون ملك الكلام المذكور من أبناء عمومته أو عماته أو خالاته وقد توفى هذا سنة ٦٠٦هـ فى تبريز .

ساح الخيام فى البلاد الاسلامية وطوف فى مدنها فسافر الى بلخ وفيها قابله تلميذه العروضى السمرقندى فتنبأ له بمرقده بعد وفاته والى يزد وقد جرت بينه وبين ملك يزد علاء الدولة فرامز بن على بن فرامز ملاحاة حول اعتراضات الحكيم أبى البركات على أبى على بن سينا والى اصبهان وقد ذكر الشهرزورى انه تأمل كتابا بأصبهان سبع مرات وحفظه وعاد الى نيسابور وأملاه فقوبل بنسخته الاصلية فلم يوجد بينهما تفاوت والى بخارى وقد نال من خاقانها المذكور آنفا أحسن تكريم والى بغداد ثم حج بيت الله الحرام ولا شك انه أفاد فى جميع رحلاته واستفاد وكان موضع الاحترام والاعجاب .

★ ★ ★

اشتهر الحكيم عمر الخيام بين الافرنجة والعرب برباعياته التى تشتمل على كثير من الجدل والوصف والسخرية والنقد والمزاح والمجون وعلى مسائل فلكيّة وخلقية وأدبية وفلسفية وقد نظمها فى أزمنة وأمكنة مختلفة وهى تمثل ذوقه وروحه وتفكيره تمثيلا خاصا ، وقد كتب فى كل حادثة اجتماعية كاملة لذلك نجد كل رباعية مستقلة بنفسها لا علاقة لها بما قبلها ولا بعدها ، وقد تتلون شخصيته فيتقمص فى كل رباعية حالة جديدة وذلك عند جولته فى مضمار الشك واليقين ، فمرة يبدو مؤمنا مطمئنا وتارة يبدو مرتابا مضطربا واخرى موسوسا معاندا فالرباعيات مظان فلسفته ومستودع آرائه .

★ ★ ★

وقد لهج الخيام بالخمرة وأثنى عليها وحث على تعاطيها وقد أكثر القول فيها الى حد الاغراق حتى ظن المتأخرون الذين عنوا برباعياته وشغفوا بمضامينها انه من دعاة مذهب « اللذة » فشبهه بعضهم بالفيلسوف اليونانى الشهير لوقرچيوس صاحب « مذهب اللذة » والذين وصموه بهذه التهمة الباطلة تعوزهم الحجة بلا ريب فليس فى يد أى مدع بهذه الدعوى وفى أى عصر من العصور وثيقة بسطر واحد تقوم دليلا على انه كان خليعاً سكيراً مدمنا للخمرة وقد دعا الخيام الى اللذة وحثهم على طلب السرور مدفوعا بعقيدة خاصة هى وليدة تفكيره وشعوره ومذهبه الفلسفى ، وقد أقام الحجة وأبان الدليل على ما اوصى به فالخيام كان يرى الدنيا جميلة ، والحياة لذيذة ولكنها موقتة وزائلة زوال الظل فكان يخاف الموت والانطفاء الابدى والعدم ولهذه العلة قال :

اشرب الخمرة الصافية مرتين كل يوم ، فان هذا العمر الذى هو عبارة عن يومين لا يعود اليك مرة اخرى ، انت تعلم ان الكون آئل الى الخراب فكن انت أيضا خراباً ليلا ونهارا ، حتى يمر عمرك فى عبادة نفسك أو فى التفكير فى الوجود والعدم اشرب المدام فان العمر الذى وراءه المنية يحسن ان ينقضى فى النوم أو السكر ... لهذه العلة لهج الخيام بالخمرة لانها الدواء الذى ينسيه آلام الانطفاء التام والعدم الابدى .

* * *

وصفوة القول أن الحكيم الدستور حجة الحق عمر الخيام كان من اعاظم علماء الفلك والرياضيات وكان حكيما مطلعا على دقائق الفلسفة اليونانية وكان طبيبا وشاعرا وأديبا فهو مفخرة من مفاخر ايران ونادرة من نوادر الدهر .

الأدب الايراني

كانت وقعة نهاوند عام ٢١ للهجرة الوقعة الحاسمة وبعدها دوت كلمة التوحيد فى الآذان والقلوب ومنذ ذلك التأريخ أخذ يتسع نفوذ اللغة العربية فيها فتغلغلت وهى ـ لغة الدين والدولة ـ وانتشرت فى المدن والقرى والدساكر وفى مدة قرنين شاعت وذاعت حتى شملت بلاد فارس برمتها ، فقرىء القرآن ، وتلى الحديث ، واقبل الايرانى المسلم على العربية وهى لغة شريعته يدرسها باتقان ليفهم معانى كتابه ومناحى ايمانه وشؤون دينه فصار للعربية يومئذ المحل الأعلى والقدر الاسمى فى ايران فشرع معظم الايرانيين فى تدوين مؤلفاتهم بالعربية حتى انه لم يمل أحدهم الى التصنيف بغيرها ، فألف ابن سينا الفيلسوف الطبيب القانون والنجاة والآلهيات والطبيعيات والاشارات بالعربية والف حجة الاسلام ابو حامد الغزالى كتابه الشهير احياء العلوم بالعربية وأبو القاسم الزمخشرى جار الله الفائق وأساس البلاغة والميدانى النيسابورى كتابه الامثال والراغب الاصفهانى كتابه المحاضرات وهناك جماعات كبيرة من الفحول الافاضل ألفوا كتبا فى التفسير والحديث واللغة والفقه والفلسفة والطب بالعربية ٠ والدافع الى اقبال المسلمين غير العرب على تعلم العربية واضح وجلى فان الايرانى والتركى والهندى والافغانى وغيرهم ممن اعتنقوا الاسلام اضطروا بحكم الايمان الى درس العربية ليقرأوا كتاب الله متعبدين يضاف الى ذلك ميل المسلمين اليها لحلاوتها ومرونتها وكثرة اتساعها فى شرح العلوم وتيسيرها وناهيك بجمالها المتمثل فى اعرابها وتعبيرها واعجازها واعجازها وايجازها ومترادفاتها وأمثالها لذلك أصبح تعلمها شرفا واتقانها فخرا لدى الاقوام المسلمة من غير العرب وفى مقدمة هؤلاء الاقوام الامة الايرانية التي

قدم علماؤها أفضل الخدمات الى العربية والشريعة الاسلامية .

* * *

بانت طلائع الشعر والشعراء في ايران بعد قرنين من الفتح الاسلامي وقد نقل لنا العوفي في كتابه لباب الالباب ودولتشاه السمرقندي في كتابه تذكرة الشعراء أسماء جماعة من الشعراء الذين نبغوا في أواخر القرن الثاني الهجري .

ويروى ان أول شاعر ايراني وقف بين يدي خليفة عربي فمدحه بقصيدة بلغة قومه هو الشاعر عباس المروى الذى مدح الخليفة عبدالله المأمون حينما قدم مرو عام ١٩٣ الهجري ، وقد ظهر كثير من الشعراء في عهد بني طاهر والصفاريين والسامانيين أمثال حنظلة ابن البادغيس وفيروز المشرقي وأبي سليك الجرجاني والشاهد البلخي وأبي شعيب صالح الهروي وأبي عبدالله محمد بن موسى الفرالادي أما الشاعر الذي يعد في مقدمة شعراء الايرانية فهو (أبو الشعراء) « جعفر بن محمد الرودكي أبو الحسن أو أبو عبدالله » وقد نشأ نديما لنصر بن أحمد الساماني وتعاطى الشعر في حداثته فبرز فيه وكان يتقن الضرب على آلات الطرب وعاصر الرودكي شعراء كانوا في عهده منهم الشيخ أبو العباس الفضل بن العباس والشيخ أبو زرعة المعمري الجرجاني وأبو اسحق ابراهيم بن محمد البخاري وأبو منصور محمد دقيقي الطوسي المتهم بالمجوسية ، وفي أواخر القرن الرابع الهجري نبغ (أبو القاسم الفردوسي) الذي اشتهر كأعظم شاعر في عهد الدولة الغزنوية ــ وفي عهد السلطان محمود الغزنوي ــ وعندئذ صارت اللغة الايرانية في أوج عزها فقد سلخ هذا النابغ ثلاثين عاما لجمع شتات اللغة والتاريخ الضائعين في ملحمته (الشاهنامه) المعروفة وقد عانى في سبيل وضع تلك الملحمة مشقات كثيرة وقد ألمع الى اتعابه فقال :

بسی‌رنج بردم درین سال‌سی • عجم زنده‌کردم بدین فارسی

وفی القرنين الرابع والخامس الهجريين صارت اللغة الايرانيـة من اللغات الجميلة الشعرية ، توفرت فيها عناصر الخير والجمال والقوة فأصبحت آدابها غنية رائعة بدقة تصويرها وصحة احساسها وبديع خيالها وفاتن رقتها وفي‌الاخص سلاستها وفي‌عهد الشعراء السعدى وحافظ والرومى والنظامى والخاقانى برزت اللغة الايرانيـة حاملة لواء أدب جديد فيه من الاوصـاف والالوان والالواح مما جمعه أدب حكمة وكمال وسحر وجمال ومن يطالع قصائد هؤلاء الموهوبين ير أن روح الشاعر نفذت فى الطبيعة فتفتحت أمام عينيه صفحاتها وتكشفت له عن أسرارها فغرف من ذلك المعين الذى لا ينضب بقدر ما لقريحته من قوة ولضميره من احساس وعقله من ادراك …

* * *

ومن الانصاف ان نقرر ومن الحق أن نقول انه ليس من الحقيقة فى شيء أن يزعم انه لم يكن للايرانيين شعر وأدب وشعراء وادباء قبل الفتح الاسلامى فالامة الايرانية فى الرعيل الاول من الامم التى نالت القسـط الكبير والنصيب الوافى من‌الحضارة فان فنها وصناعتها الناطقين بجمال آثارها شاهدا عدل على حضارتها وبديهى انه لا حضارة من غير فن والحضارة ربيبة الفن ومن الفن الموسيقى ومنه الشعر بلا ريب … والموسـيقى والشـعر صنوان لا يفترقان وحيثما وجدت الموسيقى وجد الشعر ووجد الايقـاع والتلحين ، والموسيقى والشعر منبعثان من الاحساس والاحساس يتفجر من الحب ومتى وجدت المرأة وجد الحب فوجد الشعر والموسيقى ولا يشك أى باحث فى أن الشعر الموجود الآن كان موجودا قبلا حتى عنـد الاقـوام البدائيـة …

* * *

ومن الواضح الجلي ان هناك علائق وروابط بين الادبين العربي والايراني الاسلاميين ومما اتفق عليه أن الادب الايراني اقتبس العروض من العرب فقد أخذ شعراء الايرانيين ينشؤن القصائد بالروي العربي الا انهم افتنوا فيه وزادوا عليه وأكثروا فيه واخترعوا « الدوبيت » وهو الرباعي ووزنه « لا حول ولا قوة الا بالله » كما قدمنا وأكثر الظن انه من بقايا الادب الايراني القديم قبل الفتح الاسلامي ، ومن رأى الدكتور الفيلسوف رضا توفيق التركي رحمه الله ان الدوبيت هو « الأپيگرام » اليوناني وقد أخذه الايرانيون من اليونانيين كما اقتبس العرب « الموشح » من أغاني الافرنج في الاندلس فمال الشعراء في أكثر الاقطار الى نظم الشعر على طريقة الموشح فانتقل هذا النمط الى الايرانيين الا انهم غيروا فيه فسموه (البند) و (الترجيع بند) ....

ومن المجحود ان يقال انه لم يكن للايرانيين عروض خاص لقصائدهم فان في شعر الاوائل مثلا في « شعر الرودكي » أوزانا ليست من أوزان الخليل والمتأمل فيها يقطع بأنها من بقايا رواسب العهد الساساني .

* * *

ومن القضايا التي لا جدال فيها أن الادب الايراني قد استدان من القاموس العربي طائفة عظيمة من المفردات العربية لان الفتح العربي كان أشبه شيء بالأتي القوي الذي جاء على اللغة الايرانية فطمسها وأغرقها بل كاد يقضي عليها ويقبرها في لحد مظلم فلم يبق منها الا مفردات بقيت في مضان ذاكرات الشيوخ في الضياع والدساكر ، فلما عاد الايراني يتكلم بلغته ويؤلف الكتب وينظم القصائد أعوزته الالفاظ وشعرت المعاني المكتظة بحرج موقفها فلم يصبح في وسعها أن تبرز الى عالم السمع لفقدان القوالب، فاضطر الايراني أن يمد يده الى العربية ليستقرض الفاظا تتسع لما يجول في

خاطره من المعانی فاستدان مبلغا عظیما من الالفاظ وما زال الایرانی مدینا للعربیة ، وما زال الادب الایرانی مدینا لا یستطیع التملص من هذا القرض الکبیر ••• ومن یتصفح دواوین الشعراء من عهد الرودکی حتی هذا الیوم یجد العربیة فائضة فی تلك الدواوین ویجد الشاعر والناثر الایرانیین کلما اعوزتهما لفظة غاصا فی بحر العربیة الطامی وغرفا ما شاءت لهما الحاجة ونعتقد انه لا حاجة لنا الی دلیل نحتج به علی ما نزعم فان دواوین الشعراء حجج ناصعة وأدلة قاطعة علی ذلك ففی بیت واحد من قصیدة لشاعر یقول فیها :

أمیر قافلدرا یك تغافلی باید   که بی نصیب نمانند قاطعان طریق

ستة الفاظ عربیة ولدت فی صحراء جزیرة العرب بین الاثل والغضا والعرار قد زفت زفاف العروس الی الغیاض والریاض المزهرة فی فارس فاحتضنها الایرانی وتبناها کأنها نبتت فی بلده ••• فالادب الایرانی الاسلامی تأثر بالاسلام وبالعبقریة السامیة الا انه بالنظر الی المزاج الآری ومواهب الایرانی وما ورثه من حضارة قدیمة طغت علیه الاقلیمیة بالاخیر فانجه الادب الایرانی اتجاها خاصا یختلف عن الاتجاه العربی فأخذ شکلا مستقلا لنفسه یلائم بیئته ملاءمة تامة فصار له اسلوب ونهج خاصان تمثلت فیهما الطبیعة والمزاج الآریان تمثلا فی کل حالة من حالات الشاعر کفرحه وحزنه وغضبه ورضاه وشتی أحاسیسه ••• وقد وجد الشاعر الایرانی فی لغته متسعا فسیحا لابانة تخیلاته اذ لیس فیها من قواعد النحو والصرف والبدیع والبیان ما فی العربیة فهی من هذه الناحیة حرة طلیقة لیس فی رجلیها هذه الخلاخل الثقیلة التی تعوقها عن المشی، فموقف الشاعر الایرانی یختلف عن موقف الشاعر العربی فالعربی خائف یتوجس خیفة عند الاملاء فعینه الیمنی تلاحظ النحو والاخری تراقب الصرف ویده تتردد خشیة التورط فی اللحن ، وحافظته تتحرس من حوشی اللفظ والرکك

والضعيف والدخيل فهو بين رقباء يعذلون ولا يرحمون وليس هذا كله فى الايرانية ولا فى التركية ولا فى الهندية (الاردو) فالشاعر الايرانى حر منطلق يغوص فى بحر المعانى ولا يخشى رقيبا ولا يخاف عاذلا فلا الاعراب يقعسه ولا الصرف يعوقه ... ولهذه العلة الرئيسة أصبح خيال الشاعر الايرانى قويا فصار فى مقدوره الافصاح عن مشاعره بلا عناء اذ كلما أعوزته لفظة لمعنى يجول فى خاطره استدانها من معجمات العرب ووضعهـا فى شعره وحلى بها جيد قصيده ، لا يرى فى ذلك غضاضة على شعره حتى لكأنها نشأت فى بلاده .

* * *

تبتدىء نقطة التحول فى استقلال الشعر الايرانى وظهور « شخصيته الوجودية » فى فجر القرن الرابع الهجرى وذلك عندما نظم الشاعر الايرانى العظيم أبو القاسم الفردوسى الشاهنامة ـ الملحمة الايرانية ـ وأخرجها الى عالم المعرفة وبعد هذا التأريخ طغت على الشعر الايرانى الروح « الاقليمية » فبدت ملامح المسحة الآرية تلوح عليه بصورة جلية مستمدا خصائصه من الحضارة القومية والعرق والبيئة والمزاج والفطرة والسليقة ، وقد جاء الفردوسى بالمعجز فى ملحمته فانه جمع شتات اللغة وتأريخ الملوك الايرانيين فى ثلاثين عاما عانى خلالها مشقات ومصاعب كثيرة فقدمها الى السلطان محمود الغزنوى فلم ينل ما كان يؤمل أن يناله من وفر ومال ، والشاهنامة حجة قائمة بذاتها على « الذوق الآرى » بل هى عنوان استقلاله ، وقد تعرض الفردوسى لجميع مناحى الحياة الاجتماعية فاستطاع عرض شؤونها بالواح وصور رائعة هى غاية فى البلاغة والاعجاز والايجاز وقد حاول جهد طاقته أن يتحاشى الالفاظ العربية فلم يتمكن التملص من سيطرتها والانفلات من سلطانها ... وفى عصر أبى القاسم الفردوسى وهو « عهد الدولة الغزنوية » كثر المعنيون بالشعر والادب فى ايران فحصلت

طائفة من الشعراء المجيدين الا أنهم لم يبلغوا الشأو الذى بلغ به الشعراء فى القرنين الخامس والسادس الهجريين حيث أصبحت اللغة الايرانية فى هذا القرن والقرون التى تليه من اللغات الشعرية الجميلة ، توافرت فيها عناصر الخير والجمال فصارت غنية رائعة بدقة تصويرها وصحة احساسها وبديع خيالها وفاتن رقتها وسلاستها وفى عهد النظامى الكنجوى صاحب (الرزم والبزم) وسعدى الشيرازى وحافظ الشيرازى والرومى برزت اللغة الايرانية حاملة لواء أدب ايرانى « محض » فيه من الخيال والحكمة ما جعله أدب حب وسحر وجمال .

يلاحظ المتأمل فى شعر شعراء القرن الخامس والسادس وما يليهما ان له بعض الخصائص والمميزات البارزة الماثلة للمطالع المدقق ، فمن هذه الخصائص براعة الشاعر الايرانى فى وصف الطبيعة وما حوته من مسرات ومباهج وبدايع وألواح وصور وألوان ، فقد وصف الشاعر الجمال العريان أمام عينيه وصفا يكاد أن يكون أعلى مما يسعه التصور والتخيل فيتوهم المتوهم أن يد الله المحسنة قد تكرمت على الطبيعة بالنطق فنطقت وأسمعت وعند ذلك يتخيل القارىء فيخال أنه يرى الكائنات تمر وتجر وراءها أسراب الجمال سربا يتلوه سرب ... وأحلى ما يعجب فى هذا الموقف ان ترى الشاعر لا يفتأ يسبح بجلائل آلاء الله ويثنى على روائع ما أبدعه الله باسلوب يدل على ايمان وثيق متمكن من ضميره ... ولست مغاليا ان زعمت ان هذا الادب الغض الريان المزهو بجمال سرباله كالواعظ المبشر الذى يحاول بوعظه محو الشكوك والوساوس من القلوب واحلال اليقين والايمان فى محله ... وجمال الطبيعة بلا شك هو الوحى الالهى المتجسد الحاوى لزينة الله ونعمة الابداع .. ومن ألواح جمال الطبيعة « الربيع » وقد صورته أقلام الشعراء تصويرا هو غاية فى الرقة والسلاسة ... وقد لا يوجد شاعر ايرانى الا وللربيع نصيب فى وصفه وتشبيه وكذلك

« الخريف » « خزان برك ريزان » فانه نال من الوصف ما فيه العجب ...

ومن المميزات البارزة بجلاء أمام عينى المطالع لدواوين الشعراء الايرانيين فى القرن السادس والقرون التى تليه روح التصوف فيها وقد لا يكاد يرى ديوان الا فيه هذه المسحة والتصوف الذى هدفه الايثار وانكار الذات يستهدف دائما ايجاد خلق صحيح فى الانسان ليروضه على أن يحيا بعيدا عن الموبقات والشطط والزيغ وان يصدف عن مادية هذا الوجود المائج بآفات المفاتن الزاخر بأشنع الكبائر لذلك نرى هذا الشعر لاقى هوى « فى الضمائر النقية » حيث قد ترفع عن الاثم وابتعد عن وصف الجوارح المثيرة للشهوة الحيوانية ومن هذه البيئة انبثق « الشعر الرمزى » وهو عبارة عن مجموعة معانٍ وأخيلة ونزعات روحية ينطق بها الوجد وتجرى فيه الصبابة باسلوب حسى طاهر .... بيد ان هذا النمط من النظم حمل راية عقيدة «وحدة الوجود» التى صارت رمز الشعر الرمزى وعنوانه الاوحد. وقد تعاطى نظم الشعر الرمزى الصوفى أعاظم شعراء ايران وكان حامل لوائه العاشق الربانى مولانا جلال الدين الرومى ذلك البحر الطامى الذى لا يسبر غوره ولا يعرف ساحله فقد نظم هذا السكران الهائم بالجمال الازلى شعرا له ذاتيته الخاصة .

وقد لا ينصفنى من لا يفقه الايرانية فيرمينى بالغلو لانى أزعم أن الرومى قدس الله سره الملقب « جلال الدين » أو « ملاى روم » كما يسميه الايرانيون ممن تكرمت عليه يد الله السخية فمنحته بصرا وبصيرة فذين جالا فى اغوار الكائنات واغوار الانسان وقد اذهلته « الحقيقة الالهية » واسكره جمالها الخالد فخرج الى عالم الوجود ينشد هزجا هو ليس بالشعر ولا بالسحر وانما هو شيء فوق مفهوم الشعر ومفعول السحر ....

ترك الرومى للعالم ذخيرة لا تفنى ومعينا لا ينضب ذلكم هو شعره.

الفضّ الريّان والذى أقل ما يقال فيه انه معجزة من معجزاته التى خصه الله به .

وقد يحار الذين لم ينالوا نعمة « الذوق » عند مطالعة دواوينه وخاصة « ديوان شمس » فيصمونه ويتهمونه بما لا يجوز حيث يأخذهم لأول وهلة العجب مما ورد فى شعره الذى يظهر فيه الزيغ والخروج عن المألوف والأدب غير ان المطلعين على « المجازات والاشارات واللمحات » من آداب الصوفية العارفين بلغتهم العالية يعرفون مقام الرومى ويعرفون الافق الذى يطير فيه ذلك الافق السامى البعيد الذى لا تصل اليه اجنحة الطائرين من الشعراء ... ان لهذا الانين فى القوافى والوجد والحنين فى الاوزان والخمرة والحبيب من المعانى العالية ما لا يفقهها اولئك الذين لا يعرفون غير المعنى « الظاهر » .

ولنسمع ما يقوله الرومى وهو يحدد موقفه من الشعر والشعراء يقول :

شعر چه باشد برمن	تاكه از آن لاف زنم
هست مرا فن دگر	غير فنون شعرا
شعر چوابر يست سيه	من پس ازآن پرده چومه
ابرسيه را تو مخوان	ماه منور بسما

فالرومى امة وحده ودنيا وحده طار فى افقه وحده ولم يدف مع اسراب الشعراء وقد حلق فى سماء « الحقيقة » متجها نحو «الكمال المطلق» فطالع فى الوجود « وحدة الوجود » وتجلّت له الفردانية المحضة فوقف وقفة المبهوت امام النور الازلى حيران سكران فهو بين فكر وسكر ، فنطق بالشعر بلسان لا تضاهيه السنة الشعراء .... وقد انطفأ هذا السراج العجيب الزيت فى أواخر القرن السابع فسكت الطائر المغرد فى سنة ٦٧٢

فى قونية ... واذ لم تشأ الرحمة الالهية ان تقطع هذه النعمة عن الناس طلع كوكب آخر فى سماء شيراز ذلكم هو حافظ الشيرازى الذى ترنّم فابهر وغنى فاسكر فكان الزعيم الثانى للشعر الرمزى وقد توفاه الله فى شيراز سنة ٧٩٤ هـ .

* * *

ومن جملة ما تميز به الأدب الايرانى المحافظة على « الانسجام » بين قوافى القصيدة المتضمنة « فكرة » الشاعر المجلوة باحساسه ، فان اكثر الشعراء قد التزموا المحافظة على وحدة الموضوع فلم يشذوا ولم ينحرفوا عن المحيط الذى ازدحمت فيه هواجسهم لذلك نرى ان كل قصيدة من القصائد لها « شخصية » خاصة تتسلسل فيها المعانى فتبرزها القافية الى الاسماع بحالة منسجمة ، فالتسلسل الفكرى من مميزات الشعر الايرانى خاصة فى « القصص والملاحم » الا ان هذه الوحدة قد تضيع فى « الشعر الرمزى » لأن فيه من التخيل العميق ما لا يستطيع القارىء ان يظفر بالفكرة التى يستهدفها الشاعر الا بعد جهد جهيد وبذل تأمل طويل .... لنضرب مثلا على ذلك : فان الشاعر « عرفى » يريد ان يقول ان جميع الكائنات بما فيها الحياة هباء وفناء وانها « لا شىء » كالعدم الا انه يتنقل بخياله باسلوب فيه التسلسل الفكرى بارز للعيان ، يقول الشاعر عرفى :ــ

عرفى دووجهان تمام نقشيست برآب
وآن آب چه آب بلكه آن آب سراب
اماچه سراب آن سرابى كه بخواب
وآن خواب چه خواب خواب مستان خراب

يا عرفى ! ان الدنيا والآخرة كنقش على ماء وأى ماء ذلك الماء بل انه السراب وأى سراب ذلك السراب انه السراب الذى تراه فى النوم وأى نوم ذلك النوم نوم سكران رائب

وقد سمعت أول مرة باسم «الخيام» من مربيتى «زن آغا» ، وكان ذلك فى احدى ليالى الشتاء من عام ١٩١٨ ، وكنا قد اعتدنا ان نسمر فى غرفتها ، لنشرب القهوة والشاى فصورت لى « الخيام » بالشاعر الماجن المستهتر بالخمر الضال المضل، وقد حدثتنى فقالت :ـ«عمر الخيام از أهل نيسابور بود منجم وشاعر وقلندر مشرب بود ولى بدبخت باده خوربود » أى كان عمر الخيام من أهل نيسابور ، وكان منجما وشاعرا قلندرى المشرب لكنه لسوء حظه كان مدمنا للخمر . وبعد هذا التعريف الوجيز قصت على هذه الاسطورة عنه فقالت :

صعد عمر الخيام ذات يوم على قمة جبل من جبال نيسابور ، وأخذ معه ابريق خمر ، وبينما كان يحسو الكؤوس هبت ريح شديدة حطمت ابريقه وكأسه ، فانسكبت الخمر على الارض فتألم الخيـام وهاجت ثائرتـه وغضب غضبا شديدا فخاطب الله بهذه الرباعية :ـ

ابريق مى مرا شـكسـتى ربى
برمن در عيش‌را ببسـتى ربى
برخاك فكندى مى كلكون مرا
خاكم بدهن مكر تومستى ربى

أى :ـ حطمت يا الهى ابريق خمرى وأوصدت باب الانس فى وجهى . سكبت على الارض خمرتى الوردية . فالتراب لفمى . فهل أنت سكران يا ربى ؟

ولما أتم انشاد الرباعية اسود وجهه على الفور حتى لكأنه فحمة سوداء ، ففزعت ابنته وقالت له يا أبتاه قد اسود وجهك . وناولته مرآة فلما نظر الى وجهه فى المرآة وألفاه أسود فاحما بكى بكاءا شديدا ، وندم على ما فرط فى جنب الله ، وعلم ان الله قد غضب عليه وعاقبه بهـذا العقـاب الشـديد ، فاستغفر الله هفوة اللسان فى هذه الرباعية :

ناكرده كنه درجهان كيست بكو
وانكس كه كنه‌نكرده‌جون زيست‌بكو
من بدكنم وتوبد مكافات دهى
بس فرق ميان من وتوجيست بكو

أى : يا الهى قل من الذى لم يرتكب اثما ، وكيف عاش انسان لم يرتكب اثما انا أعمل سوءا وأنت تجازينى بسوء مثله ، اذا فما الفرق بينى وبينك ؟

ولما انتهى من انشاد هذه الرباعية عاد وجهه كما كان أولا .

* * *

وحدثتنى باسطورة اخرى مختصة بعمر الخيام قالت : ذكروا أنه كان استاذا فى مدرسة نيسابور الكبيرة ، وكانت المدرسة مسترمة ، فكان سرب من الحمير يحمل الآجر الى المدرسة ، وكان الخيام يتمشى مع جماعة من التلاميذ ويحاورهم فى العلوم ، فشاهد حمارا وقف عند باب المدرسة وقد حرن ، ولم يشأ الدخول اليها برغم السياط التى انزلتها يد الفاعل عليه ، فجاء الخيام وقرب من الحمار وقرأ فى اذنه هذه الرباعية :

اى‌رفته وبازآمده بل هم كشته
نامت زميان نامهاكم كشته
ناخن همه جمع آمده وسم كشته
ريش ازبس كون‌درآمده‌ودم‌كشته

أى : يا أيها الذى ذهب وعاد مرة اخرى وصار (كالانعام) بل هم أضل سبيلا قد ضاع اسمك بين الاسماء اجتمعت أظافيرك وصارت حوافر وظهرت لحيتك فى عجزك ذيلا . فدخل الحمار المدرسة ، فسأله التلاميذ عن سر ذاك ، فأجابهم ان الروح التى حلت فى جسد هذا الحمار كانت روح استاذ عاش

وتعلم فيها ، لذلك لم يرغب الحمار فى الدخول اليها، غير انه لما شاهد أصحابه الاقدمين رضى بالدخول •

ولما فرغت «بى‌بى‌جان» من ذكر الحكاية ضحك بعضنا واستغرب بعض، وشتمه الآخرون وتعوذوا بالله ، من نفثات الشيطان على اللسان ، فقالت بالفارسية :

باور نكنيد اين افسانه است • ودرنهايت خداى عزوجل باوايمان بخشيد زيرا بيش‌از مرك‌اين‌رباعى راكفته‌بود •

أى : لا تصدقوا فانها خرافة ، وان الله عزوجل وهب له الايمان قبل وفاته ، لانه قال هذه الرباعية :

يا رب خردم درخور اسباب تونيست
وانديشهٔ من بجز مناجات تونيست
من ذات ترا بواجبى كى دانم
دانندهٔ ذات تو بجز ذات تونيست

أى : يا الهى ان عقلى قاصر عن معرفة أسبابك ، وما تفكيرى الا مناجاة لك ، أنا لا اعرف ذاتك حق المعرفة ولا يعلم ذاتك غير ذاتك •

* * *

وقد بعث في هذا الحديث الطلي رغبة الاطلاع على أدب الخيام وسيرته فعثرت على نسخة من رباعياته ، وطلبت الى مربيتى أن تدرسنى رباعياته ، فرفضت طلبى زاعمة ان فى شعره مالا يتفق مع الشرع ، فألححت عليها الحاحا شديدا فلبت طلبى • ومن ذلك الوقت أخذت أدرس سيرة الخيام وأدبه •

الوثائق التاريخية

التى وردت فيها أخبار عمر الخيــام وحوادثه

- ١ -

الزمخشــري

ان من أقدم الوثائق التاريخية التى تضمنت أخبار عمر الخيام الرسالة الموسومة (بالزاجر للصغار عن معارضة الكبار) لابى القاسم الزمخشرى التى ألفها قبل سنة ٥١٦هـ وقد جاء فيها ما نصه :

« ولعهدى بحكيم الدنيا وفيلسوفها الشيخ الامام الخيامى ، وقد نظمنى واياه المجلس الفريدى[١] فسـألنى عن عـين المطبق والمصمـم فى وصف السيف ، فقلت انها مكسورة ، وفسرت المطبق بانه الذى يصيب طبق المفصل، والمصمم بالذى يصيب صميمه ، وقلت : ومنه قول الخاصة صممت عزلـه (كذا والظاهر عزيمة) فلان ، وصمم فلان ، عزيمة من غلط العامة ، وآنسته بقوله (يطبق فى أفعاله ويصمم) فقال أنا كنت أعرف ان العين فيها مفتوحة . وتكلم في ذلك بكلام ، فلما كان بعد ذلك بأيام قعد ينشد فى المجلس الفريدى عينية أبى العلا :

نبى من الغربان ليس على شرع　　　يخبرنا ان الشـعوب الى صدع

فقال (أصدقه فى مرته وقد امترت) فلحنته فلج وادعى ان المرت الكذب ، فقلت لعله مذكور فى الكتاب الذى ذكر المطبـق والمصمم بفتـح

---

(١) نسـبة الى فريد العصر أبى مضـر محمود بن جرير الضبى الاديب شيخ الزمخشرى المتوفى سنة (٥٠٧)هـ

العين ، فصمت مسقوطا فى يده ، ثم زاد فى توقيرى ، وقال غير مرة لفريد العصر ما أنس لا أنس سهم الجواب الذى رميت به عن قوس فلان ، وكان يجلس الينا ، ويتسمع الاوراد التى تدرس بين يدى ، وكان يقول لاصحابى: الا اخبركم عن بصيرة وخبرة ان مثل هذا الترتيب والتحقيق لا يوجد فى جميع المعمورة الا فى هذه الرقعة خاصة فاعلموا •

- ٢ -

العروضي السمرقندي

وقد ذكره العروضى السمرقندى أحمد بن عمر بن على النظامى فى كتابه (جهار مقاله) وكان تلميذا للخيام فى المقالة الثالثة التى أفردها لاخبار الفلكيين بفقرتين نثبت ترجمتها فقال :ـ

الفقرة الاولى ـ فى سنة ٥٠٦ الهجرية فيمدينة بلخ وفى حارة الرقيق كان الامام عمر الخيام والامام مظفر الاسفزازى نازلين دار امارة (أمير بو سعد جره) وقد حظيت حينذاك بلقائهما هناك، وفى أثناء الحديث سمعت حجة الحق ـ يقصد عمر الخيام ـ يقول :ـ انى اذا مت فان قبرى سيكون فى مكان يهب عيه نسيم الربيع وينتثر عليه الزهر والورد • فرأيت ان هذا القول ممتنع الوقوع لانى كنت أعلم أن عمر الخيام لا يتكلم عبثا • وجزافا ولما جئت نيسابور سنة ٥٣٠ الهجرية بلغنى ان التراب قد أخفى ذلك العظيم منذ أربع سنوات وترك العالم السفلى يتيما • ولما كان له على حق التعليم ذهبت الى زيارة قبره فى يوم الجمعة واستصحبت معى رجلا ليدلنى عليه ، فأخذنى الى مقبرة (الحيرة) ولما دخلنا التفت الى اليسار، فوجدت قبره بجانب جدارحديث وقد تدلت عليه أشجار الكمثرى والخوخ وتساقط عليه الورد حتى أخفاه ، فتذكرت قوله لى فى بلخ فبكيت لانى لم أجد فى هذا العالم نظيرا له • انى

رأيت حجة الحق الحكيم عمر الخيام ، لكنى لم أجده معتقدا بالنجوم على انى لم أر من الاعاظم من كان يعتقد بأحكام النجوم •

الفقرة الثانية ـ فى سنة ٥٠٨ الهجرية فى مدينة (مرو) أرسل السلطان الى وزيره الاكبر صدرالدين محمد بن مظفر رحمه الله شخصا له ليخبر الامام عمرالخيام ليختار وقتا غير ممكن المطر نذهب فيه الى الصيد ، وكان الامام عمر الخيام أحد مصاحبى الوزير وكان يتردد اليه فأرسل الوزير من جاءه بالخيام وأخبره بما جرى ، فانتخب الخيام يومين وذهب الى السلطان وأركبه للصيد فى ساعة ميمونة فلما قطع مرحلة تكاثفت السحب فى السماء وهبت الريح شديدة وتساقط البرد • فضحكت الحاشية وأراد السلطان العودة ، فقال له الامام عمر الخيام :ـ ليطمئن قلب السلطان فسوف تنقشع الغيوم فى هذه الساعة ولا يقع المطر مدة خمسة أيام • وقد صح ما قاله الخيام فلم يقع المطر خلال الخمسة الايام • ومع ان فن النجوم صنعة معروفة فلا يجب ان يعتد به وليس للمنجم أن يعتمد عليه ويجب أن يحيل الحكم الذى يصدره القضاء والقدر •

- ٣ -

البيهقي

هو الشيخ الامام ظهيرالدين أبوالحسن ابن الامام أبى القاسم البيهقى المتوفى فى حدود ٥٦٥ الهجرية فقد ذكر فى كتابه (حكماء الاسلام) ما نصه :ـ

الدستور الفيلسوف حجة الحق عمر بن ابراهيم الخيام •

كان نيسابورى الميلاد والآباء والاجداد وكان تلو أبى على فى اجزاء علوم الحكمة الا انه كان سيء الخلق ضيق العطن وقد تأمل كتابا باصفهان

سبع مرات وحفظه وعاد الى نيسابور واملاه • فقوبل بنسخة الاصل فلم يوجد بينهما كثير تفاوت •

وطالعه الجوزاء والشمس وعطارد على درجة الطالع فى ح من الجوزاء وعطارد صميمى والمشترى من التثليث ناظر اليهما • وله ضنة بالتصنيف والتعليم ولم أر تصنيفا الا مختصرا فى الطبيعيات ورسالة فى الوجود ورسالة فى الكون والتكليف وكان عالما باللغة والفقه والتواريخ وقيل دخل الامام عمر يوما على شهاب الاسلام الوزير وهو عبدالرزاق بن الفقيه الاجل أبى القاسم عبدالله بن على ابن أخ نظام الملك وكان عنده امام القراء أبو الحسن الغزال وكانا يتكلمان فى اختلاف القراء فى آية ـ فقال شهاب الاسلام ـ على الخبير سقطنا فسئل الامام عمر عن ذلك فذكر وجوه اختلاف القراء • وعلل كل واحد وذكر الشواذ وعللها وفضل وجها واحدا على سائر الوجوه • فقال :ـ امام القراء أبو الحسن الغزال كثر الله فى العلماء مثلك • اجعلنى من ادمة اهلك وارض عنى فانى ما ضننت أن واحدا من القراء فى الدنيا يحفظ ذلك ويعرفه فضلا عن واحد من الحكماء

وأما أجزاء الحكمة من الرياضيات والمعقولات فكان ابن بجدتها دخل عليه يوما حجة الاسلام محمد الغزالى رضى الله عنه وسأله عن تعيين جزء من أجزاء الفلك القطبية دون غيرها مع ان الفلك متشابه الاجزاء وانا قد ذكرت ذلك فى كتابى عرائس النفائس من تصنيفى • فأطال الامام عمر الكلام وابتدأ من ان الحركة من مقولة (كذا) وظن بالخوض فى محل النزاع وكان من دأب ذلك الشيخ المطاع حتى قام قائم الظهيرة واذن المؤذن فقال الامام الغزالى (رضى) :ـ جاء الحق وزهق الباطل وقام

ودخل الامام عمر يوما على السلطان الاعظم سنجر وهو صبى وقد أصابه الجدرى فخرج من عنده فقال له الوزير مجير الدولة :ـ كيف رأيته

وبأى شيء عالجته فقال له الامام عمر :ـ الصبى مخوف ففهم ذلك خـادم حبشى ورفع ذلك الى السلطان فلما برأ السلطان أضمر بسبب ذلك بغض الامام عمر وكان لا يحبه وكان السلطان ملكشاه ينزله منزله الندماء والخاقان شمس الملوك ببخارى يعظمه غاية التعظيم ويجلس الامام عمر معـه عـلى سريره •

وحكى الامام عمر يوما لوالدى قال : انى كنت يوما بين يدى السلطان ملكشاه ، فدخل عليه صبى من أولاد الامراء ، وادى خدمة مرضية فتعجبت من حسن خدمته على صغر سنه فقال لى السلطـان : لا تتعجب فـان فرخ الدجاجة اذا تفقأت بيضته يلتقط الحب بلا تعليم ولكنه لا يهتـدى الى بيتـه سبيلا وفرخ الحمامة لا يلتقط الحب الا بتعليم الزق مع ذلك يصير حمامـا هاديا يطير من مكة الى بغداد فتعجبت من كلام السلطان فقلت : كل كبـير ملهم •

وقد دخلت على الامام فى خدمـة والدى رحمـه الله فى سـنة سـبع وخمسمائة فسألنى عن بيت فى الحماسة وهو :ـ

ولا يرعون أكناف الهوينا   اذا حلوا ولا أرض الهدون

فقلت : الهوينا تصغير لا تكبير له كالثريا والحميا والشاعر يشير الى عز هؤلاء ومنعتهم يعنى لا يسفون اذا حلوا مكانا الى التقصير ولا الى الامر الحقير بل يقصدون الاشد فالاشد من معالى الامور ثم سألنى عن أنواع الخطوط القوسية فقلت : أنواع الخطوط القوسية أربعة منها محيط دائرة ومنها قوس نصف دائرة ومنها قوس أقل من نصف دائرة ومنها قوس أعظم من نصف دائرة فقال لوالدى شنشنة اعرفها من اخزم •

وحكى لى ختنه الامام محمد البغدادى انه كان يتخلل بخلال من ذهب وكان يتأمل الالهيات من الشفاء فلما وصل الى فصل الواحد والكثير وضع

الخلال بين الورقتين وقال : ادع الازكياء حتى أوصى فوصى فقام وصلى • ولم يأكل ولم يشرب فلما صلى العشاء الاخيرة سجد وكان يقول فى سجوده: اللهم تعلم انى عرفتك على مبلغ امكانى فاغفر لى فان معرفتى اياك وسيلتى اليك ومات •

- ٤ -

الـــرازي

وجاء ذكره فى كتاب مرصاد العباد لمؤلفه الشيخ نجم الدين أبى بكر الرازى سنة ٦٢٠هـ ما ترجمته ـ وما الحكمة فى جعل هذه الروح العلوية النورانية فى قالب سفلى مظلم متخذ فى التراب ؟ ثم ما السبب فى التفريق بين الروح والجسد وقطع العلاقة من بينهما ؟ لم تتلاشى هذه الصورة وهذا الشكل ؟ وما السبب فى نشر جسد الانسان فى المحشر مرة اخرى ؟

أجل ان الذى خرج من زمرة (كالانعام بل هم اضل سبيلا) ووصل الى المرتبة الانسانية وخلص من قوله (ويعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) وسلك بذوق وشوق عظيمين الطريق الحسن ـ علم ان ثمر النصر والقدم هو الايمان والعرفان •

ان الفيلسوف الدهرى الطبيعى محروم هذين المقامين حتى ان أحد الفضلاء وهو المشهور بحكمته وكياسته (عمر الخيام) قد تاه فى بيداء الضلال بقوله :ـ

در دائـــرهٔ کامـــدن ورفتن مـــاســـت
آنرانه بدایـــت نه‌نهـــایت بیداســـت
کس‌می نزند دمی درین عالم راست
کاین آمدن از کجا ورفتن بکجاست

ان الدائرة التى فيها نجىء ونذهب ليست بذات بداية ونهاية لا أحد يستطيع أن يقول من أين هذا المجىء والى أين هذا الذهاب •

دارنده جو تركيب طبائع آراست
از بهرجه أو فكندش اندركم وكاست
كرز آنكه بد آمد صور عيب كراست
ورنيك آمد خرابى از بهرجه خواست

لما ركب الخالق الطبائع لماذا جعلها بين النقص والزيادة؟ فاذا جاءت رديئة فالعيب عليه • واذا جاءت جيدة فلماذا يخربها ؟

- ٥ -

الشهرزورى

ويلى هؤلاء الشهرزورى شمس الدين محمد بن محمود فقد ذكر عمر الخيام فى كتابه (نزهة الارواح وروضة الافراح) الذى ألفه بين سنة ٥٨٦-٦١١هـ فقال :- عمر الخيام نيشابورى الآثار والميلاد كان تلو أبى على ابن سينا فى اجزاء الحكمة الا انه كان سىء الخلق ضيق العطن • تأمل كتابا بأصبهان سبع مرات وحفظه ، وعاد الى نيسابور فأملاه فقوبل بنسخته الاصلية فلم يوجد بينهما تفاوت وله ضنة بالتصنيف والتعليم وله مختصر فى الطبيعيات ورسالة فى الوجود ورسالة فى الكون والتكليف وكان عالما بالفقه واللغة والتواريخ •

ودخل الامام عمر يوما على شهاب الاسلام الوزير عبدالرزاق وكان عنده امام القراء أبو الحسن الغزال وكانا يتكلمان فى اختلاف القراء فى آية فقال الوزير : على الخبير سقطنا فسئل الامام عمر عن ذلك فذكر وجوه اختلاف القراء وعلل كلام كل واحد منهما وذكر الشواذ وعللها وفضل وجها واحدا فقال الغزال :

(كثر الله فى العلماء مثلك اجعلنى من بعض أهلك وارض عنى فانى ما ظننت أحدا من القراء فى الدنيا يحفظ ذلك ويعرفه فضلا عن واحد من الحكماء) وأما أجزاء الحكمة من الرياضيات والمعقولات فكان ابن جدتها

ودخل حجة الاسلام الغزالى عليه وسأله عن تعيين جزء من أجزاء الفلك القطبية دون غيرها مع كونه متشابه الاجزاء فطول الخيامى الكلام وابتدأ من الحركة من مقولة كذا وضن بالخوض فى محل النزاع وكان من دأب ذلك الشيخ المطاع حتى اذن الظهر فقال الغزالى : جاء الحق وزهق الباطل وكان السلطان ملكشاه ينزله منزلة الندماء والخاقان شمس الملوك ببخارا يعظمه غاية التعظيم ويجلس الامام معه على سريره •

ودخل على السلطان سنجر وهو صبى قد أصابه جدرى فلما خرج سأله الوزير كيف داويته وبأى شيء عالجته ؟ فقال عمر : الصبى مخوف عليه فرفع خادم حبشى ذلك الى السلطان فلما شفى السلطان أبغضه •

وحكى انه كان يتخلل بخلال من ذهب وكان يتأمل الآلهيات من الشفاء فلما وصل الى فصل الواحد والكثير وضع الخلال بين الورقتين وقام وصلى وأوصى ولم يأكل ولم يشرب • ولما صلى العشاء سجد وكان يقول في سجوده (اللهم تعلم انى عرفتك على مبلغ امكانى فاغفر لى وان معرفتى أيام وسيلتى اليك) ومات رحمه الله تعالى • وله أشعار حسنة بالفارسية والعربية منها :

تدين لى الدنيا بل السبعة العلى ... بل الأفق الاعلى اذا جاش خاطرى
أصوم عن الفحشاء جهرا وخفية ... عفافا وافطارى بتقديس فاطرى
وكم عصبة زلت عن الحق فاهتدت ... بطرق الهدى من فيضى المتقاطر
فان صراطى المستقيم بصائر ... نصبن على وادى العمى كالقناطر

وقال أيضا :

اذا قنعت نفسي بميسور بلغة ... يحصلها بالكد كفي وساعدي

أمنت تصاريف الحوادث كلها ... فكن يا زمانى موعدى أو مواعدى
ولى فوق هام النيرين منازل ... وفوق مناط الفرقدين مصاعدى
أليس قضى الافلاك من دورها بأن ... يعيد الى نحس جميع المساعد
فيا نفس صبرا عن مقيلك انما ... يخر ذراها بانقضاض القواعد
متى ما دنت دنياك كانت بعيدة ... فوا عجبى من ذا القريب المباعد
اذا كان محصول الحياة منية ... فسيان حالا كل ساع وقاعد

وقال :

زجيت دهرا طويلا فى التماس اخ ... يرعى ودادى اذا ذو خلة خانا
فكم الفت وكم آخيت غير اخ ... وكم تبدلت بالاخوان اخوانا
وقلت للنفس لما عز مطلبها ... بالله لا تألفى ماعشت انسانا

- ٦ -

ابن الاثير

وقد جاء ذكره فى كتاب كامل التواريخ لابن الاثير المتوفى سنة « ٦٣٠ »هـ فقد ذكر فى ذيل حوادث سنة ٤٦٧ هـ ما نصه :

« وفيها جميع نظام الملك والسلطان ملكشاه جماعة من أعيان المنجمين وجعلوا النيروز أول نقطة من الحمل وكان النيروز قبل ذلك عند حلول الشمس نصف الحوت وصار ما فعله السلطان مبدأ التقاويم . وفيها أيضا عمل الرصد للسلطان ملكشاه واجتمع جماعة من أعيان المنجمين فى عمله منهم عمر بن ابراهيم الخيامى وأبى المظفر الاسفزارى وميمون بن النجيب الواسطى وغيرهم وخرج عليه من الاموال شىء عظيم وبقى الرصد دائرا الى أن مات السلطان سنة ٤٨٥هـ فبطل بعد موته .

- ٧ -

القفطى

وممن ترجمه من مؤرخى العرب الوزير جمال الدين أبو الحسن على ابن القاضى الاشرف يوسف القفطى المتوفى سنة ٦٤٦هـ قال :

« امام خراسان وعلامة الزمان يعلم علم يونان ويحث على طلب الواحد الديان بتطهير الحركات البدنية لتنزيه النفس الانسانية ويأمر بالتزام السياسة المدنية حسب القواعد اليونانية وقد وقف متأخرو الصوفية على شيء من ظواهر شعره فنقلوها الى طريقتهم وتحاضروا بها فى مجالسهم وخلواتهم وبواطنها حياة للشريعة لواسع ومجامع للاغلال جوامع ولما قدح أهل زمانه فى دينه وأظهروا ما أسره من مكنونه خشى على دمه وأمسك من عنان لسانه وقلمه وحج متاقاة لا تقية وأبدى أسرارا من السرارغير نقية • ولما حصل ببغداد سعى اليه أهل طريقته فى العلم القديم فسد دونهم الباب سد النادم لا سد النديم ورجع من حجه الى بلده يروح الى محل العبادة ويغدو ويكتم أسراره ولابد أن تبدو وكان عديم القرين فى علم النجوم والحكمة وبه يضرب المثل فى هذه الانواع لو رزق العصمة وله شعر طائر تظهر خفياته على خوافيه وتكدر عرق قصده كدر خافيه فمنه :

اذا رضيت نفسى بميسور بلغة ... يحصلها بالكد كفى وساعدى
امنت تصاريف الحوادث كلها ... فكن يا زمانى موعدى أو مواعدى
أليس قضى الافلاك فى دور هابان ... تعيد الى نحس جميع الساعد
فيا نفس صبرا عن مقيلك انما ... تخر ذراها بانقضاض القواعد

- ٨ -

القــزويني

وممن ذكره من المؤرخين عماد الدين زكريا بن محمود القزوينى صاحب كتاب عجائب المخلوقات وكتاب آثار البلاد وأخبــار العبــاد الذى ألفه سنة ٦٧٤هـ قال فى كلامه على نيشابور :

« ينسب اليها من الحكماء عمر الخيام كان حكيما عارفا بجميع أنواع الحكمة سيما النوع الرياضى وكان فى عهد السلطان ملكشاه السلجوقى • سلم اليه مالا كثيرا ليشترى به آلات الرصد ويتخذ رصد الكواكب فمات السلطان وما تم ذلك • وحكى انه نزل ببعض الربط فوجد أهلها شاكين من كثرة الطير ووقوع ذرقها وتنجس ثيابهم بها فاتخذ تمثــال الطــير من الطين ونصبه على شرفة من شرافات الموضع فانقطع الطير عنها • وحكى أن بعض الفقهاء كان يمشى اليه كل يوم قبل طلوع الشمس ويقرأ عليه درسا من الحكمة فاذا حضر عند الناس ذكره بالسوء فأمر عمر باحضار جمع من الطبالين والبوقيين وخبأهم فى داره فلما جاء الفقيه عــلى عادتــه لقراءة الدرس أمرهم بدق الطبول والنفخ فى البوقات فجاءه الناس من كل صوب فقال عمر : يا أهل نيشابور هذا عالمكم يأتينى كل يوم فى هذا الوقت ويأخذ منى العلم ويذكرنى عندكم بما تعلمون فان كنت أنا كما يقول فلأى شيء يأخذ علمى والا فلأى شيء يذكر الاستاذ بسوء » ؟

- ٩ -

رشــيد الدين

وقد جاء ذكر الخيام فى كتاب جامع التواريخ لمؤلفه رشيدالدين بن فضل الله المقتول سنة ٧١٨ الهجرية فى حوادث المغول قال ما نصه :ــ ان

أسباب العداوة التى كانت بين سيدنا حسن الصباح وعمر الخيام ونظام الملك انهم كانوا فى مدرسة واحدة ، على صفاء واخاء وصداقة عظيمة ، حتى شرب كل واحد منهم من دم الآخر وتعاهدوا على أن من ينال منهم درجة كبيرة ورتبة عالية يجب عليه مساعدة رفيقه وبموجب ما ذكر فى تأريخ سلجوق نال نظام الملك منصب الوزارة ، فذهب اليه عمر الخيام وذكره بالعهود والمواثيق فى أيام الصبا ، فتذكر نظام الملك الحقوق القديمة، وقال له « لك ولاية نيشابور ونواحيها » وكان عمر رجلا كبيرا وحكيما فاضلا عاقلا فقال : ليس لى رغبة فى الولاية ، ونهى العوام والامر عليهم ، فاعطنى راتبا شهريا أو سنويا بحسب الوظيفة ، فخصص له نظام الملك عشرة آلاف دينار فى السنة من دخل نيسابور المحروسة من دون نقص ولا انقطاع ... وكذلك سيدنا حسن الصباح ذهب من الرى الى نظام الملك ليحظى بخدمته وقال له : الكريم اذا وعد وفى . فقال له نظام الملك: اختر احدى الولايتين الرى أو أصفهان ، وكان سيدنا ذا همة عالية ، فلم يقنع بذلك ولم يرض به ، اذ كان يتوقع ان يشاركه بالوزارة ، فقال له نظام الملك : كن ملازما لحضرة السلطان مدة .

ولما علم نظام الملك بأن حسنا الصباح طالب لمنصب الوزارة وان هدفه جاهها ورتبتها كان يتحذر منه محترزا ، وبعد بضع سنوات استوحش السلطان من نظام الملك ورفع الحساب من عهدته .

- ١٠ -

حمد الله المستوفي القزويني

وممن ذكره المؤرخ حمد الله المستوفى القزوينى فى كتابه الذى أتمه فى سنة ٧٣٠هـ قال ما ترجمه : فى تأريخه المسمى تأريخ كزيدة

« عمر الخيام بن ابراهيم كان متضلعا من أكثر العلوم ولا سيما علم النجوم وبرز فيه على من كان فى عصره وكان من ندماء السلطان ملكشاه السلجوقى . له رسائل جيدة وشعر بديع ومن شعره هذه الرباعية :

هر ذره كه بر روى زمينى بوده است
خورشيد رخى زهره جبينى بوده است
كرد از رخ آستين باآزرم فشـــان
كان هم رخ خوب نازنينى بوده است

اى : ان كل ذرة على وجه الارض هى وجه زهراء الجبين يا هـذا انفض التراب من اردانك بأدب لان ذلك أيضا وجه جميلة فتانة .

- ١١ -

ميرخند

قال صاحب كتاب « روضة الصفا » الشيخ مير خند وهو من علماء القرن الثامن للهجرة المتوفى سنة ٩٠٣هـ :ـ

« قال الاستاذ نظام الملك أفاض عليه شآبيب الغفران :ـ كان الشيخ الموفق النيسابورى روح الله روحه من كبار علماء خراسان ، وكان محترما يتبرك به ، وقد تجاوز من العمر الخامسة والثمانين وكان مشتهرا عنـه أن من يتعلم عنده من التلاميذ القرآن والحديث ينالون الرتب العالية فعلى ذلك أرسلنى أبى اليه مع الفقيه عبدالصمد للتعلم ، فذهبنا من طوس الى نيسابور للتشرف بباب مجلسه العظيم والتعلم منه فشرعت فى الاستفادة والتخرج عليه ، وكانت له عناية بى وقد أحببته واحترمته كثيرا وبقيت عنده أربع سنين واتفق أن رأيت عند مقدمى اليه تلميذين ذكيين أحدهما عمر الخيام والآخر المخذول حسن بن الصباح ، وكان على جانب عظيم من

الذكاء ، وبعد قليل ارتبطنا بروابط الصداقة الخالصة ، فكانا يأتيان عندى بعد الدرس فنتدارسه ونتذاكره ، وكان عمر من نيسابور وحسن صباح واسم أبيه على من الرى ، وكان أبوه رجلا سيء المذهب خبيث العقيدة ، يقيم فى الرى ، وكان اذ ذاك أبو مسلم المروزى واليا على الرى وهو معروف بحسن العقيدة والاخلاق الفاضلة وكان حسن يعادى عادات أهل السنة ، ويظهر مفاسدهم ، ولكنه كان يدعى اذا حضر عند ابى مسلم انه برىء من بعض تلك الآراء ، ويحلف الايمان على ذلك . ولما كان الامام الموفق النيسابورى امام أهل السنة والجماعة فى نيسابور جاءه الملعون (حسن) وشرع فى الدرس عليه ، دافعا بطريقة الزهد لشبهة الرفض ، التى اتهم بها ، واختار العزلة ، وكان تارة تروى عنه كلمات تدل على الالحاد والاعتزال وتارة يتهم بالكفر والمروق والزندقة . وكان ينتسب الى العرب ويدعى انه من حمير من آل صباح . وان والده من الكوفة اتى الى قم ، ومنها الى الرى، وكان أهل خراسان ــ ولا سيما أهل طوس يكذبونه فى ذلك ويقولون ان أباه هو أحد القرويين من سواد خراسان . قال نظام الملك ــ فقال لنا حسن يوما كلنا تلاميذ للامام الموفق النيسابورى وسننال الرفعة والحظوة ، فمن يكن منا مظهرا لهذا الفيض ولابد أن يكونه أحد منا فماذا سيعمل لاخويه ؟ فقلنا له: ليكن الامر على ما تريد. فقال: يلزمنا أن نتعاهد على أن كل من يصيب ذلك منا يشارك اخويه الآخرين ، ولا يكتفى بمنفعة نفسه ، فقلنا نعم نحن على ذلك . وثبتنا على عهدنا فمضت السنون على هذه الحادثة ، وسافرت من خراسان الى ما وراء جيحون والى غزنة وكابل ، وبقيت مدة فى غزنة ثم فى كابل ولما عدت خولنى السلطان الب أرسلان مرتبة خطيرة فجاءنى عمر الخيام وقضيت ما تعاهدنا عليه من حسن الوفاء والقيام بالمراسم له واكرمته واعززته وقلت له بعد ذلك : يلزم أن يكون مثلك من أهل الكمال ملازما لمجلس السلطان وقلت له : سأذكر فضلك للسلطان وأذكر حالك وعلمك

فأجعل لك مكانة فى نفسه حتى تكون مثلى فقال لى الحكيم الخيام : ان عرقك الشريف ونفسك الكريمة وطينتك الطيبة وهمتك العالية التى أظهرت بها هذه المطاليب دعتنى اليك والا فان رجلا ضعيفا مثلى لا يكون مظهرا لتواضع وزير المشرق والمغرب ولا ريب فى ان هذه التلطفات صادرة عن صدق لا عن تكلف وهى قليلة بالنظر الى مكانك وعلو شأنك لكن أياديك متكاثرة علي ولو قضيت عمرى بشكرك لما وفيت حق هذه المكرمة التى تفضلت بها علي وانى أتمنى أن أكون أبدا فى موضع العبودية لدى مقامك وان ما امرت به لى يجب أن لا تكون عاقبته منى الكفران والجحود ، والآن انزوى ملازما لباب دولتك ومشتغلا بنشر العلم والفوائد ، والدعاء لك بالعمر الطويل ، قال نظام الملك . وأصر الخيام على هذا الكلام لانى أعلم انه كان يتكلم بما فى ضميره بلا تكلف ، فامرت أن تجرى عليه كل عام ١٢٠٠ دينار من ارتفاع نيسابور ، ينفقها على معاشه ، ولكنه رجع بعد ذلك الى مواطنه وأتم تعلمه الفنون خصوصا من الهيئة ، ووصل فى هذا الفن الى درجة رفيعة جدا . وفى عهد ملكنا العظيم ملك شاه جاء الخيام الى مرو وأخذ فى تدريس علم المحكمة ، وكان مظهر عناية السلطان وبلغ مقاما كان فيه من كبار العلماء والحكماء » .

- ١٢ -

زوكوفسكي

وقد ورد ذكر الخيام فى التاريخ الالفى الذى عثر عليه المستشرق « روكوفسكى » وهو مختصر « نزهة الارواح » للشهرزورى وقد ذكر له رباعية استدل بها على قوله بالتناسخ وهى :ـ

أى رفته وباز آمده (بل هم) كشته
نامت زميان نامهاكم كشته

ناخن همــه جمع آمده وســم كشته

ريش از بس كون در آمده دم كشته

أى :ــ يا من ذهب وعاد وصار « بل هم كالانعام أو أضل سبيلا » لقد ضاع اسمك بين الاسماء واجتمعت أظافيرك وصارت حوافر وظهرت لحيتك فى عجزك ذيلا .

- ١٣ -

خاقاني الشيرواني

وقد ورد اسم الخيام فى أشعار خاقانى الشيروانى الذى توفى سنة ٥٩٥هـ قال :ــ

زان عقل بد وكفته كه اى عمر عثمان

هــم عمر خيامى وهم عمر خطــاب

- ١٤ -

خســرو الابرقوهي

وذكره خسرو الابرقوهى مؤلف «فردوس التواريخ» سنة ٨٠٨هـ وقد نقل ما ذكره حمد الله المستوفى مؤلف « تأريخ كزيدة » عينا ونصا

- ١٥ -

لطفعلي آذر

وذكره لطفعلى آذر صاحب كتاب « آتشكده » فنقل فى مؤلفه ما ذكره « ميرخنده » فى روضة الصفا عن اجتماع الخيام وابن الصباح ونظام الملك فى مدرسة الامام الموفق النيسابورى وتعاهدهم على ما ذكرناه .

- ١٦ -

كاتب چلبي

وذكره أيضا كاتب جلبى فى كتابه « كشف الظنون » المطبوع فى ستة مجلدات سنة ١٨٣٥م فقد جاء فى المجلد الثانى ص ٥٨٤ ما نصه :ـ قال الفاضل عمر بن ابراهيم الخيامى أن أحد المعانى التعليمية من الرياضيات هو الجبر والمقابلة وفيه ما يحتاج الى أصناف من المقدمات معتاصة جدا معتذر حلها • وجاء فى المجلد الثالث ص ٥٧٠ ما نصه :ـ الزيج الملكشاهى لعمر الخيام ذكره عبدالواحد فى شرح «سى فصل» ثلاثون فصلا وجاء فى المجلد السادس ص ٢٧٣ ما نصه :ـ مهجة التوحيد لعلاء الدولة ملك الرى كان معاصرا للخيام •

- ١٧ -

الخونساري

وقد ترجمه الخونسارى فى مؤلفه « روضات الجنات » وقد نقلها بالحرف من البيهقى صاحب « صوان الحكمة » وزاد عليها قوله : ومن المنسوب الى الخيام بالفارسى وهو صريح فى الجبرية والاشعرية قوله :ـ

مى خوردن من تزد خدا سهل بود ـ كرمى نخورم علم خدا جهل بود

وقد رد عليه مولانا الخواجه نصير الدين الطوسى بقوله :

علم أزلى علت عصيان كردن　　تزد عقلا زغايت جهل بود

حياته وسيرته وحوادثه[١]

مولـده

اختلف كل الذين بحثوا عن سيرة الخيام وأدبه فى تاريخ مولده ، ولم نعثر عليه فى كتب التراجم ولا فى المؤلفات التى تعرضت له وقد ذكرنا انه ولد فى أواسط القرن الخامس للهجرة .

وكما اختلف فى تأريخ ميلاده فكذلك اختلف فى تأريـخ وفاتـه ، فمؤلف « جهار مقالة » وهى من أقدم الوثائق وأصحها لان مدونها تلميذ الخيام وهو أحمد بن عمر ابن على النظامى العروضى السمرقندى يقول انه قد زار قبره فى سنة ٥٣٠هـ ، وقد قيل له ان استاذه قد توفى منذ أربـع سنوات ، فعلى هذا يجب أن يكون قد توفى سنة ٥٢٦ الهجرية .

اسمه ولقبه وكنيته

اسمه عمر واسم والده ابراهيم ، وقد سماه شمس الدين سامى بعمر الخيام بن محمد وسماه واضع حواشى المقالات الاربع بعمر بن ابراهيم . وقد صرح البيهقى وابن الاثير والقفطى والشهرزورى بأن والده يسمى ابراهيم فيكون ما ذكره شمس الدين سامى خطأ فى ذكر اسم أبيه .

قال واضع حواشى المقالات الاربع وتسميه العرب بالخيامى والفرس بالخيام وهو اختلاف ناشىء من تباين اللغتين . ولقبه غياث الدين وكنيته أبو

---

(١) مستخلصة من الوثائق التأريخية .

الفتح . وكلمة الخيام تدل على انها لقب له أو لعائلته ، على أنه قد فسر هذا اللقب فى رباعيات له قال :

خيـام تنت بخيمـۀ مـاند راسـت
جان سلطانيكه منزلش دار بقاسـت
فـراش أزل زبهـر ديـكر مـنزل
نه‌خيمه بيفكند جو سلطان برخواست

يا خيام ان جسدك يماثل الخيمة حقا ، والروح التى منزلها دار البقاء تشبه السلطان فاذا ارتحل السلطان أفلا تقوض الخيمة ؟

خيام كه خيمه هاى حكمت ميدوخت
در كـورۀ غـم فتاد وناكاه بسوخت
مقراظ اجـل طنـاب عمرش ببريد
دلال أمـل برايكـانش بفـروخـت

وقع الخيام الذى كان يخيط خيم الحكمة فى كور الغم فجأة واحترق، وقد قرض مقراض الاجل طنب عمره ، وباعه دلال الامل رخيصا .

نسبه وعائلته

لم نعثر على نسب الخيام ولم نعلم من أى الطبقـات كانت عائلتـه . ويا ليتنا عثرنا على نسبه وعرفنا أبويه معرفة تامة ، لان ذلك يسهل علينـا الوصول الى معرفة السر فى تكييف خلقه وسجيته ، اذ لا ينكر ما لقانون الوراثة من الاثر والفعل . والظاهر من لفظـة (الخيـامى) ان والده كان يحترف بصنع الخيام أو بيعها وسواء أكانت عائلته تحترف بصنع الخيام أم ببيع المجوهرات وسواء أكان بيته بيتا وسطا أم بيت امراء فالخيام قائم بنفسه ، فهو ابن عقله قد أنبأ عنه علمه وحكمته وأدبه بأنه من النابغين .

وطنـــه

المشهور انه ولد فى نيسابور ، وفيها تلقى علومه ، غـير ان صـاحب التاريخ الالفى « أحمد بن نصر الله التتوى » يزعـم بأن فى المـؤرخين من يقول : انه ولد فى قرية « شمشاد » التابعة لمدينة بلخ ، ومنهم من يقول انه ولد فى قرية (بسنك) من توابـع اسـتراباد ، غـــير ان البيهقى والقفطى والشهرزورى والقزوينى يصرحون فى مؤلفاتهم بأنه ولد فى نيسابور وهذا هو الصحيح .

ونيسابور مدينة فارسية فتحها المسلمون فى أيام عثمان ـ رضى الله عنه ـ وامارة عبدالله بن كريز فى سنة ٣١ صلحا ، وبنى بها جامعا ، وفى رواية اخرى انها فتحت فى أيام عمر الفاروق على يد الاحنف بن قيس ، وانما انتقضت فى أيام عثمان فارسل بن عبدالله بن عامر ففتحها ثانية ، وقد وصفها ياقوت الحموى صاحب معجم البلدان بأنها مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة ، وهى معدن الفضلاء ومعدن العلماء ، وقال : لم أر فيما تطوفت من البلاد مدينة كانت مثلها ، وأكثر شرب أهل نيسابور من قنى تجرى تحت الارض ينزل اليها فى سراديب مهيأة لذلك ، فيوجد الماء تحت الارض ، وليس بصادق الحلاوة ، وعهدى بها كثيرة الفواكه والخيرات وبها ريباس ليس فى الدنيا مثله ، تكون الواحدة منه منا وأكثر وقد وزنوا واحـــدة فكانت خمسة أرطال بالعراقى وهى بيضاء ناصعة البياض كأنها الطلع .

وكانت نيسابور حافلة بأهل العلم والادب وقد خرج منها عدد غير يسير من أئمة العلم ومنهم الفلاسفة والاطباء والفلكيون والفقهاء .

والغريب أن الشـعراء قـد أكثروا من ذم نيسـابور كأبى الحسـن الاسترابادى الذى يقول :

لا قدس الله نيســابور من بلد   سوق النفاق بمغناها على سـاق

يموت فيها الفتى جوعا وبرهم والفضل ماشئت من خير وأرزاق
والخيرفي معدن الغرثى وان برقت أنواره في المغاني غير براق

وكقول المرادي :

لا تنزلن بنيسابور مغتربا الا وحبلك موصول بسلطان
أولا فلا أدب يجدي ولا حسب يغني ولا حرمة ترعى لانسان

وممن شكا ليله فيها معن بن زائدة الشيباني :

تمطى بنيسابور ليلي وربما يرى بجنوب الرى وهو قصير
ليالي اذ كل الاحبة حاضر وما كحضور من تحب سرور
فأصبحت أما من أحب فنازح وأما الالى اقليهم فحضور

وفي نيسابور تلقى عمر الخيام علومه ، وفيها ولد ومات ، وقد سعدت بزيارة قبره مع عصبة من المستشرقين من فضلاء الفرنجة في شهر تشرين الاول من عام ١٩٣٤ ، في انعقاد المؤتمر الالفي للشاعر العظيم أبي القاسم الفردوسي ، وقبره في ربض من أرباض نيسابور في جنة غناء ضمت قبر (امام زاده محروق) وجثمانه الطاهر .

أسفاره

قام عمر الخيام برحلتين الاولى في فارس ، والثانية الى بلاد العرب هي التي أدى فيها فريضة الحج ومكث في ايابه ببغداد مدة من الزمن لا نعلم مقدارها .

أما الرحلة الاولى فيظهر انها لم تتعد السفر الى الرى وبلخ وبخارى وفي بلخ زاره تلميذه العروضي السمرقندي في سنة ٥٠٦هـ في دار امارة « أمير بو سعد جرة » ؟؟

وذكر الشهرزوري أن الخاقان شمس الملك ببخارى كان يعظمه فيجلس الخيام معه على سريره فبذلك يكون قد زار بخارى .

وأما رحلته الى بلاد العرب وسببها فقد ذكرها القفطى فقال :ـ « ولما قدح أهل زمانه فى دينه ، وأظهروا ما أسره من مكنونه ، خشى على دمه وأمسك من عنان لسانه وقلمه ، وحج متاقاة لا تقية .. » . فالظاهر من هذه العبارة ان الخيام رغب فى الحج ، وشد الرحال الى بيت الله ، تسكينا للخواطر والنفوس التى حنقت وثارت عليه متهمة اياه بالزندقة .

ثم قال « ولما حصل ببغداد سعى اليه أهل طريقته فى العلم القديم ، فسد دونهم الباب سد النادم لا سد النديم ... » .

ولم يذكر لنا القفطى المدة التى أقامها ببغداد ، ولا شك أنه قد استفاد من بقائه فى بغداد فائدة عظيمة ، اذ كانت مقر الخلفاء من بنى العباس ، وكعبة العلم يقصدها الشعراء والحكماء والرواة ، وكانت آهلة بالمدارس ، حافلة بالمعاهد الدينية والعلمية والادبية ، كثيرة خزائن الكتب وناهيك بما كان من الشأن لمجالس المناظرة والجدل ، فى الحكمة والفقه ، والكلام والعلوم الشائعة . وبالجملة كانت الحياة العلمية والادبية غضة زاهية نضرة. وقد أشار الى بغداد فى رباعياته فقال :ـ

جون ميكذرد عمر جه شيرين وجه تلخ
بيمانه چو بر شود جه بغداد جه بلخ
مى نوش كه بعد ازمن وتو ماه بسى
از سلخ به غره آيد از غره بسلخ

سيان عندى حلو العمر ومره ما دام الى انقضاء واذا امتلأت الكأس أى (مت) فسيان عندى أمت فى بغداد أم فى بلخ . أحس يا صاح كؤوس الحميا ، فان القمر سينتقل من بعدى وبعدك من السلخ الى الغرة ومن الغرة الى السلخ كثيرا .

شـــهرته

صرحت التراجم التي دونها المؤرخون بأن عمر الخيام كان متمتعـــا بشهرة واسعة فى عصره ، وقد نال هذا الصيت العظيم بفضل ما كان له من علم وأدب وحكمة وقد لقب فى حياته بالقاب نخمة جليلة ، فكان تلميذه العروضى السمرقندى يسميه « حجة الحق » وقد دون البيهقى ترجمتـه فسماه « الامام والدستور والفيلسوف وحجة الحق » ، وبالغ الامام القاضى أبو نصر محمد بن عبدالرحيم النسوى فى الثناء عليه فسماه « سيد الحكماء » ولما سأله عن حكمة الله تعالى فى خلقه العالم وتكليفه الناس العبادات صدر الرسالة بأبيات فى مدح الخيام :ـ

ان كنت ترعين يا ريح الصبا ذممى ... فاقرى السلام على العلامة الخيمى
بوسى لديه تراب الارض خاضعة ... خضوع من يجتدى جدوى من الحكم
فهو الحكيم الذى تسقى سـحائبه ... مـاء الحيـاة رفـات الاعظم الرمم
عن حكمة الكون والتكليف يأت بها ... تغنى براهينه عن أن يقـــال لم

وقد لقب الخيام فى عصره « بالفيلسوف » نفهم ذلك من رباعية له وقد تنصل فيها من هذه الكلمة فقال :ـ

دشمن بغلط كفت كه من فلسفيم
ايزد داند كه آنجـه او كفت نيم
ليكن جو در اين غم آشيان آمده ام
آخر كم از آنكه من بدانم كه كيم؟

أخطأ العدو بقوله انى فلسفى ، وقد علم الله أنى لست كما قال ولكن اذ وجدت نفسى فى دار الغم « فلا أقل من أن اعرف من أنا »

مزاجـــه

ان الذى ظهر لنا مما حكاه المؤرخون الذين عنوا بترجمة الخيام أنه كان حاد الطبع عصبى المزج ، وأن رباعياته المشحونة بشكوكه وأوهامه وآلامه وتخيلاته وصيحاته وتفكيره المتواصل واشتغاله فى حل المشكلات العلمية والفلسفية واعتزاله الناس وحبه الانفراد تدلنا على انه لم يكن متمتعا بمزاج معتدل قط وانما كانت تغلب عليه الغلظة وحـدة الطبع • وتلكم صفات تلازم الحكماء والمفكرين والفلاسفة المتشائمين ، وكان الخيام شـديد التشاؤم ـ كما سنبرهن عليه ـ وقد قال البيهقى : انه كان سىء الخلق ضيق العطن • والظاهر انه تعسر على الناس أن يطلعوا عـلى سـريرته فوصموه بسوء الخلق وضيق العطن جهلا وتوهما ، والا فان الخيام لم يكن مجرمـا حتى يستحق ان توجه عليه هذه التهمة ، وكل ما فى الامر انه كان حاد المزاج كما يظهر للمتأمل •

مواهبـــه

كان عمر الخيام ذكى الفؤاد فطنا سريع الحفظ قوى الذاكرة ، وقد دلت رباعياته ومؤلفاته واطلاعه الواسع فى مختلف العلوم والفنون على عقل راجح ، وقريحة نادرة وعبقرية فذة حتى لقد ذكروا الاعاجيب عنه ولا سيما فيما يتعلق بقوة ذاكرته • فقد ذكر البيهقى والشهرزورى أنه تأمل كتابا بأصبهان سبع مرات وحفظه ، وعاد الى نيسابور فأملاه فقوبل بنسخته الاصلية فلم يوجد بينهما تفاوت •

والامر الذى لا شك فيه ان الرجل كان قوى الذاكرة جيد الفهم ذا مواهب رفيعة •

اتهامه بالزندقة

كان الخيام متضلعا من الفلسفة والطب وسائر العلوم الشائعة فى عصره، فاق أقرانه وبز لداته وأترابه من معاصريه • وقد أجمع الرواة على انه كان فذا منقطع النظير فى أجزاء الحكمة ، فى الرياضيات والمعقولات ، ولما شاعت آراؤه فى الفلسفة وذاعت نظرياته فى الحكمة صدم الناس هذه الحقائق الناصعة فوصموه بالزندقة وطعنوا عليه فى عقيدته ، وظنوا فيه الظنون وأخذوا يتقولون عليه ويثلبونه •

وقد قال فيه الشيخ نجم الدين أبو بكر الرازى سنة ٦٢٠هـ فى كتابه مرصاد العباد : ان عمر قد تاه فى بيداء الضلال بقوله الرباعية (التى ألمعنا اليها قبلا) • وزعم القفطى كما نقلناه آنفا أن قد قدح أهل زمانه فى دينه وأظهروا ما أسره فى مكنونه فخشى على دمه وأمسك من عنان لسانه وقلمه وحج متاقاة لا تقية وأبدى أسرارا من السرار غير نقية •• وقد أدرك الخيام تقولات الحاقدين الحاسدين فيه فرد عليهم برباعية دلت على متانة طبعه واستقلال فكره :

كرمن زمى مغانه مستم مستم
كر كافر وكبر وبتبرستم هستم
هر طايفهٔ بمن كمانى دارند
من زان خودم جنانكه هستم هستم

انا ان كنت ثملا بخمرة المجوس فانا ذاك أو كنت كافرا أو مجوسيا أو وثنيا فانا ذاك فلكل زمرة من الناس ظن فيّ أما أنا فملك نفسى أكون كما أريد •

عصر الخيام

نشأ عمر الخيام في عهد الدولة السلجوقية الكبرى ، التي بسطت سلطانها على خراسان وكرمان والري والجبال واذربيجان وبلاد الروم والعراق والجزيرة واليمن وفارس ، وهو يقابل أواسط القرن الهجري الخامس والمائة الثالثة من حكم الدولة العباسية ، ويبدأ عصر الخيام بدخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧هـ ، وقد اسس هذه الدولة أبو طالب طغرل بك وانقرضت على يد شاهات خوارزم سنة ٥٩٠هـ بأمر الخليفة العباسي الامام الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن المستضيء بأمر الله ٥٨٥ ـ ٦٢٢هـ وقد حكمها تسعة سلاطين هم طغريل بك والب أرسلان وملكشاه وبركياروق وأبو شجاع محمد وأبو الحارث سنجر ومحمد الثاني بن محمود بن محمد الاول وأرسلان بن طغريل الثاني بن محمد الاول وابنه طغريل الثالث بن ارسلان الذي قتله خوارزمشاه تكش سنة ٥٩٠ هـ .

وقد عاش الخيام في كنف هذه الدولة ، وعاصر السلطان ألب ارسلان والسلطان ملكشاه الذي عهد اليه امور الرصد ورتب له الخيام « الزيج » الجلالي وادرك ايضا عهد بركياروق ومحمد وسنجر أبناء ملكشاه المذكور وغيرهم ومات في سلطنة السلطان سنجر الذي أصيب بالجدري وعالجه الخيام .

الوضع السياسي

كانت الخلافة العباسية في هذا العهد ضئيلة الحكم والسلطة، وكان نفوذ كلمة الخلفاء لا يتجاوز ابواب قصورهم ، ولم يكن لهم من الامر شيء سوى ذكر أسمائهم على المنابر وضربها على النقود ، وكانوا كالآلة الصماء في يد سلاطين

آل بويه ، وفى بداية عصر الخيام تفرقت كلمة آل بويه فى بغداد ، وزالت هيبتهم من القلوب وفيه استولى السلاجقة على بغداد كما أسلفنا ، وظهرت الطائفة الباطنية فرعبت القلوب وارتكبت من الكبائر والموبقات ما يستعصى على القلم تصويره .

وفى عهده هز التعصب الدينى أعصاب النصرانية فى اوربا ، فنظموا الحملات الهائلة التى أطلق عليها اسم « الحملات الصليبية » ، فعاثوا فى البلاد الاسلامية فسادا ، وسفكوا الدماء البريئة ، وخربوا المدن للاستيلاء على أورشليم « القدس » وفى عهده تسلط السلاجقة بدولهم الثلاث على البلاد الاسلامية الا بعضها ، فقد كان فى الاندلس والمغرب الاقصى دولة الملثمين والقائم بأمرهم يوسف بن تاشفين « ٤٨٠ ـ ٥٠٠ هـ » ثم من بعده علي الى سنة ٥٣٧ هـ .

وقد عاصر الخيام من خلفاء بنى العباس القائم بالله والمقتدى بامر الله والمسترشد بالله .

وكان فى افريقية من آل زيرى تميم بن المعز بن باريس الى سنة ٥٠١ هـ ثم يحيى بن تميم الى سنة ٥٠٩ هـ ثم علي بن يحيى الى سنة ٥١٥ هـ .

وفى مصر من الفاطميين المستعلى أبو القاسم احمد بن المستنصر معد الى سنة ٤٩٥ هـ ثم الآمر باحكام الله أبو علي المنصور بن المستعلى الى سنة ٥٢٤ هـ .

وفى زبيد من الدولة النجاحية الامير ابن نجاح الى سنة ٤٩٨ هـ ثم فاتك بن جيش الى سنة ٥٠٣ هـ ثم منصور بن فاتك الى سنة ٥١٧ هـ .

وفى صنعاء ومهرة ظهر الامير حاتم بن غانم الهمدانى من سنة٤٩٢هـ الى سنة ٥٠٢ هـ ثم عبدالله بن حاتم الى سنة ٥٠٤ هـ ثم معن بن حاتم الى سنة ٥١٠ هـ ثم هشام بن قبيط وحاتم بن حماص .

وما عدا ذلك من البلدان الاسلامية فى آسيا كان محكوما بدولة السلاجقة .

ظهور الدولة السلجوقية

يبتدىء حكم آل بويه فى العراق سنة ٣٣٤ هـ وينتهى سنة ٤٤٧ هـ وهم من الديلم ، وقد حكموا البلاد وتلقب المتأخرون منهم بالسلاطين ، وكانوا أصحاب نفوذ عظيم ، اغتصبوا السلطة من الخلفاء العباسيين ، واستولوا على شؤون الدولة ، وفى منتصف القرن الخامس الهجرى ضعف نفوذهم ، وتفرقت كلمتهم واضطرب أمرهم فلم يكن فى وسعهم أن يحفظوا بغداد من الطوارىء ولا أن يدفعوا عنها الملمات ، واتفق ان حدث يومئذ حادث كان سببا فى زوال ملكهم وتمزيق شملهم ، وذلك أن ابا الحارث أرسلان المعروف بالبساسيرى - وهو غلام تركى من مماليك بهاء الدولة - أراد أن يزيل الخلافة عن بنى العباس ، فكتب الى الخليفة المستنصر بالله العلوى بمصر ، ليدخل فى طاعته ويخطب باسمه على منابر بغداد ، فعلم الخليفة القائم بأمر الله العباسى بذلك ، فكتب الى السلطان طغرل بك يستنجده ويستغيث به ، فهب طغرل بك وكتب الى الامصار انه يريد الحج واصلاح طريق مكة والمسير الى الشام ومصر وازالة المستنصر العلوى صاحبها ، وكاتب اصحابه بالدنيور وقرميسين وحلوان وغيرها ، فأمرهم باعداد الاقوات والعلوفات فعظم الارجاف ببغداد ، ولما وصل طغرل بك الى حلوان وانتشر اصحابه فى طريق خراسان أرسل طغرل الى الخليفة يبالغ فى اظهار العبودية والطاعة ، ويعد الاتراك المقيمين فى بغداد بالاحسان والجميل ، فاجتمعت كلمة الرؤساء والامراء على مكاتبة طغرل بك ، يبذلون له الطاعة والخطبة فأمر الخليفة الخطباء ان يخطبوا لطغرل بك بجوامع بغداد ، فخطب له فى يوم الجمعة ٢٢ المحرم من سنة ٤٤٧ هـ ودخلها فى

الخامس والعشرين منه وحينئذ قبض على آخر سلاطين بنى بويه وهو الملك الرحيم ، وبذلك انقضت دولتهم وحكمت فى العراق وما وراءه هذه الدولة الجديدة الفتية ، وهى دولة السلاجقة ، ومن أشهر سلاطين هذه الدولة ألب ارسلان ، وفى عهده أسس وزيره نظام الملك المدرسة النظامية ببغداد ، فتم بناؤها سنة ٤٥٧ ، وملكشاه الذى اتسع ملكه اتساعا عظيما فخطب له من حدود الصين الى آخر الشام ومن أقاصى بلاد الاسلام فى الشمال الى آخر بلاد اليمن ، وحملت اليه ملوك الروم الجزية . وقد عاش عمر الخيام محترم الجانب موفور الكرامة فى كنف هذين السلطانين وكان محبوبا لديهما .

الحروب الصليبية

ومن الحوادث العظيمة التى حدثت فى عهد عمر الخيام وأشرنا اليها فى الكلمة السابقة « الحروب الصليبية » تلك الحادثة التى كان لها الاثر العظيم فى الاقطار الاسلامية . وليس من قصدنا أن نتبسط فى شرحها فى كتابنا هذا ، فانها حوادث عصور استمر أمرها من سنة ٤٩٠ الى ٦٩٠هـ وانما نريد أن نمر بها على سبيل الاستطراد ، لاجل أن نتبين الوضع السياسى فى عهد الخيام .

اشتبك نصارى الغرب مع المسلمين فى حروب حامية دامت قرنين ، اشترك فيها من الدول الاسلامية الدولة الفاطمية بمصر ودولة السلاجقة ودول الاتابكية التى تفرعت عن دولة السلاجقة فى عهدهم ودول الايوبية ودول المماليك البحرية بمصر ، وقد ذهب المؤرخون مذاهب شتى فى تعليل هذه الحملات وأسبابها مما هو مذكور فى كتب التاريخ . وقد فتح الصليبيون بلدان المسلمين ، واستولوا على معظم المدن الواقعة فى الانطول والشام ، وأسسوا فيها امارات سميت بالامارات اللاتينية . منها امارة الرها بوادى الفرات سنة ٤٩٠هـ ثم امارة انطاكية سنة ٤٩١هـ ، وقد ارتكب الصليبيون

من الجرائم ما لا يرتكبه الوحوش الضارية ، ولا سيما عند فتح بيت المقدس. وقد ناضل المسلمون ودافعوا عن بلادهم دفاعا مجيدا عدا الخلفاء الفاطميين فانهم قصروا عن أداء هذا الواجب لاسباب ذكرها المؤرخون ولا سيما تنازع أرباب الدولة على المناصب .

هذه الحوادث هي أهم الحوادث السياسية التي حدثت في حياة عمر الخيام وهي تتلخص في أربع وقائع (١) سقوط الدولة البويهية (٢) قيام الدولة السلجوقية مقامها (٣) الحروب الصليبية (٤) ظهور الباطنية أعني الحشيشيين . وقد أوجزنا في بيان الثلاث الاولى وبقى علينا أن نذكر شيئا عن الباطنية الحشيشيين .

الاسماعيلية الباطنية ـ الحشيشيون

من أفظع الحوادث التي وقعت في عهد عمر الخيام حادث الطائفة الباطنية الذين سموا بالحشيشيين . وكان واضع هذه النحلة بصورتها الاخيرة زميل الخيام وشريكه في طلب العلم « الحسن بن الصباح » ولم يكن الحسن هو المؤسس الاول لهذه النحلة الجهنمية ، وانما هو بعثها من مرقدها وجدد دعوتها وأشعل نارها ، بعد أن خمدت مدة قرنين ، وكانت في بادىء أمرها تسمى الاسماعيلية ثم سميت بالقرمطة ، وأخذت طورا مهما في عهد حسن المذكور واليك تفصيل ذلك :

لما مات الامام الصادق جعفر بن محمد ادعى فريق من المسلمين بأن الامام بعده اسماعيل نص عليه أبوه باتفاق من أولاده الا انهم اختلفوا في موته في حال حياة أبيه ، فمنهم من يقول انه لم يمت الا انه أظهر موته تقية من خلفاء بني العباس ، ومنهم من قال الموت صحيح والنص لا يرجع القهقرى والفائدة بالنص بقاء الامامة في أولاد المنصوص عليه دون غيره .

فالامام بعد اسماعيل محمد بن اسماعيل ، هؤلاء يقال لهم المباركية ، ثم منهم من وقف على محمد بن اسماعيل وقال برجعته بعد غيبته ، ومنهم من ساق الامامة في المستورين منهم ثم في الظاهرين القائمين من بعدهم وهم الباطنية •

القداح وقرمط

وكان للصادق جعفر بن محمد مولى يقال له ميمون بن ديصان المعروف بالقداح وقد ذكر صاحب الفرق بين الفرق العلامة عبد القاهر البغدادي انه هو المؤسس الاول للدعوة الباطنية مع جماعة منهم محمد بن الحسين الملقب بدندان وكان ذلك في سجن والى العراق غير ان ابن النديم يذكر في فهرسته ان الداعية الاول هو عبدالله بن ميمون المذكور وهو من أهل قورج العباس بقرب مدينة الاهواز واليه تنسب « القداحية » وكان ابتداء دعوته سنة «٢٧٦»هـ ، والصحيح هو ما ذكره ابن النديم فان ميمونا لم يؤسس الباطنية وانما أسس الفرقة التي عرفت باسمه وهي « الميمونية » التي أظهرت أتباع أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الذي دعا الى ألوهية علي بن أبي طالب • وكان ميمون وابنه عبدالله ديصانيين ثنويين وكان عبدالله ذكي الفؤاد عالي الهمة ملحدا يطمح الى الرياسة ، والامرة على الناس فبث الدعاة في أنحاء البلاد سرا ، ولا سيما في الكوفة فأجابه في هذا الموضوع رجل يعرف بحمدان ابن أشعث ويلقب بقرمط ، لقصر كان في متنه وساقه ، أو لقرمطة في خطوه ، وكان هذا اكاراً من اكرة سواد الكوفة في قرية يقال لها « قس بهرام » ، وأقام قرمط بكلواذي أي كرارة الحالية ونصب له عبدالله بن ميمون رجلا من ولده يكاتبه من الطالقان ، وذلك في سنة ٢٦١هـ ثم ظهر بعده في الدعوة الى الباطنية أبو سعيد الجنابي ، وكان من مستجيبه حمدان وتغلب على ناحية البحرين ، فغير اسم نفسه

ثم ظهرت فتنة بالمغرب وظهر منهم المعروف زكرويه بن مهرويه الدندانى وكان من تلامذة حمدان قرمط ثم ظهر منهم مأمون أخو حمدان قرمط فى فارس ودخل رجل منهم يعرف بأبى حاتم أرض الديلم فاستجاب له جماعة من أهلها .

وذكر عبدالقاهر البغدادى أيضا أن الدعوة الباطنية انتشرت أولا فى زمان المأمون والمعتصم وان الافشين خيذر بن كاوس قائد جيوش المعتصم دخل فى دعوتهم وان بابك الخرمى كان من مقتفى هذا المذهب .

وقد ارتكب القرامطة الآثام وسفكوا الدماء وهتكوا الحرمات ، وفعلوا امورا تقشعر منها الابدان ، وبقوا يعيثون فى الارض فسادا الى سنة ٣١٢هـ فقد ظهر فى ذلك الحين رجل منهم يقال له سليمان بن الحسن الجنابى فهجم على البصرة واستولى عليها ثم قطع طريق الحجاج وسبى الحرم والذرارى وفى سنة ٣١٧هـ دخل مكة وقتل من وجدهم فى الطواف وقيل انه قتل بها ٣٠٠٠ نسمة وأخرج منها ٧٠٠ بكر واقتلع الحجر الاسود وحمله الى البحرين ، وفى سنة ٣١٨هـ قصد بغداد ولما ورد هيت رمته امرأة من سطحها بلبنة فقتلته ، وبقتله انقطعت شوكتهم وذهبت ريحهم الى أن ظهر منهم الحسن بن الصباح الذى تعلم مع عمر الخيام فى نيسابور فكان المؤسس الثانى لهذه الطائفة التى جعلها فيما بعد دولة توارث أولاده السلطان عليها فى قلعة « الموت » .

عقائدهم

اتفق أكثر الباحثين على أن عقائد الطائفة الباطنية مقتبسة من المجوسية والمانوية والمزدكية والدهرية ، ويؤيد ذلك انهم أباحوا أتباعهم نكاح البنات والاخوات وجميع اللذات وظهر منهم رجل يعرف بابن أبى زكريا الطامى

سنة٣١٩هـ فأوجب قتل الغلام الذى يمتنع على من يريد الفجور به ، وأمر بقطع يد من أطفأ نارا بيده ، وبقطع لسان من أطفأها بنفخة . فنكاح البنات والاخوان والتمتع بجميع اللذات واحترام النار من العقائد الزردشتية والمانوية والمزدكية . فأما كونهم من الدهرية فلأنهم ينكرون الوحى ويرفضون المعجزات ويزعمون ان الانبياء قوم أحبوا الزعامة فساسوا العامة بالنواميس والحيل طلبا للزعامة بدعوى النبوة ، ويرون بطلان الشرائع بما تتضمنه من الاعتقاد للحشر والمعاد ، وغير ذلك ، ومما جاء فى الرسالة التى بعث بها عبيد الله بن الحسن القيروانى الى سليمان بن الحسن بن سعيد الجنابى فقد أوصاه فيا بوصية قال فيها :ـ

ادع الناس أن تتقرب اليهم بما يميلون اليه . وأوهم كل واحد منهم بأنك منهم ، فمن آنست منه رشدا فاكشف له الغطاء ، واذا ظفرت بالفلسفى فاحتفظ به ، فعلى الفلاسفة معولنا وانا واياهم مجمعون على ان نواميس الانبياء ... وعلى القول بقدم العالم لولا ما يخالفنا فيه بعضهم من ان للعالم مديرا لا يعرفه . وذكر فى الكتاب ابطال القول فى المعاد والعقاب . وذكر فيها أن الجنة نعيم الدنيا وأن العذاب انما هو اشتغال أصحاب الشرائع بالصلاة والصيام والحج والجهاد .

وقال فيها أيضا « ان أهل الشرائع يعبدون الها لا يعرفونه ولا يحصلون منه الا على اسم بلا جسم واكرم الدهرية فانهم منا ونحن منهم » .

وقال فيها أيضا « انى اوصيك بتشكيك الناس فى القرآن والتوراة والزبور والانجيل ، وبدعوتهم الى ابطال الشرائع وابطال المعاد والنشور من القبور ، وابطال الملائكة فى السماء ، وابطال الجن فى الارض وأوصيك بأن تدعوهم الى القول بأنه كان قبل آدم بشر كثير فان ذلك عون لك على القول بقدم العالم ، وينبغى أن تحيط علما بمخاريق الانبياء ومناقضاتهم » .

وقال فى آخر رسالته :ـ وما العجب من شىء كالعجب من رجل يدعى العقل ثم يكون له اخت أو بنت حسناء وليست له زوجة فى حسنها ، فيحرمها على نفسه وينكحها من أجنبى ، ولو علم الجاهل لعلم انه أحق بأخته وبنته من الاجنبى ، وما وجه ذلك الا ان صاحبهم حرم عليهم الطيبات وخوفهم بغائب لا يعقل وهو الاله الذى يزعمونه ، وأخبرهم بكون ما لا يرونه أبدا من البعث من القبور والحساب والجنة والنار ، حتى استعبدهم بذلك عاجلا وجعلهم له فى حياته ولذريته بعد وفاته خولا ، واستباح بذلك أموالهم بقوله « قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى » ، فكان أمره معهم نقدا وأمرهم معه نسيئة ، وقد استعجل منهم بذل أرواحهم وأموالهم على انتظار موعود لا يكون ، وهل الجنة الا هذه الدنيا ونعيمها وهل النار أو عذابها الا ما فيه أصحاب الشرائع من التعبد والنصب فى الصلاة والصيام والجهاد والحج ؟ »

ثم قال مخاطبا سليمان بن الحسن المذكور « وأنت واخوانك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس وفى هذه الدنيا ورثتم نعيمها ولذاتها المحرمة على الجاهلين ، المتمسكين بشرائع أصحاب النواميس فهنيئا لكم ما نلتم من الراحة من أمرهم » .

وبعد فهذه الرسالة وحدها كافية فى الدلالة على ان أصحاب هذه الطائفة اباحية دهرية .

مراتب الدعوة ومؤلفات الباطنية

وكان دعاة الباطنية ماهرين نشيطين فى الدعاية ، لهم أساليب خاصة بهم فى أمر الدعوة ، فكانوا لا يفاجئون الذين يدعونهم الى نحلتهم بأسرارهم ، وانما يتدرجون معهم فيكلمون العامى بطريقة تختلف عن

الطريقة التى يكلمون بها العالم ، جريا على قاعدة « كلم الناس على قدر عقولهم » ، فأحدثوا مراتب للدعاية وهى التفرس والتأنيس والتشكيك والتعليق والربط والتدليس والمواثيق بالايمان والعهود والخلع والسلخ . ويشرع الداعية فى تنفيذ الدرجة حتى يصل الى مرتبة الخلع والسلخ ، وهى الدرجة الاخيرة التى يصبح بها الباطنى ملحدا بحتا ، وبها هدم الاعتقاد والاديان المنزلة ، وهناك صفات يجب أن يتصف بها الداعية لبث الدعوة .

وقد كتب دعاتهم كتبا كثيرة ونشروها بين الناس ، لتنفيذ أغراضهم وبث مبادئهم ، ومنها ما لا يجوز الاطلاع عليه الا بعد ان تمر على الباطنى مدة لا تقل عن أربع سنين . فمن كتبهم كتاب الرحى والدولاب وكتاب الحدود والاسناد وكتاب اللامع وكتاب الزاهر وكتاب الميدان وكتاب انيران وكتاب الملاحم وكتاب المقصد ولهم البلاغات السبعة وهى : كتاب البلاغ الاول للعامة وكتاب البلاغ الثانى لمن هم فوق هؤلاء قليلا ، وكتاب البلاغ الثالث لمن دخل فى المذهب سنة ، وكتاب البلاغ الرابع لمن دخل فى المذهب سنتين ، وكتاب البلاغ الخامس لمن دخل فى المذهب ثلاث سنين ، وكتاب البلاغ السادس لمن دخل فى المذهب أربع سنين ، وكتاب البلاغ السابع ، وفيه نتيجة المذهب والكشف الاكبر ، وفيه أمر عظيم من اباحة المحظورات والوضع من الشرائع وأصحابها ، وهناك رسائل وتعليمات كثيرة كرسالة عبيدالله بن الحسن القيروانى الى سليمان بن الحسن بن سعيد الجنابى التى نقلنا منها آنفا وغيرها ، وقد فتشت طويلا وبذلت الجهد الكثير للحصول على هذه الكتب كاملة فلم أظفر بتأليف أو رسالة مما كتبوه ، ويظهر ان جملة من كتبهم أبيدت وأحرقت بعد زوال أمرهم .

وهذا مجمل ما فصله القوم عن ظهورهم وحركتهم وتعاليمهم وذلك قبل ظهور الداهية الاكبر الحسن بن الصباح .

مبادىء الباطنية الشائعة في عصر الخيام

« النزارية » ــ دار الحــكمة

في منتصف القرن الرابع الهجرى زحف القائد الكبير جوهر الصقلى قائد المعز لدين الله الفاطمى بجيوشه الى مصر ، وانتزعها من الاخشيديين ، وأسس فيها القاهرة وبعد بضع سنين دخلها المعز وجعل نفسه خليفة المسلمين فيها ، وثبت فيها الدولة الفاطمية ، وكان النظام الادارى فيها غريبا فى بابه ، اذ كانت المهمة الاولى المعنى بها هى بث الدعاية للدولة المذكورة ، ولذلك أحدثوا وظيفة « داعى الدعاة » ، وكان عليها رجل كبير يعرف بهذا اللقب ، ودرجته تلى درجة قاضى القضاة وكانتا تجمعان أحيانا لرجل واحد ، وكان الدعاة يتلقون المبادىء من مصر ثم يتركونها الى الاقطار الاسـلامية متبعين منهاجا مسنونا ، وفى زمن الحاكم بأمر الله ــ وقد تولى بعد أبيه المعز سنة ٣٨٦هـ ــ نشطت الدعاية واتسعت فى البلدان اتساعا عظيما . وكان الحاكم مضطرب الرأى عصبى المزاج ، شاذا فى أطواره وأخلاقه ، سفاكا للدماء ، قتل عددا كبيرا من أماثل أهل دولته ، وكانت سيرته تدل على جنة ومس فيه ، فكان تارة يأمر بسب الصحابة ، وطورا يأمر بضرب من يرتكب هذا المنكر ، وأمر بقتل الكلاب ونهى عن بيع الفقاع والملوخيا والسمك الذى لا قشر له ، والعنب وقد كابد النصارى واليهود منـه ألوان العـذاب أيـام حكمه . وقد وصفه ابن خلدون فى تأريخه « بأنه كان مضطربا فى الجور والعدل والاخافة والامن والنسك والبدعة » غير أن الذى يهمنا من سيرة الحاكم بأمر الله مواظبته على بث الدعوة السرية الباطنية باعـداد الرسـائل وتنظيم المناهج بتأسيسه (دار الحكمة) فى مصر .

تعاليم دار الحــكمة

وكانت تعاليم دار الحكمة هى الاسس والاوضاع التى وضعها عبدالله

ابن ميمون بن ديصان المعروف بالقداح ، وتتضمن التعاليم التى بثها الدعاة فى عهد الباطنية الاولى ، وقد ذكرت فى رسالة القيروانى الى سليمان بن الحسن وغايتها نزع العقيدة الدينية من الصدور وتمكين فكرة الالحاد فى قلوب الناس • وكانت درجات الدعاية فى دار الحكمة تسعا ، وذلك بزيادة درجتين على تعاليم ابن القداح التى كانت سبعا فقط ، ولكن الغاية كانت واحدة وهى هدم الدين الاسلامى ليس غير •

المؤسس الثاني

هو الحسن بن الصباح الذى ولد حوالى سنة ٤٣٠هـ وكان يدعى انه ينتمى الى « يوسف الحميرى » أحد امراء اليمن ، وكان يقول ان والده جاء من الكوفة الى قم ، ومنها الى الرى الا ان أهالى طوس لم يصدقوه وكانوا يدعون ان والده ـ واسمه علي ـ هو من احدى قرى خراسان ولعل الصباح جده أو لقب أبيه •

ويذكر لنا الذين عنوا بترجمته انه كان فى أصفهان ثم هجر أصفهان الى مصر ، فلقى حفاوة من الخليفة المستنصر ، ثم انخرط فى سلك المحفل السرى وتعلم المبادىء الاسماعيلية ، وبعد أن تشربت روحه هذه الافكار قفل راجعا الى فارس وأخذ يبث الدعوة فى نواحى خراسان فاتبعه الرعاع فقادهم ، فاستولى بالشراء أولا على قلعة فى نواحى الديلم يقال لها «الروذبار» ، وكانت هذه القلعة لقماج صاحب ملكشاه فأخذ من الباطنية ألفا وسبتى دينار وسلم القلعة اليهم فى سنة ٤٨٣ هـ وذلك فى أيام ملكشاه ، ثم استولى على قلعة « الموت » وتحصن بها هو واتباعه واسس بها الدولة الاسماعيلية وقد دامت زهاء ١٧١ سنة وحكمها ثمانية من أولاده وأحفاده •

* * *

تعاليم ابن الصباح

(أ) الدعوة الى تعيين أمام صادق قائم فى كل زمان وتمييز الفرقة الناجية من سائر الفرق بأن لها اماما وليس لغيرهم امام .

(ب) ضرورة استعمال العقل فى معرفة الله والنظر الى جانب تعاليم المعلم الصادق .

(ج) والناس فرقتان من جهة تعاليم المعلم الصـادق ، فالاولى ترى الاستعانة فى معرفة الله بالمعلم الصادق ووجوب تعيينه وتشخيصه ثم التعلم منه ، وقالت الثانية بالاخذ فى كل علم من معلم أو غير معلم ، فالحق مـع الاولى فرأسهم يجب ان يكون رأس المحققين .

(د) بالاحتياج عرفنا الامام وبالامام عرفنا مقادير الاحتياج كما بالجواز عرفنا الوجود أى واجب الوجود وبه عرفنا مقادير الجواز فى الجائز .

(هـ) ان فى العالم حقا وباطلا وان علامة الحق هى الوحدة وعلامة الباطل هى الكثرة ، وان الوحدة مع التعليم والكثرة مع الرأى والتعليم مع الجماعة والجماعة مع الامام والرأى مع الفرقة المختلفة وهذه مع رؤسائها .

(و) التوحيد هو التوحيد والنبوة معا حتى يكون توحيدا والنبوة هى النبوة والامامة معا حتى تكون نبوة .

وقد منع الحسن العامة عن الخوض فى العلوم ، وكذلك الخاصة عن مطالعة الكتب المتقدمة الا من عرف كيفية الحال .

مراتب الجمعية

وقد جعل الحسن بن الصباح مراتب جمعيته سبعا بدلا من تسع وهى لا تختلف فى الجوهر عن مراتب محفل « دار الحكمة » •

الرئيس :- ويسمى السيد وشيخ الجبل ، وهو كبير الطائفة الاعلى ، وبيده الحلل والعقد وله الامر والنهى •

الدعـاة :- وهم الكبار المقدمون ، ومقامهم فى ثلاث ولايات توجد فيها امنع قلاع الطائفة وهى بلاد الجبل وقهستان والشـام وهؤلاء يتلقون أوامرهم من الرئيس وينفذون أوامره السامية •

الرسل :- وهم الرسل الدينيون ووظيفتهم بث الدعاية والتغلغل بين الجماهير وحضهم على اقتفاء مبادىء الطائفة •

الرفاق :- وهم الذين يكونون حاشـية للدعـاة ويتلقـون التعاليم والمبادىء السرية •

الفدائيون :- ووظيفتهم اغتيال الذين يناصبون الطائفة العداء •

المبتدئون :- وهؤلاء جند الطائفة ويتلقون التعاليم الاولية •

العـامـة :- وهم الرعاع وليس لهم من العلم بالطائفة غير الانتساب اليها ، وعلى العامة فى فتح القلاع ومهاجمة البلدان •

الحشيشة

علمنا مما تقدم ان الدرجة العليا هى درجة الرئيس اى السيد وشيخ الجبل والدرجة الدنيا هى درجة العامة ، ومنها يترقى الى درجة التلميذ ، ومنها الى درجة الفدائية وفى هذه الدرجة يكون الباطنى عضوا صميما ، يعتمد عليه فى ادارة شؤون الطائفة ، ولا يرقى أحد هذه الدرجة الا اذا كان شديد البأس كثير الطاعة ، فاذا آنس الرئيس من احدهم استعدادا اولم وليمة فاخرة له وناوله فى أثناء وقت الطعام نباتا مسكرا من نوع «الحشيشة» حتى اذا بلغت الحشيشة فعلها فيه أمر بنقله الى جنة غناء قد غرست على حافات جداولها الرياحين وأشجار الفواكه وانضر الزهر والورد ، ونصبت فى احواضها الفوارات واقيمت فيها الرواشن والبيوت الصينية وفرشت بافخر الديباج واثثت بالرياش النفيس وهناك فى تلك الردهات البديعة المظللة بعرائش الكرم تطوف عليه الحسان بأباريق الخمر وأكوابها ويضربن حوله بالآلات الموسيقية ذات النغمات الشجية ثم ينقل فورا الى المكان الذى فيه الرئيس وعند صحوه يخبره الرئيس بانه لم يبرح مكانه وانه أمر روحه ان تطوف بالفردوس فيدهش الفتى مما رآه ، وعند ذلك يجعل نفسه طوع ارادة الشيخ طمعا فى الجنة التى رأى مثالها ويكون بعده كالآلة الصماء يديرها كيف يشاء ، ولكى تعرف مبلغ اطاعة الفدائى للرئيس انقل لك القصة الآتية :ــ ارسل ملكشاه السلجوقى يوما رسولا الى الحسن بن الصباح يدعوه الى الطاعة ويتهدده ويأمره بكف اصحابه لقتل العلماء والامراء ، فقال الحسن لجماعة وقفوا بين يديه ــ والرسول يشهد ذلك ــ اريد ان انفذكم الى مولاكم فى حاجة فمن ينهض لها ؟ فاشرأب كل منهم لذلك ، فأومأ الى شاب منهم وقال له :ــ اقتل نفسك فجذب سكينة وضرب

بها غلصمته فخر ميتا وقال لآخر :ـ ارم بنفسك من القلعة فألقى نفسه فتمزق، ثم التفت الى رسول السلطان ملكشاه فقال له :ـ اخبره ان عندى من هؤلاء عشرين الفا هذا حد طاعتهم لى وهذا هو الجواب •

النتيجـــة

ولبث الحسن فى قلعة (الموت) حتى توفى فيها سنة ٥٢٠ او ٥١٨ هـ بعد ان حكمها (٣٥) سنة ، وقد اتفق الباحثون على انه كان على جانب عظيم من الذكاء ومضاء العزيمـة ، عالما بالفلك والهندسـة ، متضلعـا من الآراء والمذاهب الفلسفية ، شـديد البأس قاسى القلب دساسا فتاكا ، وقد توارث الحكم على (الموت) ابناؤه ، الى سـنة ٦٥٤ هـ ففيهـا قضى عـلى الطائفة المذكورة هلاكو التاتارى ، وبها انطوت اشنع صفحة فى التاريخ الاسلامى•

* * *

بعد فاننا لم نذكر هذه البحوث باسهاب الا لأننا نبغى ان نبرهن على ان عمر الخيام كان يمثل آراء الباطنية فى عصره ، وان له اتصالا قويا بهم ، ونكاد نجزم بأنه كان داعيـة من دعاتهم ، وسنوفى هـذا المطلب حقه فى بحثنا عن آرائه وعقائده •

عصره العلمي

علمنا مما تقدم بان العصر الذى عاش فيه الخيام كان عصرا يجيش بالاحن والفتن والحروب ، فكان الصليبيون يهاجمون الشرق ويهددون العالم الاسلامى من جهة ، والباطنيون من جهة اخرى يدبرون المكايد والدسائس لهدم الاسلام، ويبثون الدعاة لنشر الالحاد بين طبقات المؤمنين •

والآن نريد ان نعلم مكانة العلم ومنزلة القلم فىذلك العصر • والذى يبحث ليسبر غور العصر الذى عاش فيه الخيام يتبين لـه أن أهم مميزات هذا العصر عما سبقه هى تأسيس المدارس فى العالم الاسلامى ، فقد مرت اربعة قرون على المسلمين لم يكن لديهم فيها مدارس منظمة ، ذات مناهج ثابتة ونظم مسنونة اذ كانت العناية متجهة فى هذه القرون الاربعة الى انشاء المكاتب والكتاتيب واقامة الحلقات فى الرحاب والجوامع والمساجد •

المدارس

اما فى عصر الخيام فقد كثرت المدارس واشهرها مدرسة ابن فورك المتوفى سنة ٤٠٦ هـ ، والمدرسة البهيقية للبهيقى المتوفى سنة ٤٥٠ هـ والسعيدية التى بناها نصر بن سبكتكين أخو السلطان محمود الغزنوى ، ومدرسة اخرى بناها اسماعيل الاستربادى الصوفى الواعظ ومدرسة الامام أبى حنيفة التى بناها للحنفية أبو سعد المستوفى فى أيام ألب أرسلان والنظامية التى بنيت للشافعية فى بغداد ، وقد تولى التدريس فيها علامة عصره الشيخ أبو اسحق الشيرازى غير انه لم يكن لهذه المدارس ما للمدارس النظامية التى أسسها نظام الملك الوزير من الانظمة والمناهج على ما ذكر بعض مؤرخى الشفعية •

المدارس النظامية

هى المدارس العظيمة التى أسسها نظام الملك فى بغداد ونيسابور وأصفهان وطورس وغيرها من المدن ، وأشهرها المدرسة النظامية فى بغداد، وقد أنشأها سنة ٤٥٧هـ وافتتحها سنة ٤٥٩هـ وعين لها مدرسين من أجلة العلماء فى عصره ، وتولى التدريس فيها مثل أبى اسحاق الشيرازى والامام أبى نصر الصباغ والامام الغزالى وأبى القاسم الدبوسى والشاشى والكيا الهراسى والنجيب السهروردى ، ورتب لطلبة العلم فيها الجرايات حتى بلغ ما ينفق عليهم ٦٠٠٠٠٠ دينار فى السنة ، وقيل ان هذا الانفاق كان سببا لقتله ، على أنه قتل بطعنة باطنى ، وقد وشى به بعضهم الى السلطان ملكشاه اذ قالوا له : ان الاموال التى ينفقها نظام الملك فى ذلك تقيم جيشا تركز رايته فى سور القسطنطينية . فعاتبه ملكشاه فى ذلك فأجابه : يابنى أنا شيخ أعجمى لو نودى على فى « من يزيد » لم أحفظ خمسة دنانير وأنت غلام تركى لو نودى عليك عساك تحفظ ثلاثين دينارا ، وأنت مشتغل بلذاتك منهمك فى شهواتك وأكثر ما يصعد الى الله معاصيك دون طاعتك وجيوشك الذين تعدهم للنوائب اذا احتشدوا كافحوا عنك بسيف طوله ذراعان وقوس لا ينتهى مدى مرماها الى ثلثمائة ذراع وهم مع ذلك مستغرقون فى المعاصى والخمور والملاهى والمزمار والطنبور ، وأنا أقمت لك جيشا يسمى جيش الليل ، اذا نامت جيوشك ليلا قامت جيوش الليل على أقدامهم صفوفا بين يدى ربهم فأرسلوا دموعهم وأطلقوا السنتهم ومدوا الى الله أكفهم بالدعاء لك ولجيوشك فأنت وجيوشك فى خفارتهم تعيشون وبدعائهم تبيتون وببركاتهم تمطرون وترزقون .

مقاومة علماء الاسلام للباطنية

ومن مميزات هذا العصر نهضة العلماء والمفكرين لمناوأة الباطنية ، والطعن على تعاليمها واظهار سخف مبادئها ، وتحذير الناس من سمومها ، والباطنية لم تنشر تعاليمها بقوة السيف فقط وانما توسلت بالدعاية والاقناع والحجاج أيضا ، فألفت الكتب الكثيرة المتضمنة براهينهم ، لذلك كان لزاما أن يهب علماء ذلك العصر لمحاربة تلك المبادىء بأقلامهم ، فكان القاضى أبو بكر الباقلانى أول من شهر عليهم الحرب فى ذلك العصر فألف كتابا سماه (كشف الباطنية) أظهر فيه عوراتهم وحمقهم ، والف فى ذلك أبو الفتح محمد بن أبى القاسم عبد الكريم بن ابى بكر احمد الشهرستانى المتـوفى سنة ٥٤٨ هـ فجادلهم مبينا بطلان مذهبهم ، كما الف حجـــة الاسلام أبو حامد الغزالى فكتب رسالة فى (فضائح الباطنية) تشتمل على تعاليمهم القرامطة والاسماعيلية وغيرهم من الطوائف الباطنية واهل البدع فى الاسلام والرسالة محفوظة فى المتحف البريطانى الان ومنها كتاب « اسرار الباطنية واخبـار القرامطة » لمحمد بن مالك الحمادى اليمانى ومن أقدمها كتاب « محمد بن علي بن رزام الكوفى » • وقد اطلق فخر الدين الرازى لسانه الذرب فيهم طاعنا عليهم من فوق المنابر وقد هددوه بالقتل فتركهم وشأنهم خـوفا على حيـــاته •

الخلاصـــة

تبين مما اجملناه انه ، بالرغم من الفتن والحروب الكثيرة التى حدثت فى عصر الخيام ، كان لدولة العلم رايات مرفوعة وللعلماء مكانة عاليـــة فى القلوب وكان تهافت الناس على المدارس عظيما ، ويكفى أن نذكر للدلالة على ازدهار العلم فى العصر الخيامى،انه قد نشأ فيه ما ينيف على ثمـــانين ومئة فحل بين شاعر ومنشىء ولغوى ومؤرخ ومترجم للجماعات وجغرافى ومؤلف فى السير والسياسة والادارة والطب وغير ذلك من العلوم •

روح هذا العصر

قدمنا ان عمر الخيام نشأ وعاش في عهد الدولة السلجوقية الكبرى ، وانه حدثت في عصره أربع وقائع كبيرة وهي :ـ سقوط الدولة البويهية . وقيام الدولة السلجوقية ونشوب الحروب الصليبية وتجديد الدعوة للباطنية وظهورها بشكل اوسع نطاقا وأرهب شأنا .

هذا من الناحية السياسية ، واما من الناحية العلمية فان عصره قد امتاز بتأسيس المدارس وتنظيمها كما ألمعنا اليه في بحثنا في تاريخ المدارس الصناعية التي انشأها نظام الملك الوزير الشهير .

بقي علينا أن نعرف الروح السائد في ذلك العصر ، لانه في اطلاعنا على ذلك نستطيع أن نفهم الميول والاتجاهات ونوع التفكير في ذلك العصر . وفي الحق اننا نحاول ونجهد أن نعلم من وراء ذلك أكان الخيام يمثل عصره أم لا ؟ أو هل في الامكان عده نموذجا لاصحاب التفكير السائد يومئذ ؟ وهل كان لعصر الخيام من التهيؤ الكافي لان يوجد رجلا مثله أم لا ؟ ام كان الخيام شاذا في عصره لا معرفة له به ، ولا اتصال بينهما في الروح والعلم والتفكير ، كان يد الاقدار قذفته خطأ في هذا العصر .

لا شك أن من الصعب جدا معرفة الروح السائد والوقوف على أسلوب التفكير على اختلاف ضروبه ، والاطلاع على الميول والرغائب والاخلاق والانفعالات النفسية ، وبالجملة معرفة الصبغة التي اصطبغ بها ذلك العصر لان ذلك ـ مع احتياجه الى درس طويل وبحث عميق ـ يحول دون بلوغه فقدان الوسائل والوسائط وربما لا تظهر من هذا الدرس ، الذي يقتضي وقتا طويلا وجهودا عظيمة نتيجة حسنة وحقيقة ملموسة ، وربما لا يهتدي الباحث في بحثه وتدقيقه للنظر في صفحات هذا العصر الى شيء من الحوادث والوقائع التي يصح أن تكون مقياسا لمعرفة روح العصر .

وغاية الباحث فى هذه الحالة أن يفتش فى بطون المؤلفات عن الشواهد والامثال ليستخلص منها ما يمكن أن يعول عليه فى اظهار الصورة والحقيقة للعصر الذى يدرسه ويبحث فى الكيفية التى أوجدته والاحوال التى أحاطت به .

ومع ذلك فلست واثقا بان ايراد الامثال والشواهد يكفى فى تعريف الصبغة الغالبة فى ذلك العصر ، فقد تكون هذه الشواهد وهذه الامثال من قبيل الآراء المنحولة ، التى تنتقل من حيز الى آخر بالدعايات لنيل مأرب وقضاء مطلب أو من قبيل الحكايات والقصص المنحولة التى تتداولها الافواه، اما للاشادة بفضيلة شخص واما للحط من كرامته وشرفه ، وهى عوائد متعارفة فى كل زمان وكل مكان .

ومن الواضح ان الخرافات والاساطير تكثر وتعيش طويلا فى المدن التى فيها مزارات ومشاهد دينية ، تؤمها الناس فى اوقات معلومة ، وقد تنتشر هذه الخرافات وقد تشيع هذه الاساطير غير ان حياتها قصيرة ، فهى لذلك لا تكون عقيدة لدى الامم لانها مشيدة على أساس التخيل والوهم فلا يجوز للباحث والمؤرخ أن يعتد بها أو يجعلها مقياساً يقيس به عقلية الجمهور، ويجب أن لا يبرح عن بالنا ان قابلية التخيل فى الانسان شديدة وان الانسان ميال بطبعه الى المبالغة ، فان حديثا يتداول عند طلوع الشمس تجده قد تغير وصار كأنه غيره عند غروبها .

* * *

ان من العسير على الباحث تحديد الصبغة الغالبة على العصر الذى وجد فيه عمر الخيام كيف لا وان من الصعوبة بمكان ان نصور اليوم حقيقة الروح السائد فى العصر الذى نعيش فيه لاختلاف الميول والاهواء فيه فكيف بالعصر الذى تعاقبت بعده تسعة عصور ؟

واذا كان لابد من ذلك فانى اعتقد انه يجب على الباحث فى هـــذه الحالة ان ينعم النظر ويتأمل مليا احوال الطبقات الثلاث التى يتألف منهـــا الشعب وهى :

١ ـ الرعية اى جمهور الناس •

٢ ـ الحكام وهم الملوك والوزراء والامراء ارباب الحل والعقد •

٣ ـ رجال الدين •

اما امر الرعية وما كانت تشعر به فشىء غامض فليس فى ايدى الناس وثائق ولا مستندات تأريخية نستدل بها على اتجاه شعور الجمهور فى ذلك العصر ، والمؤرخون فى ذلك العصر وغيره من العصور لم يعنوا بتـــدوين شعور الرعايا واتجاهاتها ، وانما كانوا يعنون بتدوين وقائع الحروب وانشاء المديح للملوك والامراء جزافا تزلفا اليهم وتقـربا منهم ، ومنهم من قصر همه على الثلب والطعن لانه كان يبغض تلك الدولة مثلا •

غير ان الجمهور فى عصر الخيام كان قد امتحن بالخلافات المذهبيـة اذ كان النزاع قائما على ساق وقدم بين الحنابلة والشيعة والشافعية والحنفية وقد حدثت وقائع دامية بين هؤلاء •

واما الحكام فى عصر الخيام وهم الملوك والوزراء والامراء اولو الامر والنهى والحل والعقد فان التأريخ يقص علينا اخبارا سارة عنهم ، فانهـــم خدموا العلم كثيرا وشجعوا العلماء واحترموهم وانعموا عليهم بجـــلائل الآلاء ، ووسعوا عليهم الارزاق ليتفرغوا لنشر العلوم والفضائل ، وقد مر بنا ما قام به نظام الملك الوزير من تشييد المدارس ، وانشاء ملكشاه المراصد، وعلمنا بالمكانة الرفيعة والمنزلة السامية التى نالها عمر الخيام من ملـــوك السلاجقة ، وما ذاك الا لانهم قدروا فضله واحترموا علمه وادبه •

واما رجال الدين فقد كانت الضغائن والعداوات بينهم موجـــودة ،

بسبب اختلاف مذاهبهم وحسد بعضهم لبعض ، وقد عثرت فى حواشى كتاب « جهار مقالة » على حادثتين وقعتا لشيخ الاسلام عبد الله الانصارى اثبتهما مثالين لحالة الفقهاء فى عصر الخيام :

كان شيخ الاسلام عبد الله الانصارى وهو الامام ابو اسماعيل عبدالله الخزرجى الانصارى الهروى الذى يتصل نسبه بأبى ايوب الانصارى من اجلة العلماء والمحدثين فى عصره ، وكانت له منزلة سامية ومكانة رفيعة فى زمانه غير انه كان حنبليا ميالا للتجسيم والتشبيه ، وقد حسده رجال الدين فى عصره ووجدوا عليه ، وأرادوا له الكيد والوقيعة به ، واتفق ان قدم هراة السلطان الب أرسلان السلجوقى وكان حنيفا والوزير نظام الملك وكان شافعيا فاجتمع رجال الدين فى هراة واتفقوا فيما بينهم على أن يتقدموا الى شيخ الاسلام بسؤال يسقطه من نظر الوزير ، فلما اجتمعوا بالوزير ، وكان شيخ الاسلام حاضرا ، انبرى له أحدهم وقال : ترى هل يسمح لي الشيخ الامام ان اسأله عن قضية ؟ فقال : سل عما بدا لك .

قال له : لماذا تلعن ابا الحسن الاشعرى ؟

فسكت الشيخ ، ولما كان نظام الملك اشعرى المذهب اطرق ، وبعد هنيهة قال : يا شيخ أجب الرجل فقال شيخ الاسلام ــ انا لا أعرف الاشعرى غير أنى العن كل من لا يعتقد ان الله فى السماء .

وفى رواية انه لما جاء السلطان الب ارسلان الى هراة اجتمع مشايخ البلد وفكروا فى ايجاد سبب ينزلون به غضب السلطان ، على شيخ الاسلام عبد الله الانصارى فقرت آراؤهم على أن يصنعوا صنما صغيرا يخبئونه فى محراب الامام ، وفعلوا ذلك ولما حضروا بين يدى السلطان اكثروا الشكوى من الامام وقالوا له :ــ انه قائل بالتجسيم واذا أراد السلطان ان يوقن بصدق دعوانا فليأمر بارسال من يأتى اليه بالصنم من مسجد الامام . فغضب السلطان

وأرسل فى الحال جماعة من غلمانه ليحضروا له الصنم ثم أمـــر باحضار شيخ الاسلام فلما دخل الشيخ مجلس السلطان وجد مشايخ البلد جالسين ووجـــد صنما صغيرا بين يدى السلطان وكان السلطان يهتز من الغضب والالـــم .

فقال السلطان للشيخ :ـ ما هذا ؟

قال الشيخ :ـ هذا صنم صغير يصنع ليلعب به الاطفال .

قال السلطان :ـ انى لا اسألك عن ذلك انما تزعم هذه الجماعة بأنك من عبدة الاصنام ؟

فقال الشيخ :ـ « سبحانك هذا بهتان عظيم » وقرأ هذه الآية بصوت ونبرة تدل على صدقه واخلاصه .

فلم السلطان براءة الشيخ وطهارة ايمانه ، ولما تحقق الامر علم انها مؤامرة أريد بها الوقيعة بالشيخ فأكرمه وصرفه وعاقب المفترين الكذابين .

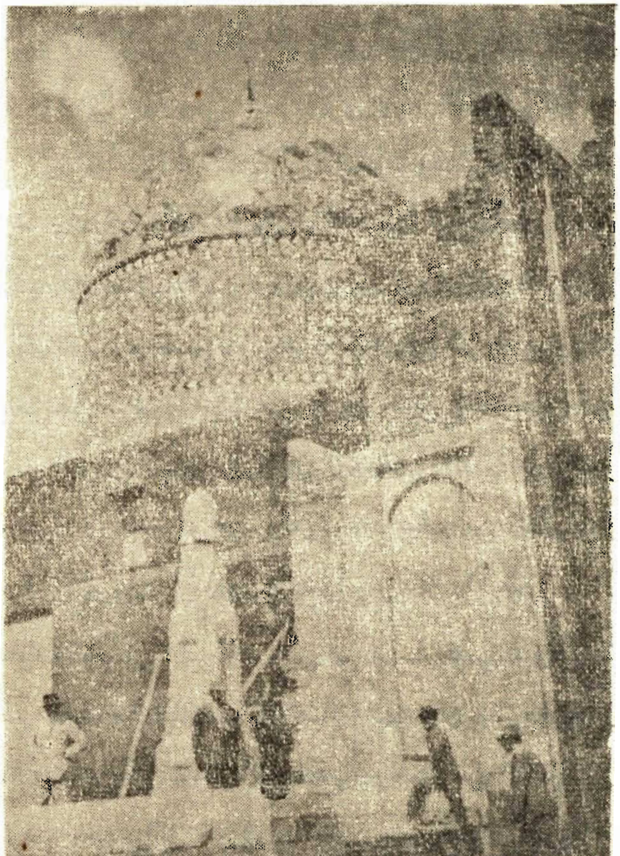
قلنا فيما سبق ان سلوك رجال الدين الاخلاقى فى عصر الخيام كـان سيئا فاسدا من الناحية الاخلاقية ، وقد سردنا امر حادثتين وقعتا فى عصره والذى ينعم النظر فى رباعيات الخيام يجده متبرما بهم متذمرا عليهم وقـــد حمل عليهم فى رباعياته مشنعا بهم من ذلك قوله :

اى مفتىء شـــهر ازتو پر كار تريم
با اين همـــه مستى زتو هشـــيار تريم
ماخون رزان خوريم وتو خون كسان
انصـــاف بده كـــدام خونخوار تريم

نحن يا مفتى المدينة أحسن منك عملا ، ومع كثرة سكرنا هـــذا نحن اصحى منك نحن نشرب دم ابنة العنقود وانت تشرب دم الناس فقل منصفا أينا شارب الدماء ؟

شیخی بزنی فاحشـة گفتـا مستی ؟
هـــر لحظــه بدام دیگری پا بستی
کفتا شیخا هـر آنجـه کـوئی هستم
اما تو جنـانجـــه مینمائی هستی ؟

قال شيخ لمومس : أنت سكرى وفى كل ساعـــة فى حضن حبيب
فقالت : يا شيخ كل ما قلته فيّ صحيح ولكن هل أنت انت كما تظهر للناس.



مرقد حجة الحق عمر الخيام فى نيسابور

العلم والعلماء في عصر الخيام

نشأ عمر الخيام فى القرن الخامس الهجرى ، وكتب الفلسفة اليونانية المترجمة شائعة ومؤلفات ارسطاطاليس وافلاطون واقليدس وبطليموس وجالينوس وفيثاغور وزه نون وأبيقور فى الفلسفة الطبيعية والالهية والرياضية ، وما يتفرع من ذلك المنطق والطب والهندسة والاخلاق والسياسة والهيئة منتشرة بين الناس ، والجدل محتدم حول آراء السوفصطائيين والكلبيين والمشائين الرواقيين وغيرهم ، من اهل المذاهب الفلسفية . هذا من جهة ومن جهة اخرى وجد الخيام فى عهد نضج فيه علم الكلام ، واشتد النزاع العلمى بين الاشاعرة والمعتزلة والحنابلة والجبرية، وشاعت آراء الباطنية ، وكثر الاقبال على التأليف فى مختلف العلوم والفنون واكتظت المدارس بطلاب العلم ، وذاعت رسائل اخوان الصفا ، وتعددت الفرق والطوائف ، وتعصبت كل فرقة لمذهبها وكثر الاطباء والفلاسفة وظهر ابو علي بن سينا ، واشتد النزاع بين الدين والفلسفة ، فوضع حجة الاسلام الامام الغزالى كتبا فى الرد على الفلسفة ، وعظم أمر التصوف وكثر القائلون بالحلول ووحدة الوجود وتفرد عدد عظيم من المفكرين بآرائهم الحرة التى لا تلائم ذوق الجمهور فاتهموا بالزندقة والابطان .

وصفوة القول ان الخيام قد عاش فى وسط علمى ، وفى بيئة علمية فنية ، فعاصر زمرة من الفلاسفة والاطباء والمهندسين والرياضين والفلكيين، من بناة الارصاد ، وقد تتلمذ لانبغ عصره والمعهم من العلماء ، وتردد الى بعضهم وتردد بعضهم اليه ، وكثرت بينه وبينهم المجادلات والمحاورات والمراسلات فى علوم شتى ، وكان لاولئك الذين تتلمذ لهم وتتلمذوا عليه مكانة علمية عظيمة فى عصره ، وحسبنا ان نعلم بان الامراء فى ذلك العصر

الزاهر كانوا يتذوقون العلم بل كانوا يتعشقونه ويصنفون التصانيف الجليلة فيه ، وكانوا من التواضع وحب العلم بحيث لا يتحرج أحدهم أن يعرض مصنفه على أحد علماء زمانه ، فقد ذكر لنا ظهير الدين البهيقى فى كتابه (حكماء الاسلام) ان ملك الرى الملك العادل العالم عضد الدنيا والدين علاء الدولة فرامز بن علي بن فرامرز عرض على والد المؤلف تصنيفه الذى سماه (مهجة التوحيد) وقال ايضا (وكان ملكا متخلقا باخلاق الحكماء مستعدا للملك) ومن حسنات ظهير الدين البيهقى أنه فتح لنا من مؤلفه الموجز كوة جعلنا نطل منها على عصر الخيام ، فنسرح النظر فى عصره العلمى العظيم ، ثم نتعرف تلك العصبة الكريمة من ذوى الفضل ممن عاصر عمر الخيام وعلموه وتعلموا عليه ، وقد رأينا أن ندرج فى كتابنا تراجم اولئك النابغين الذين اتصل المترجم بهم وكذلك الذين اتصل بهم فمنهم :ـ

الحكيم أبو الحسن الانباري

كان حكيما والغالب عليه علم الهندسة ، وكان الحكيم عمر الخيام يستفيد منه وهو يقرر له المجسطى ، فقال بعض الفقهاء يوما للانبارى ما تدرس ؟ قال افسر آية من كتاب الله تعالى • فقال الفقيه :ـ وما تلك الآية ؟ فقال الانبارى : قول الله تعالى او لم يروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها ، فانا افسر كيفية بنائها •

ونقل عنه قوله :ـ الساعى غاش وان قال قول النصيح ، واذا هممت بشر فسوف ، والصدق يقبله منك العدو ، والكذب ترده عليك نفسك ،كن للهوينى عند النوازل تاركا ، وكن لاعدائك من الشهوانية والغضبية غلوبا ، وكن للصدق مؤثرا حتى يصدق فكرك ورؤياك وتسلم من غوائل الكذب •

فرامز بن علي بن فرامز ملك يزد

اشرنا الى ذكره آنفا وكان ممن عاصر الخيام وكان ملكا عالما عادلا ،

قال البيهقى :ـ رأيته بخراسان سنة ست عشرة وخمسمائة وكان عرض على والدى تصنيفه الذى اسماه (مهجة التوحيد) وكان يذب عن رأى الحكيم ابى البركات بن ملكا الطبيب البغدادى ، ويقرر قوله فى مسألة العالميـــة ، وكان ملكا متخلقا باخلاق الحكماء ، مستعدا للملك ، قال يوما للامام عمـر الخيام :ـ ما تقول فى اعتراضات الحكيم ابى البركات على كـــلام أبى علي « ابن سيناء » ؟ فقال له الامام عمر :ـ ابو البركات لم يفهم كلام أبى علي ، وليست له رتبة الادراك لكلامه فكيف يكون له رتبة الاعتراض عليـــه ، وايراد الشكوك على كلامه • فقال له الملك علاء الدولة :ـ أمن المستحيل ان يكون حدس اقوى من حدس أبى علي ؟ أم من الممكن ؟ فقال الامـــام عمر :ـ ليس من المستحيل • فقال له الملك علاء الدولة :ـ ساواك عبـــد غيرك ، انت تقول ليست له رتبة الادراك والاعتراض وغلامى الدواتىيقول له رتبة الادراك والاعتراض والزيادة تتكلم بما لا يزيد به كلامك علىكلام مملوك ولا تميل الى سفاهة غلامى اقدر عليها منك فتشور الامام عمر ، فقال له الملك علاء الدولة الحكيم يهجن كلام غيره بالبرهان والجـــدلى السفيه بالوقيعة والبهتان ، فأطلب أعلى الدرجتين ولا تقنع بأخس الرذيلتين فكان الامام عمر ملجما بالسكوت • ومن كلمات الملك علاء الدولة فى تصنيفـــه المسمى « مهجة التوحيد » من لا يكمل صناعته التى تليق به فليس لـــه ان يطلب مناعة اخرى فان رضى بالناقص والنقصان مار محجوبا عن نيل الكمال فى جميع الاحوال •

الفيلسوف محمد الايلاقي

ومن اختلف الى الامام عمر الخيام واستفاد من علومه السيد الامـــام الفيلسوف شرف الزمان محمد الايلاقى • قال البيهقى :ـ اجتمعت فيـــه الفضائل باسرها العلمية والعملية وله تصانيف كثيرة مثل كتاب (اللواحق)

ومثل كتاب « دوست نامه » وكتاب « سلطان نامه » وكتاب فى « اعداد الوفق » وكتاب « الحيوان » وغير ذلك وله رتبة عالية فى الافادة والانصاف والتميز وكان مباركا حسن المعالجة وكان مقيما بباخرز ثم ارتبطه علاء الدين ابن قماج ببلخ وقتل فى مصاف كورخان بقطوان ، ومن كلماته :ـ انفس الحيوانات ساجدة للانفس الانسانية التى هى خلائف الارض وجازت على الصراط الاول فاذا كلمت بالعلوم فهو جوازها على الصراط الثانى ، والانخداع فى صغار الامور من علو الهمة والحرص على المحقرات من الفضائح • الفلسفة علم الكل وصناعة الصناعات كما قال امير الامراء والمتفلسف المتشبث بالمبادىء على حسب الطاقة •

الحكيم علي بن محمد الحجازي القايني

وهو من تلامذة عمر الخيام ، وكان طبيبا وقورا وفيه آداب الاطباء مجموعة وله اخلاق جميلة وكان عارفا بظواهر المعقولات وله رسائل فى الطب والمعالجات وقد صنف باسم السلطان الاعظم سنجر السلجوقى كتابا فى مفاخر الاتراك وصنف باسم الملك العادل العالم خوارزمشاه اتسز بن محمد كتابا فى الحكمة ، وعاش تسعين سنة ومات فى سنة ست واربعين وخمسمائة • وكان من تلامذة الامام عمر الخيامى •

العلامة عبدالله بن محمد الميانجي

ومن تلامذة عمر الخيام عين القضاء ابو المعالى عبدالله بن محمد العلامة الميانجى الصوفى الحكيم • ذكره الامام ابو الحسن البيهقى فى تاريخه • وهو من تلاميذ صدر المشايخ محمد بن حمويه والامام ابى الفتوح احمد ابن محمد الغزالى وكان يضرب به المثل فى الذكاء والفضل ، وكان من تلاميذ عمر الخيامى ، وخلط كلام الحكماء بكلام الصوفية ومولده سنة ٤٩٠هـ

وكان فقيها اديبا يميل الى الصوفية وصنف فى فنون العلوم وكان حسن الكلام . وكان الناس يعتقدون فيه ويتبركون به وظهر له القول التام بين الخاص والعام حتى حسدوه واطلقوا السنتهم فيه وقصده ابو القاسم الوزير الدركزينى وعقد عليه محضرا ، وحمله الى بغداد مقيدا ، وصلب بهمدان فى اليوم السابع من جمادى الآخرة سنة ٥٢٥ هـ وقبره يزار بها .

بناة الارصاد الفلكية

كان عمر الخيام متضلعا من علم الفلك ، وقد عاصره جماعة من نبغاء الفلكيين والمنجمين ، وتعاون هو وجماعة من الفضلاء على بناء رصد للسلطان ملكشاه السلجوقى وقد جاء ذكر هذا الخبر فى كتاب كامل التواريخ لابن الاثير كما اشرنا اليه وذلك فى ذيل حوادث سنة ٤٦٧ وهذا نصه : وفيها أى سنة ٤٦٧ جمع نظام الملك والسلطان ملكشاه وجماعة من اعيان المنجمين وجعلوا النيروز اول نقطة من الحمل وكان النيروز قبل ذلك عند حلول الشمس نصف الحوت وصار ما فعله السلطان مبدأ التقاويم وفيها ايضا عمل الرصد للسلطان ملكشاه واجتمع جماعة من اعيان المنجمين فى عمله منهم عمر بن ابراهيم الخيامى وابو المظفر الاسفزازى وميمون بن النجيب الواسطى وغيرهم وخرج عليه من الاموال شىء عظيم وبقى الرصد دائرا الى ان مات السلطان سنة ٤٨٥ هـ فبطل بعد موته .

وقد ظفرت بترجمتين مقتضبتين لابى المظفر الاسفزازى وميمون بن النجيب الواسطى ولم اظفر بترجمة بهرام منجم ملكشاه ، غير انى عثرت على ترجمة للفيلسوف محمد بن احمد المعمورى البيهقى فى كتاب حكماء الاسلام للبيهقى جاء فيها انه ارتحل الى اصفهان بسبب الرصد الذى امره بعمله ملكشاه ، وكان الامام عمر الخيامى يعترف بتبريزه ومتانته فى تلك العلوم ... فلم أشك فى أن المعمورى كان من جملة الفلكيين الذين بنوا

الرصد مع عمر الخيام ، وفيما يأتى ترجمة الفلكيين الذين عاصروا الخيام وبنوا الرصد معه .

الفيلسوف محمد بن المعموري البيهقي

كان تلو بنى موسى فى الرياضيات ، وكان بيهقى الاصل والمولد ، وصف كتابا فى دقائق المخروطات ما سبقه اليه أحد وكان بين كتب قطب الزمان منه اصل والاعمال التى تتعلق بالحيل والاثقال وغير ذلك تساعده مساعدة عظيمة . والامام عمر الخيام يعترف بتبريزه ومتانته فى تلك العلوم .

واتفق انه ارتحل الى اصفهان بسبب الرصد الذى امره بعمله ملكشاه فبقى فيها الى ايام السلطان محمد . ولما اتفق احراق اصحاب الجبال والقلاع من الباطنية ، وأقبل السلطان محمد على ذلك رأى المعمورى تسيير درجة طالعه التى هى الهيلاج متصلة بجرم نحس وشعاع نحس ، فخاف ذلك الاتصال فخرج من دار السلطان ، وكان فيها محترما مكفى المؤونة ودخل دار صديق له وانزوى فى زاوية بيته ، فلما اخذوا باطنيا وجروه ليحرقوه علت النسوان والصبيان السطوح للنظر اليه ، فعثرت امرأة على سطح ذلك البيت الذى فيه المعمورى ، فغضبت المرأة وصاحت وقالت :ـ معاشر الناس فى هذا البيت قرمطى ، فدخلوا واخذوه وقتلوه ، فلما اخرجوه مقتولا عرفه اولياء السلطان ، فلاموا الغاغة وما نفع اللوم ولا الحذر من القضاء المحتوم ولا تأخير الاجل المسمى ولا مفر من العواقب .

ومن كلماته : القدر من سر الله الاعظم .

كل ما يصلح جانبا ويفسد جانبا آخر فليس بحسن .

كل ما يزيد فى العلم ينقص من الجهل .

وقال : الغاية اما ناموسية واما طبيعية واما صناعية واما اتفاقية ، فالناموسية هى التى تبلغ اليها بالرأى الثاقب ، والطبيعية ما تبلغ اليها الطبيعة

فى زمان ، والصناعية هى مقصود الصناعة كالكن للبيت ، والغاية التى هى بالبخت والاتفاق هى التى يصادفها الانسان من غير قصد •

وقال : لكل علم موضوع ومبادىء ومسائل ، فالموضوع هو المنظور فيه ، والمبادىء المبرهن عنها والمسائل مبرهن عليها •

الفيلسوف أبو حاتم المظفر الاسفزاري

كان حكيما معاصرا للفيلسوف عمر الخيام وبينهما مناظرات ولكـــن المظفر عنه بعيد والغالب على المظفر علوم الهيئة وعلم الاثقال والحيل ، وكان حانيا ، رؤفا بالمستفيدين على خلاف طبيعة الخيام وللمظفر تصانيف كثيرة فى الرياضيات والاثار العلوية وغير ذلك وهو الذى عمل ميزان « ارشميد » المقياس الذى يعرف به الغش والعيار ، وصرف من عمره فى ذلك مـــدة فخاف خازن السلطان الاعظم وهو خصى يقال له « سعادة » الخادم ظهـــور خيانته فى الخزانة بسبب هذا الميزان فكسره وفتت اجزاءه ولما سمع الحكيم المظفر بهذا مرض ومات اسفا •

ومن كلماته قوله « نسبة اللذة الجسميّة الى اللذة العقلية كنسبة المتنسم الى المتطعم » •

وقال : « المعلم أب روحانى والوالد أب بشرى » •

وقال : « يجب أن يكون الملك سخيا على نفسه ورعيته » •

الحكيم ميمون بن النجيب الواسطي

كان واسطى الاصل خوزى المولد ، سكن العراق • وكان طبيبـــا فاضلا حكيما ، قيل انه كان يحفظ المنطق والطبيعيات والالهيات من كتـــاب الشفاء وقلما يخالط ارباب الدولة لجاه أو مال وكان عامل هراة شرف الدين ظهير الملك علي بن حسن البيهقى يشتاق الى محاورته الا أنه كان ـ كمـــا

ذكرنا - لا يقرب ارباب الدولة فكان ظهير الملك اذا مرض أو مرض احد اولاده أنزل جماعة من الاتراك فى داره فأزعجوه واضطره الى رفع المال الى العامل فعند ذلك يحتبسه حتى يعالج مرضه أو مرض أحد الاولاد ويجاوره ويجالسه مدة •

ومن حكمه قوله « ان نلت حاجة برأى خطأ فلا يشجعنك ذلك على معاودة الخطأ تارة اخرى » • « العاقل من اذا نزل عليه بلاء لم يدهشه عن طلب الحيلة وهذا هو الحزم • والعاجز هو الذى يدهش فى البديهة ولا يعد لما لم يأت عدة » • « لا ينفع القول وان كان حكمة وصوابا مع سوء الاستماع » •

الخازن

ابو الفتح عبد الرحمن المنصور الخازنى المعروف بالخازن ، من علماء النصف الاول من القرن الثانى عشر للميلاد •

نشأ فى « مرو » اشهر مدن خراسان ودرس فيها وأخذ عن علمائها اشتغل بالطبيعة ولا سيما ببحوث الميكانيكا فبلغ القمة ، وقد وفق بعمل زيج فلكى سماه الزيج المعتبر السنجارى واكبر الظن انه رتبه للسلطان سنجر وفيه حسب مواقع النجوم لعام ٥٠٩ - ٥١٠ هـ • وقد وضع الخازن كتابا فى الميكانيكا سماه كتاب ميزان الحكمة وهو الاول من نوعه بين الكتب العلمية القيمة • وقد يكون هذا الكتاب الوحيد المعروف الذى يحتوى على بحوث مبتكرة جليلة ، وقد تجلت عبقرية الخازن فى مؤلفه •

فقد ثبت من كتاب ميزان الحكمة ان من بين المواد الذى تناولها البحث مادة الهواء ووزنه واشار الى ان للهواء وزنا وقوة رافعة كالسوائل • وان وزن الجسم المغمور فى الهواء ينقص عن وزنه الحقيقى •

وبين الخازن أيضا ان قاعدة ارخميدس لا تسرى فقط على السوائل كما تسرى على الغازات وبحث فى الكثافة وكيفية ايجادها للاجسام الصلبة والسائلة واعتمد فى ذلك على كتاب البيرونى وتجاربه فيها • واخترع الخازن ميزانا لوزن الاجسام فى الهواء والماء ويتجلى عن كتاب ميزان الحكمة أيضا ان الخازن قال بقوة جاذبة على جميع جزئيات الاجسام كما اوضح ان الاجسام تتجه فى سقوطها الى الارض وقال ان ذلك ناتج عن قوة تجذب هذه الاجسام فى اتجاه مركز الارض ويرى ان اختلاف قوة الجذب يتبع المسافة بين الجسم الساقط وهذا المركز • واجاد الخازن فى بحوث مراكز الاثقال وفى شرح بعض الآلات البسيطة وكيفية الانتفاع بها • وقد أحاط بدقائق المبادىء التى عليها يقوم ميزان • ومن كتاب ميزان الحكمة يتبين كذلك ان العرب فهموا فعل « الشرقة » وسببها وضع الماء فى أنابيب شعرية لها فتحة واحدة كما تتجلى الدقة التى وصل اليها •

والخازن هو من ألمع علماء الرياضيات والميكانيكا فى عصر الخيام •

الخرقى

محمد بن أحمد أبو بسر بهاء الدين الخرقى ولد فى قرية من قرى مرو وتوفى فى مرو من أعمال خراسان سنة ٥٣٣هـ وهو من معاصرى حجة الحق عمر الخيام •

والخرقى فلكى ورياضى وجغرافى مشهور • وقد كتب مؤلفاته بالعربية ومن أشهر مصنفاته كتاب « منتهى الادراك فى تقسيم الافلاك » وهو مرتب على ثلاثة مقالات :—

الاولى فى تركيب الافلاك وحركاتها •

والثانية فى هيئة الارض وتقسيمها الى ثلاثة أقسام مسكونة وغير

مسكونة وبحث فيه فى البحار الخمسة وان اختلاف الطالع والمطالع يرجع الى الاوضاع الجغرافية .

والثالثة فى ذكر التواريخ وتقسيمها وأدوار القرانات وعودتها .

وله أيضا كتاب التبصرة وقد لخص فيه « كتاب منتهى الادراك » وجاء عنه فى « كتاب كشف الظنون » ما يلى :ـ

« وهو من الكتب المتوسطة ، ألفه « لابى الحسين على بن نصير الدين » الوزير ذكر فيه انه اقتدى « بابن الهيثم » فى تقسيم الافلاك بالاكر المجسمة، دون الاقتصار على الدوائر المتوهمة ، كما هو دأب أكثر المتقدمين .

وقسمه قسمين : قسم فى الافلاك ، وقسم فى الارض ، وذكر فى الاول اثنين وعشرين بابا وفى الثانى أربعة عشر بابا وشرحه « أحمد بن عثمان بن صبيح » المتوفى فى ٧٤٤ هـ وله أيضا :ـ « كتاب الرسالة الشاملة فى الحساب » و « كتاب الرسالة المغربية » .

الاسطرلابى

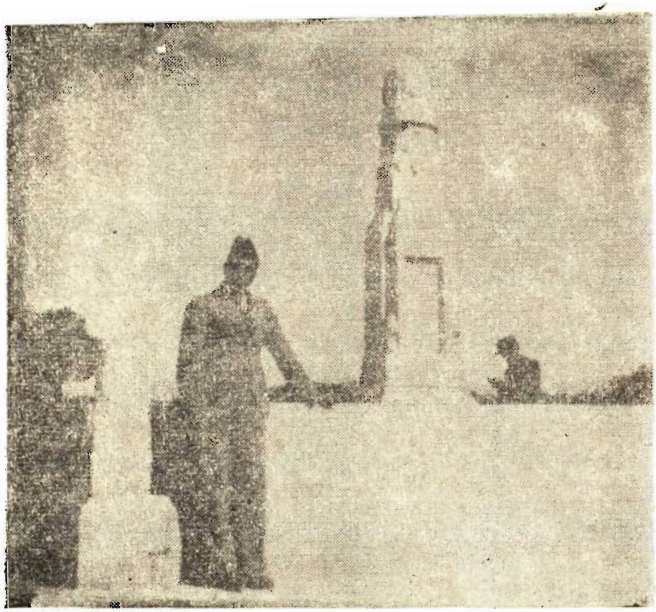
أبو القاسم هبة الله بن الحسين بن أحمد البغدادى المعروف بالبديع الاسطرلابى من الحكماء الفضلاء والادباء النبلاء طبيب عالم وفيلسوف متكلم غلبت عليه الحكمة وعلم الكلام الرياضى وكان متقنا لعلم النجوم والرصد وقد تفرد فى علم الآلات الفلكية وأتقن صنعتها وهو من أعظم معاصريه فى صنع الاسطرلابات وأكثرهم بروزا فى صنع الآلات الفلكية .

نشأ فى أصفهان ثم رحل الى بغداد وهناك اشتغل بالفلك وأصابه منه رزق كثير فى عهد الخليفة المسترشد ومات فى بغداد سنة ٥٣٤ هجرية .

وفى سنة ٥٢٤ هجرية عمل جداول فلكية فى قصر السلطان السلجوقى ببغداد ، وضعها فى كتاب سماه « الزيج المحمودى » نسبة الى

السلطان محمود أبي القاسم محمد . والاسطرلابي ممن عاصر الخيام وعاش في عهده .

ان عصر الخيام عصر علمي ويشتمل على علماء القرن الخامس وأوائل القرن السادس وعصره يشتمل على طائفة جليلة من الحكماء والرياضيين والمهندسين والاسطرلابيين أمثال الخازن وابن الافلح والاسفزاري والخرقي والبيهقي محمد بن أحمد المعموري والبيهقي على بن شاهك وابن الصلاح والنيسابوري والسموءل وكعب العمل البغدادي وأبو على المهندس وأبو الرشيد وأبو الفضل عبدالكريم وابن الياسمين والرازي وعبدالملك الشيرازي والبديع الاسطرلابي والحصار وابن الكاتب وكمال الدين بن يونس ومحمد ابن الحسين وابن التلميذ وغيرهم ممن دونت تراجمهم في كتب التراجم .



المؤلف يخطب عند قبر الخيام في نيسابور سنة ١٩٣٤م

زعماء الحركة الفكرية في عصره

الغــزالى

أبو حامد محمد الغزالى ولد سنة ٤٥٠ وتوفى فى سنة ٥٠٥هـ تلقى العلوم فى طوس على العلامة أحمد الراذكانى ثم اختلف الى دروس امام الحرمين أبى المعالى الجوينى فى نيسابور وكان الغزالى نابغة عصره وله آراء فى الدين ونظريات فى الفلسفة والاخلاق وقد نال فى حياته شهرة عظيمة وصيتا كبيرا وكان فى ابتداء أمره سوفسطائيا مرتابا يميل الى مذهب الشك ثم التحق بخدمة الوزير نظام الملك وتعين فى سنة ٤٨٤ استاذا فى المدرسة النظامية البغدادية فأحبه أهل بغداد وارتعت عندهم منزلته وقد قضى فيها أربع سنوات مدرسا ثم حصل له تطور فجائى فى عقائده فعاد زاهدا ناسكا مؤمنا بالله وبقدسية أنبيائه وخلود النفس بعد أن كان كثير الارتياب فترك بغداد موليا ثموجهه شطر بيت الله ثم زار الشام والقى فيها الوعظ والدروس ثم انتقل الى بيت المقدس واجتهد فى العبادة وزيارة المشاهد والمواضع المعظمة وأخيرا مال بكليته الى التصوف وقراءة كتب الجماعة ومقت الفلسفة والفلاسفة وأشهر عليهم حربا عوانا فى كتابه « تهافت الفلاسفة »(١) وألف التأليف النفيسة الجليلة التى دلت على قوة محاكمته وبعد نظره وصفاء ذهنه وأشهرها احياء العلوم والوسيط والبسيط والوجيز والخلاصة فى الفقه والمستصفى فى اصول الفقه ومحك النظر ومعيار العلم والمقاصد والمضنون به على غير أهله والمقصد الاسنى فى شرح أسماء الله الحسنى

---

(١) وقد رد عليه ابن رشد بكتابه (تهافت التهافت) منتصرا للفلسفة

ومشكلة الانوار والمنقذ من الضلال وحقيقة القولين والمنخول والمنخل فى علم الجدل •

ثم عاد الغزالى الى نيسابور وعلم فى مدارسها وفى أواخر أيامه عاد الى وطنه واتخذ خانقاه للصوفية ومدرسة للمشتغلين بالعلم فى جواره ووزع أوقاتها على وظائف الخير من ختم القرآن ومجالسة أهل القلوب والقعود للتدريس الى أن انتقل الى ربه •

وكانت مكانته العلمية جليلة فى الاقطار الاسلامية وكان آية فى الذكاء حافظا للعلوم حتى لقبه الناس « حجة الاسلام » والغزالى عاصر الخيام وصادفه فى بغداد وجرى بين الاثنين حوار علمى حول القراء وتعيين جزء من أجزاء الفلك القطبية دون غيرها مع كونه متشابه الاجزاء •••

الشهرستانى

ومن العلماء الذين عاصروا عمر الخيام الشهرستانى الشهير وكنيته أبو الفتح واسمه محمد بن أبى القاسم عبدالكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستانى وكان اماما مبرزا فقيها عالما بالاديان ضليعا من آراء أصحاب المقالات تفقه على أحمد الخوافى وعلى أبى نصر القشيرى وبرع فى الفقه وقرأ الكلام على أبى القاسم الانصارى وتفرد فيه وصنف كتاب نهاية الاقدام فى علم الكلام واشتهر بتأليفه كتاب الملل والنحل والمنهاج والبيان وكتاب المضارعة وتفحيص الاقسام لمذاهب الانام وكان كثير المحفوظ حسن المحاورة دخل بغداد سنة ٥١٠هـ وأقام بها ثلاث سنين وسمع الحديث من على بن أحمد المدينى بنيسابور وغيره وكتب عنه الحافظ أبو سعد عبدالكريم السمعانى وذكره فى

كتاب الذيل وسأله ابن السمعانى عن مولده فقال فى سنة ٤٧٩هـ وتوفى بشهرستان سنة ٥٤٨هـ ومما ينسب اليه :

لقد طفت فى تلك المعاهد كلها وسيرت طرفى بين تلك المعالم
فلم أر الا واضعا كف حائر على ذقن أو قارعا سن نادم

ولا أشك فى أن الشهرستانى كان ممن عرف الخيام وكانت للخيام صلة به لاتفاق تلقيهما العلوم فى مدينة واحدة وتقارب أعمارهما وقد طعن الناس فى الشهرستانى واتهموه بالزندقة لاشتغاله بآراء الفلاسفة .

الشيخ ابو اسحق

كان امام وقته فى بغداد وقد تولى المدرسة النظامية فيها وكان فى عنفوان شبابه قد تفقه على جماعة من الاعيان وصحب القاضى أبا الطيب الطبرى وقد ألف كتبا مفيدة منها المهذب فى المذهب والتنبيه فى الفقه واللمع وشرحها فى اصول الفقه والتبصرة والمعونة والتلخيص فى الجدل ومن شعره .

سألت الناس عن خل وفى فقالوا ما الى هذا سبيل
تمسك انظفرت بذيل حر فان الحر فى الدنيا قليل

توفى سنة ٤٧٦هـ وجلس أصحابه للعزاء بالمدرسة النظامية ولما انقضى العزاء رتب مؤيد الملك بن نظام الملك أبا سعد المتولى مكانه ولما بلغ الخبر نظام الملك كتب بانكار ذلك وقال كان من الواجب أن تغلق المدرسة سنة لاجله وزرى على من تولى موضعه وأمر أن يدرس الشيخ أبو نصر عبدالسيد بن الصباغ فى مكانه .

امام الحرمين

هو أبو المعالى عبدالملك الملقب ضياء الدين المعروف بامام الحرمين وكان أوحد أهل زمانه فى العلوم . تعلم فى مدرسة البيهقى ثم سافر الى بغداد وخرج الى الحجاز وجاور بمكة أربع سنين ثم درس وافتى فى المدينة فلهذا قيل له امام الحرمين وفى أوائل سلطنة ألب أرسلان السلجوقى عاد الى نيسابور وتولى التعليم والخطابة فى المدرسة النظامية التى بناها نظام الملك فى نيسابور وكان الشيخ أبو اسحق الشيرازى يقول له يا مفيد أهل المشرف والمغرب انت اليوم امام الائمة وقد ترك مؤلفات هى ثروة عظيمة قد أحصاها ابن خلكان (ج١ ص ٢٨٧) وكانت وفاته سنة ٤٧٩هـ ولما شاع خبر وفاته اغلقت الاسواق وكسر منبره فى الجامع وقعد الناس لعزائه وأكثروا فيه المراثى وكانت تلامذته يومئذ قريبا من أربعمائة واحد فكسروا أقلامهم ومحابرهم وأقاموا على ذلك عاما كاملا وامام الحرمين هو أحد أساتذة عمر الخيـــام .

علومه وتآليفه

نصت الكتب والوثائق التأريخية التى ضمت بين دفاتها تراجم عـدة لعمر الخيام على ان الحكيم المشار اليه كان من أبرز علماء عصره ، وألمع فضلاء زمانه ، وانه أحاط علما بجميع العلوم الشائعة فى حياته احاطة تامة ، حتى لقد لقب لجلالة قدره وعلو منزلته فى العلوم بحجـة الحق ، والدسـتور ، والامام والفيلسوف ، والحكيم .

الفلسفة والحكمـة

قال البيهقى :ـ كان تلو أبى على ابن سينا فى اجزاء علوم الحكمة

وأيده الشهرزورى فقال :ـ عمر الخيامى النيسابورى الآباء والبلاد ، كان تلو أبى على فى اجزاء علوم الحكمة .

وقال القفطى :ـ وكان عديم القرين فى علوم النجوم والحكمة .

وقال القزوينى عماد الدين : نيسابور ... ينسب اليها من الحكمـاء عمر الخيام كان حكيما عارفا بجميع أنواع الحكمة .

فيفهم مما تقدم أن عمر الخيام كان حكيما ومن رادة القضايا الفلسفية .

الرياضيات والفلك

نقلنا قول ابن الأثير فى كامل التواريخ فى حوادث سـنة ٤٦٧هـ . وفيها عمل الرصد للسلطان ملكشاه ، واجتمع جماعة من أعيان المنجمين فى عمله ، منهم عمر بن ابراهيم الخيامى ، وأبو المظفر الاسفزارى وميمون بن النجيب الواسطى وغيرهم ... وقول القفطى :ـ وكان عديم القرين فى علم النجوم وقول . القزوينى :ـ كان حكيما عارفا بجميع أنواع الحكمة سـيما

النوع الرياضي ، وقد رتب (الزيج) لجلال الدين ملكشـــاه فســـمى الزيج الجلالى •

فيظهر مما احتوته الوثائق انه كان رياضيا فلكيا •

الطـــب

قال البيهقى :ـ ودخل الامام يوما على السلطان الاعظم سنجر ، وهو صبى وقد أصابه الجدرى ، فخرج من عنده ، فقال له الوزير مجير الدولة : كيف رأيته وبأى شيء عالجته ؟ فقال له الامام عمر ـ الصبى مخوف عليه ، ففهم ذلك خادم حبشى ، ورفع ذلك الى السلطان ، فلما برىء السلطان أضمر بسبب ذلك بغض الامام عمر وكان لا يحبه • وقد أيد الشهرزورى الحكاية نفسهـــا •••

وقد علم مما تقدم انه كان طبيبا •

علـوم اخـرى

قال البيهقى :ـ انه كان عالما بالفقه واللغة والتواريخ ، وزاد على ذلك فذكر علمه بالقراءآت ، وقص علينا دخول الامام عمر يوما عـلى شـــهاب الاسلام الوزير وهو عبدالرزاق ابن الفقيه الاجل أبى القاسم عبدالله بن على ابن أخى نظام الملك ، وكان عنده امام القراء أبو الحسن ابن الغزال ، وكانا يتكلمان فى اختلاف القراءة فى آية • فقال شهاب الاسلام :ـ على الخبـــير سقطنا • فسئل الامام عمر عن ذلك ، فذكر وجوه اختلاف القراء ، وعلل كل واحد ، وذكر الشواذ وعللها وفضل وجها واحدا على سائر الوجوه • فقال امام القراء أبو الحسن ابن الغزال : كثر الله فى العلماء مثلك ، اجعلنى من ادمة اهلك وارض عنى ، فانى ما ظننت ان واحدا من القراء فى الدنيا يحفظ ذلك ويعرفه فضلا عن واحد من الحكماء •

الشعر بالايرانية

كان الخيام شاعرا بلغته الايرانية ، ورباعياته المتداولة بين طبقات الناس على اختلاف مللهم وألسنتهم ملأت النفوس اعجابا ، وفيها من الحقائق والاحساس والخيال والجمال مما جعل مكانة الخيام فى الشعر عالية ، وقد ترجمت الرباعيات الى كثير من اللغات الاوربية والشرقية .

الشعر بالعربية

كان الخيام متضلعا من العربية ، وان استضعفه فيها الزمخشرى وقد قرض الشعر بها غير ان شعره العربى نزر جدا ، ولم نعثر له الا على ثلاث قطع ، واحدة منها ذكرها القفطى فى كتابه اخبار الحكماء ، وذكر القطعتين الثانيتين الشهرزورى ، فى كتابه نزهة الارواح وروضة الافراح . وفى شعره مسحة من روح أبى العلاء ونفحة من نفحاته وقد ذكرنا سابقا انشاده لابيات للمعرى بحضرة الزمخشرى وفيما يأتى شعره العربى :

اذا رضيت نفسى بميسور بلغة	يحصلها بالكد كفى وساعدى
أمنت تصاريف الحوادث كلها	فكن يا زمانى موعدى أو مواعدى
ولى فوق هام النيرين منازل	وفوق مناط الفرقدين مصاعدى
أليس قضى الافلاك من دورها بأن	تعيد الى نحس جميع المساعد
فيا نفس صبرا عن مقيلك انما	تخر ذراها بانقضاض القواعد
متى ما دنت دنياك كانت بعيده	فوا عجبى من ذا القريب المباعد
اذا كان محصول الحياة منية	فسيان حالا كل ساع وقاعد

* * *

تدين لى الدنيا بل السبعة العلى	بل الافق الاعلى اذا جاش خاطرى
أصوم عن الفحشاء جهرا وخفية	عفافا وافطارى بتقديس فاطرى

وكم عصبة ضلت عن الحق فاهتدت ... بطرق الهدى من فيض المتقاطر
فان صراطى المستقيم بصائر ... نصبن على وادى العمى كالقناطر

* * *

زجيت دهرا طويلا فى التماس أخ ... يرعى ودادى اذا ذو خلة خانا
فكم الفت وكم آخيت غير أخ ... وكم تبدلت بالاخوان اخوانا
وقلت للنفس لما عز مطلبها ... والله لا تألفى ما عشت انسانا

* * *

وله أبيات اخرى ، وجدتها فى ترجمة الشاعر الرقيق صديقنا وديع البستانى مترجم الرباعيات غير انه لم يذكر الاصل الذى نقل عنه هذه الابيات وهذه هى :

سبقت العالمين الى المعالى ... بصائب فكرة وعلو همة
فلاح بحكمتى نور الهدى فى ... ليال للضلالة مدلهمة
يريد الجاحدون ليطفئوها ... ويأبى الله الا أن يتمه

* * *

العقل يعجب فى تصرفه ... ممن على الايام يتكل
فنوالها كالريح منقلب ... ونعيمها كالظل منتقل

* * *

مؤلفاته

قال البيهقى :ـ وقد ذكرناه آنفا ـ « وله ـ أى لعمر الخيام ـ ضنة بالتصنيف والتعلم وله مختصر فى الطبيعيات ، ورسالة فى الوجود ورسالة فى الكون والتكليف وكان عالما باللغة والفقه والتواريخ » • وقد أيد الشهرزورى رواية البيهقى •

١ ـ رسالة فى براهين الجبر والمقابلة مع خمسة الواح للاشكال • فى ٥٢ صفحة مع مقدمة • طبعها العالم الجليل وابك الالمانى مع ترجمة بالفرنسية فى باريس سنة ١٨٥١ •

٢ ـ رسالة فى شرح ما أشكل من مصادرات كتاب (اقليدس) والرسالة محفوظة فى هولندة فى دار كتب ليدن •

٣ ـ الزيج الملكشاهى وهو الزيج الجلالى الذى أشرنا اليه قبل هذا•

٤ ـ رسالة فى الطبيعيات ، ذكرها البيهقى والشهرزورى •

٥ ـ رسالة فى الوجود كتبها عمر بالفارسية لفخر الملك بن المؤيد ، والنسخة محفوظة فى (دار التحف البريطانية) وقد كتب فى صدر الكتاب (رسالة بالعجمية لعمر بن الخيام « كذا » فى الكليات الوجود) •

٦ ـ رسالة فى الجواب عن ثلاث مسائل ، كشف الحجاب عن ضرورة التضاد فى العالم ، نشرها محى الدين صبرى ، مع عدة رسائل بعنوان (جامع البدائع) وطبعها فى مصر •

٧ ـ رسالة فى الكون والتكليف، وقد ذكرها البيهقى والشهرزورى، وهى رسالة فلسفية كتبها جوابا عن سؤال عبدالرحيم النسوى القاضى ، ونشرها محى الدين صبرى ايضا فى مصر •

٨ ـ رسالة فى الاحتيال لمعرفة مقدارى الذهب والفضة ، فى جسم مركب منها ، محفوظة فى مكتبة (كوتا) فى المانية •

٩ ـ رسالة فى لوازم الامكنة ، بحث فيها عن اختلاف المواسم والفصول والاقاليم •

٧ ـ رسالة فى جواب القاضى أبى نصر محمد بن عبدالرحيم النسوى وهى منطوية على المباحثة عن حكمة الله تعالى فى خلق العالم وتكليف الناس بالعبادات • والظاهر لنا انها الرسالة التى ذكرناها فى الرقم السابع •

١٠ ـ نوروزنامه : وهو كتاب جليل بحث فيه عن رسوم وأعياد الايرانيين ولا سيما عن تاريخ وآداب احتفالات يوم النوروز وذكر تراجم بعض ملوكهم والرسالة قوية الانشاء تدل على تضلع الخيام من الايرانية وقد نشرها السيد مجتبى مينوى الاديب الايرانى المشهور •

١١ ـ ديوان رباعياته •

ادبـه

أجمعت الوثائق التأريخية التى ترجمت عمر الخيام على انه قـد حاز فضائل جمة ومزايا كثيرة ، فكان رياضيا فلكيا ، وكان طبيبا حكيما ، وكان أيضا شاعرا قرض الشعر بلغة قومه ، وقد سـلك فى نظم الشـعر مسـلكا يختلف عن الآخرين ، فلم ينظم القصائد الطوال فى الغزل والمديح والرثاء والهجاء والاوصاف ولا غير ذلك من أغراض الشعراء ، وقد انفرد بالتعبير عن شعوره وحده ، فلم يتغزل بفاتنة سلبته لبه ، ولم يمدح ملكا ولا أميرا لنيل وفر ومال ، ولم يذم شخصا لعداوة وضغينة ، ولم يتعرض فى شعره لاحد من معاصريه لا بالخير ولا بالشر ، وانما كان اذا جاشت فى صدره نفثات واضطربت فى جوانحه هواجس ، وهاج فى قلبه الشجو صب نتاج هذه الانفعالات النفسية فى قوالب شعرية جميلة ، يظهر منهـا أدبه الغض الريان عريانا كالشمس ، يتمثل فيه الالم والسخرية ، والنقـد والهـزء ، والانكار والجحود والتهكم والجرأة والصراحة فيمثل بمجموعه روحـه أصدق تمثيل .

الخيام شاعر ولا كالشعراء ، وقد أرغمته نفسه الثائرة المتألمة وحسه المرهف على أن ينطق بالشعر ، فهو لم يصف الا ما كانت تشعر به روحه ، ويضطرم به قلبه ، ولم يسخر الا مما كان يعارض عقيدته ، فغرضـه من الشعر يختلف عن أغراض الشعراء كما ذكرنا ، فهدف هؤلاء شؤون الحياة، وهدف الخيام علة الحياة .

وبينا نرى الشعراء يتغزلون ، ويمدحون ويهجون ، ويصورون ما تقع عليه عيونهم من مظاهر الدنيا ، فيلتهون بسفساف الحياة نرى الخيام يتغزل

بالطبيعة ، ويتشكى الفلك ، ويصف ما تتحسس به نفسه من آلام وأفراح ، ونظرات فى فلسفة الحياة وعلة التكوين .

وبينا نرى الشعراء يستهدفون فى نظم الشعر الحصول على الجاه والمال، نرى الخيام يتمثل فى نظم الشعر معالجة الحال ، والحيرة فى أسباب الخليقة والفناء والزوال .

لهج الشعراء بالخمرة ولهج الخيام بها ، فأحبها الشعراء لانها جالبة للسرور ، وأحبها الخيام لانها دافعة للالام . مدح الشعراء الناس طمعا فى أموالهم وأنب الخيام الناس على كثرة أحقادهم وضغائنهم . شتم الشعراء الناس لاغراض دنوية . ولام الخيام الكواز عندما رآه يجبل الطين ويرهصه بقسوة واعتساف . فكان أصدقهم لهجة وأوفرهم صراحة . وأكثرهم جرأة ،وكان كشبيهه وقدوته أبى العلاء المعرى شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء .

الرباعيات

فاذا ما بحثنا عن أدب الخيام . فان بحثنا ينحصر فى رباعياته . فهى مظان فلسفته ومستودع آرائه . وقد فتنت الالباب رباعياته الذائعة الصيت . فكان له بها أنصار . يجعلونه من أكابر الشعراء ويسرفون فى تبجيله ويفضلونه على غيره .

نظم الخيام رباعياته فى أزمنة وأمكنة مختلفة ، وكانت نفسه تتمثل فى كل رباعية من رباعياته تمثلا خاصا بها ، بما كان يحيط به من المؤثرات، فيقول فى كل حادثة كلمة ، ولذلك نجد كل رباعية مستقلة بنفسها ، لا علاقة لها بما قبلها ، ولا ما بعدها ، وقد نرى تناقضا ظاهرا بين رباعيتين ، وذلك عند جولته فى مضمار الشك واليقين ، فتارة نراه مؤمنا ومطمئنا ومرة نجده مرتابا مضطربا ، وهو أشبه روحا بأبى العلاء فى لزومياته ، وهذا يدل

على كونه شاعرا حقيقيا ، تختلج فى قلبه أفكار شتى . ثم اننا نرى شيئا منها سخيفا سمجا ، لا يستحق العناية ، فأيقنا انه منحول مفتعل عليه ، وقد وجدنا الرباعيات مشتملة على كثير من الجدل والوصف ، والسخرية والنقد ، والمزاح والمجون وعلى مسائل فلكية وخلقية وأدبية وفلسفية .

وعروض الرباعيات فى الغالب على وزن الدوبيت مثل « لا حول ولا قوة الا بالله » وهو مركب من أربعة مصاريع الاول والثانى والرابع مقفى والثالث مطلق ، وقد تكون الاربعة مقفيات وكل رباعية مستقلة بنفسها ذات معنى مستقل .

والذين نظموا الرباعيات من الشعراء فى ايران كثيرون ، ولكن الخيام على ما نعتقد برز على الجميع ، وبحسبنا أن نقول انها تكاد تكون المصدر الوحيد لآرائه الفلسفية ، ومجموعها يعبر عن شعوره أحسن تعبير ، ويتضمن كل ما كان يختلج فى صدره من شكوك وهواجس ووساوس ونزعات .

عدد الرباعيات

اختلف الباحثون وتضاربت آراؤهم فى عدد الرباعيات ، اذ ليس كل ما فى الرباعيات هو له ، وقد بلغ ما فى النسخ المطبوعة فى الهند وفارس نحو ٧٥٠ رباعية ، وعددها الصحيح بين ١٢٠ و ١٥٠ رباعية وأما الباقى فهو لشعراء آخرين ، نسبه اليه المتأخرون أو دسوه فى ديوانه ، وقد وقعت بضع نسخ منها ، مطبوع بعضها فى الغرب وبعض فى الشرق ، وكل ما فيها لا يتجاوز ٣٠٠ رباعية . وفى نسخ اخرى ١٢٠ أو ١٥٠ أو ٥٠ أو أقل . فاختلاف النسخ يدل على صحة ما ادعوه .

ولا ينكر أن الدس على العلماء والمؤلفين كان فاشيا فى عصر الخيام وما قبله وما بعده ، وكان للانتحال شأنه ، فى كل عصر من العصور المتقدمة ، ولا ينكر ان للخيام أعداء كانوا يحسدونه ويضمرون بغضا له فى حياته ، وبعد وفاته ، فلذلك نرى من الصعب جدا تعيين ما له وما ليس له من

الرباعيات ، لانه لم يختص وحده بنظم الرباعيات ، ولا هو أول مبتكر لهذا الاسلوب ، فقد نظم الشعراء الذين عاشوا من قبله ومن بعده رباعيات جليلة القدر عظيمة المعنى ، وقد وجد قسم من الرباعيات المعزوة اليه ، في دواوين شعراء الفرس كأبي سعيد ابي الخير وأفضل الكاشاني والانوري وابن سينا والخاقاني وجلال الدين وسعدي وحافظ الشيرازيين وغيرهم من الشعراء والمتصوفة .

خيام آخر

وقد عثرنا على شاعر آخر عرف « بالخيام » واسمه علاء الدين على بن محمد بن أحمد بن خلف الخراساني ، ولهذا الخيام ديوان بالفارسية وشعر كثير مشهور بخراسان واذربيجان(١) ورب شعر لخيامنا ومدرسنا العزيز قد عزى لهذا الخيام أو كان الامر بالعكس ، فنسب لهذا ما هو لعزيزنا وليس له ولم نعثر على ديوان الخيام الجديد ، ولا أشك في اننا اذا ظفرنا بديوانه فلن نراه ناجيا من الانتحال .

ان أقدم نسخة للرباعيات هي النسخة المحفوظة في مكتبة « بودلين » في اكسفورد معلمة برقم ٥٢٥ ، وقد كتبت سنة ٨٦٥هـ أي بعد وفاة الخيام بثلاثة قرون ونصف قرن ، فهي أقدم نسخة بين أيدينا ، وتشتمل على ١٥٨ رباعية وذهبت « المسس كادل » التي سلخت عدة سنوات في تحقيق رباعيات الخيام أن له ١٢٠٠ رباعية وقد نشرت مجلة العرفان في المجلد ٣٥ صفحة ٨٥٩ خبرا مؤداه ان الاديب المدعو السيد أحمد الواساني قد عثر على مخطوط لرباعيات الخيام كتب بعد ٨٧ سنة من وفاته ، فان صح الخبر ـ ونرجو أن يكون صحيحا ـ فتكون هذه النسخة أصح النسخ وأقدمها .

ولو قبلنا كل الرباعيات التي تنسب الى الخيام بغير تمحيص لكان عددها بين ٦٠٠و١٠٠٠ رباعية ، والتفريق بين هذه الرباعيات المتشابهة أمر متعسر بل متعذر حتى على ادباء الفرس المحققين أنفسهم .

---

(١) معجم الالقاب ج٤ ص١٧٦ نسخة الدكتور مصطفى جواد .

فلسفته

يقول فريق من الباحثين ومنهم « فرناند هانري وفيتز كرالد » ان رباعيات عمر الخيام تصور الخيام للمطالع رجلا مستهترا بالشراب ، ماجنا شهوانيا ، فانيا فى حب ذاته وشهواته ، زائغا عن التقاليد ، متمردا على الاخلاق جاعلا هدفه الاسمى فى الحياة اجتلاب السرور والانغماس فى الملذات فهو لم يكن مثل سائر الفلاسفة والحكماء ممن جاهدوا فى نشر الفضائل وعملوا لتثبيت دعائم الاخلاق الرفيعة وقدموا عصارة أدمغتهم ونتائج قرائحهم فداء وقربانا للانسانية المفعمة بالاتراح الملأى من الاوجاع الحافلة بالجور والظلم والبؤس وآراؤه فى الحياة غير مستندة الى اسس الخير ولا ذات فائدة للناس وان أفكاره الفلسفية مبتناة على السلب لا الايجاب وهدم النظام الاجتماعى وما هو الا شاعر وليس بالفيلسوف المغرم بالفضيلة .

أجل هذا هو الواقع الذى لا شك فيه والحق الذى لا مراء فيه للمتأمل فى رباعياته لاول وهلة فان عمر الخيام لم يكلف نفسه قط نشر الفضيلة ولم تحدثه نفسه بتدريب الناس على البر وتشويقهم الى الخير وهديهم الى الطرق المستقيمة وانما رباعياته تمثله داعية من دعاة اللذائذ النفسانية وان غلوه واسرافه وولعه بالخمر وحثه الناس على الاقبال عليها صورته ربيب حانات ورفيق سقاة ، هذا هو ظاهر حاله وهذا هو السبب الذى جعل جماعة من العلماء يشبهونه « بأبيقور ولوقرجيوس » وغيرهما من الفلاسفة الماديين الذين يقولون ان غاية الحياة أن يتطلب الانسان الامور التى تولد اللذة واجتناب ما يورث الالم ما دام الانسان يشعر بأن أساس حياته هو الاحساس .

ان الذين حكموا على عمر الخيام هذا الحكم الصام القاسى من هذه

الناحية لم يلتفتوا الى تحقيق أشياء اخرى فى الناحية الاخرى من رباعياته • •

لقد أكثر الخيام من ذم الحياة وصورها أبشع صورة ، حتى لقد تمنى العدم وود لو انه لم يكن مخلوقا • قال :ــ

كــر آمــدنــم بمن بدى نــامـــدمى
ور نيز شدن بمن بدى كى شــــدمى
به زآن نبدى كه اندر اين دير خراب
نــه آمدمى ، نه شــدمى ، نه بدمى

لو كان مجيئى باختيارى ما جئت ، ولو كانت خلقتى بيدى ما رغبت ان اخلق ، الافضل لى اننى لم أكن فى هذا العالم ، ولم اجيء اليه ولم أبق فيه•

وقال :ــ

٨٧ \ ض

جون حاصل آدمى در اين جاى دودر
جز درد دل ودادن جان نيست دكر
خرم دل آنــكه يك نفس زنده بــود
وآسوده كسيكه خود نزاد از مادر

لما لم يكن محصول الانسان من هذه الدنيا ذات البابين غير ألم القلب وزهوق الروح فالمسرور من عاش لحظة والمستريح هو الذى لم تلده مه •

وقال :ــ

ح ١٧ ض

جون حاصل آدمى در اين شورستان
جز خوردن غصه نيست ياكندن جان
خرم دل آنكه از جهــان بيرون شــد
آســوده كســيكه خود نيامد بجهان

لما لم يكن محصول الانسان فى هذه الحياة ذات الفتن الا الالم وعذاب النفس فطوبى لمن خرج منها أو لم يجيء اليها •

أليس عجيبا أن يذم الخيام الحياة ، وان يفيض بالنقمة عليها ، فيسميها دار الفتن والعذاب ويتمنى العدم فى هذا الدير الخرب وان يقول هنيئا لمن عاش لحظة فيها وطوبى لمن لم تلده امه ؟!

أليس غريبا أن يصب الخيام نقمة على الدنيا ثم يناقض نفسه بدعوة الناس الى الملذات والمسرات واغتنام الفرص فى الحياة والاخذ باللهو والمرح، من غير اهتمام .

ما كان الخيام ناقص التهذيب فقد عرفنا سيرته ومكانته العلمية ، وما كان مختل التفكير ، فان علمه وأدبه ومؤلفاته دلتنا على تفكيره الراقى وما كان مضطرب العقل والمزاج فقد عرفنا المؤرخون برجاحة عقله ورزانته وانه كان آية فى العقل والذكاء والفطنة وما كان خليعا سافل الطبع اذ لا يكون الخليع السافل جليس الملوك ونديم الامراء . ولم يذكر أحد انه كان مدمنا للخمرة سكيرا من كثرة تغزله بها وانما دعا الخيام الناس الى اللذة وحثهم على طلب السرور مدفوعا بعقيدة فلسفية هى وليدة تفكيره وشعوره ومذهبه الفلسفى فان للرجل تفكيرا خاصا ومسلكا معلوما فى الحياة فلم يكن عدو الناس ولا صديقهم ولم يطلب لهم خيرا ولا استثار عليهم شرا وقد كان مشغولا بنفسه وروحه الملتهبة المضطربة فقد جاشت فى صدره نفثات هى حقائق ناصعة ومقاصد عالية ومعان جليلة البستها قريحته الوقادة قوالب شعرية جميلة ابرزها بصدق واخلاص ونية حسنة .

اذاً فلم يكن عمر الخيام شاعرا مستهترا بالخمر ولا ماجنا شهوانيا ماديا . كما ادعى « فرناد هانرى وفتيز كيرالد » وغيرهما . وانما كان حكيما مفكرا له عقيدة خاصة ، تعبر عن مزاجه ومذهبه ورأيه الفلسفى . وان لوجود هذه العقيدة الفلسفية وكيفية تكوينها ونضجها أسبابا سأبينها فى بحثى عن عقيدته الفلسفية . ومع ذلك أثبت هنا ثلاث رباعيات جوابا للذين يصمونه بالاستهتار والسفه . ليتبينوا السبب الذى من أجله دعا الخيام الناس الى معاقرة الخمرة وطلب اللذة قال :ـ

روزی که دو مهلتست میخورمی ناب
کاین عمر دوروزه برنکردد در یاب
دانی کـه جهـــان روبخرابی دارد
تـونیز شـب وروزهمی باش خراب

اشرب الخمرة الصافية مرتين كل يوم ، فان هذا العمر الذى هو عبارة عن يومين لا يعود اليك مرة اخرى ، انت تعلم ان الكون آيل الى الخراب فكن أنت أيضا خرابا ليلا ونهارا . وقال :ــ

عمرت تاكى بخود برستى كـذرد ؟
يا دربى نيسـتى وهسـتى كـذرد ؟
مى نوش كه عمرى كه اجل دربى اوست
آن به كه بخـواب يابمسـتى كذرد

حتىم يمر عمرك فى عبادة نفسك أو فى التفكر فى الوجود والعدم اشرب المدامة فان العمر الذى وراءه المنية يحسن أن ينقضى فى النـوم أو السكر وقال :ــ

اى آنـكه نتيجـۀ جهـــار وهفتى
در هفت وجهـار دائـم انـدر تفتى
مى خـوركه هزار بار بيشـت كفتم
بـاز آمدنت نيست جـو رفتى رفتى

يا من هو نتيجة أربعة عناصر وسبع سموات الى متى أنت تتألم بالتفكر فيها أشرب الخمرة فقد قلت لك الف مرة مالك من أوبة فاذا ذهبت فقـد ذهبت أى يكون ذهابك أبديا .

أظن الآن قد بان المسبب الذى من أجله كان الخيام يدعو الى الخمر . لقد بان عريانا صريحا كالشمس . وسوف احلل هذا السبب أكثر من ذلك فيما بعد ، والآن أبحث عن مصادر فلسفته .

مصادر فلسفته

نشأ عمر الخيام فى القرن الخامس الهجرى، وقد انتشرت بين الناس كتب الفلسفة اليونانية المترجمة ومؤلفات أرسطاطاليس وافلاطون واقليدس وبطليموس وجالينوس وفيثاغور وزءنون وابيقور فى الفلسفة الطبيعية والالهية والرياضية وما يتفرع من ذلك من المنطق والطب والهندسة والاخلاق والسياسة والهيئة وكان الجدل محتدماً حول آراء السوفسطائيين والكلبيين والمشائين والرواقيين وغيرهم ، من اهل المذاهب الفلسفية ، هذا ومن جهة اخرى كان الخيام قد وجد فى عهد نضج فيه علم الكلام ، واشتد النزاع العلمى بين الاشاعرة والحنابلة والمعتزلة والجبرية ، وشاعت آراء الباطنية وكثر الاقبال على التأليف فى مختلف العلوم والفنون وامتلأت المدارس بطلاب العلم وذاعت رسائل « اخوان الصفا » وتعددت الفرق والطوائف ، وتعصبت كل فرقة لمذهبها وكثر الاطباء والفلاسفة والفت كتب فى تراجمهم ووضعت كتب الملل والنحل ، أحصيت فيها الفرق وذكرت حججهم وأدلتهم العلمية ، وظهر ابو على بن سينا ، واشتد النزاع بين الدين والفلسفة ، فوضع الامام الغزالى كتبا فى الرد على الفلاسفة ، وعظم امر التصوف ، وكثر القائلون بالحلول ووحدة الوجود وتفرد عدد عظيم من المفكرين بآرائهم الحرة التى لا تلائم ذوق الجمهور ، فاتهموا بالزندقة والابطان •

وقد دلت مؤلفات الخيام ورسائله ، فى العلوم الطبيعية والرياضية والفلسفة ، على اقباله واهتمامه ودرسه الفلسفة والعلوم اليونانية درسا متقنا واعتقد ان الخيام قد استقى علومه وآراءه الفلسفية من المصادر الآتية :ـــ

الفلسفة اليونانية

قلنا فيما تقدم ان المسلمين قد اقبلوا على درس العلوم والمذاهب الفلسفية اليونانية اقبالا عظيما وان رسائل اخوان الصفا اسطع دليل على رغبتهم فيها وكان الجدل حامي الوطيس حول آراء الفلاسفة اليونانيين وكان الخيام ممن شغف بها فدرسها وتولع بها وقد ذكر القفطي ذلك بقوله: يعلم علم « يونان ••• » وهذه الرواية تدلنا على اضطلاعه بها واتقانه اياها • وقد اشار القفطي الى ان له آراءا خاصة فيها بقوله « ويأمر بالتزام السياسة المدنية حسب القواعد اليونانية » • وما القواعد اليونانية الا نظريات الفلاسفة اليونانيين وآرائهم في الكون والحياة والاجتماع والاخلاق الى غير ذلك ولكن عزوف الخيام عن التأليف وضنه بالتصنيف حال ويا للاسف دون اطلاعنا على افكاره ونظره فيما درسه واتقنه وعلى كل حال تأثر مزاج عمر الخيام بالفلسفة اليونانية خصوصا بفلسفة « ابيقور » ورأيه في « اللذة » كما نطقت به رباعياته •

رسائل اخوان الصفا

واخوان الصفا جماعة من الفضلاء اجتمعوا في منتصف القرن الرابع في البصرة على ما جاء في التاريخ ، والفوا جمعية سرية ، ووضعوا رسائل عظيمة الشأن ، وهي احدى وخمسون رسالة احتوت خلاصة العلوم الشائعة في عصرهم ، وكان غرضهم من ذلك كما زعموا ، غرضا نزيها ، وهو انقاذ الشريعة من الاوهام والاباطيل والضلالات ، اذ كانوا يرون « ان الشريعة قد دنست بالجهالات ، واختلطت بالضلالات ولا سبيل الى غسلها وتطهيرها الا بالفلسفة لانها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية » • وذكروا في اول هذه الرسائل « ان الحكماء والفلاسفة الذين كانوا قبل

الاسلام تكلموا فى علم النفس ، ولكنهم لما طولوا الخطب فيها ، ونقلها من لغة الى لغة من لم يكن قد فهم معانيها حرفها وغيرها ، حتى انغلق على الناظر فيها فهم معانيها ، ونحن قد أخذنا لب معانيها وأقصى أغراضهم فيها ، واوردناها بأوجز ما يمكن من الالفاظ فى احدى وخمسين رسالة » .
والحق ان هذه الرسائل تعبر عن فضل منشئيها وتوغلهم فى العلوم المعروفة فى عهدهم ، وقد ذكر أبو حيان التوحيدى المتوفى فى اوائل القرن الخامس (على ما ورد فى طبقات الشافعية للسبكى) فى كتابه «الامتاع والمؤانسة»(١) واحسن الثناء عليهم حتى ظن — وقد يكون ذلك — انه هو احدهم لادعائه « ان الشريعة لم تكن كاملة بل فيها غلطات وجب اصلاحها بواسطة الفلسفة » .

وانا اجزم بأن عمر الخيام قد أنعم النظر فى رسائل اخوان الصفا انعاما دقيقا ، لان لهجته وتقريره فى رسالته كشف الحجاب عن ضرورة التضاد فى العالم وجوابه عما اورده اصحاب مذهب الجبر ، ورأيه فى رسالته الكون والتكليف تكاد تكون لهجة اخوان الصفا نفسها فى رسائلهم ، بل يكاد يصعب التفريق بين رسائله المتقدم ذكرها ورسائل اخوان الصفا لتقارب الفكر واللهجة والتقرير وبسط الحجة . ومن يقابل بين رسائله ورسائل اخوان الصفا يحصل له اليقين التام بما قررته .

ابن سينا

صرح عمر الخيام فى احدى رسائله فى بحثه عن تفاوت الموجودات بما نصه : فاعلم ان هذه مسألة قد تحير فيها اكثر الناس ، حتى لا يكاد يوجد عاقل الا يعتريه فى هذا الباب تحير ، ولعلي ومعلمى افضل المتأخرين الشيخ الرئيس ابا على الحسين بن على بن عبد الله سينا البخارى — اعلى الله

(١) ونقله منه القفطى فى تاريخ الحكماء ومن القفطى ابن العبرى فى مختصر الدول

درجته ـ قد امعنا النظر فيها وانتهى بنا البحث الى ما قنعت به نفوسنا ». (١)

ان اجتماع عمر الخيام بان سينا وتتلمذه له أمر مشكوك فيه ، لان ابن سينا توفى فى سنة ٤٢٨ هـ وتوفى الخيام على رواية سنة ٥٠٥ الهجرية وفى رواية ـ وهى الراجحة ـ فى سنة ٥٣٠ فان فرضنا ان الخيام تتلمذ لابن سينا وهو ابن عشرين عاما فيكون عمر الخيام قد نيف على المائة ، وهو امر مع احتمال جوازه مستبعد حتى ان هذه القصة جعلتنى اشك فى الرسالة المعزوة الى الخيام وهى الرسالة التى المعنا اليها . ولكن الامر الذى لا اشك فيه هو ان الخيام قد اكب على مؤلفات ابن سينا القيمة وقتلها درسا واحاط علما بجميع آرائه ونظرياته فى الفلسفة وعلم الكلام والمنطق مما اودعه كتبه خصوصا كتبه الشهيرة « كالقانون والشفاء والنجاة » .

وقد نقل البيهقى عن ختن الخيام الامام محمد البغدادى عندما قص عليه خبر وفاته أنه كان يتأمل كتاب الشفاء ، وقد أيد هذه الرواية الشهرزورى بقوله « وكان يتأمل الالهيات من الشفاء » .

الباطنيـــة

ذكر صاحب كتاب « روضة الصفا » الشيخ ميرخند ان عمر الخيام قد تتلمذ فى عنفوان شبابه مع نظام الملك الوزير والحسن بن الصباح ، فى نيسابور فى مدرسة الموفق النيسابورى، وذكرنا الاسباب التى جعلت جماعة من الباحثين يحتجمون عن قبول هذه الرواية ، وقد ابدينا رأينا فى عدم صحتها ولكنا لم نشك قط فى أن عمر الخيام قد عاصر الحسن بن الصباح، لان الحسن قد توفى سنة ٥١٨ هـ ولان الخيام قد توفى بين سنة ٥١٧ هـ و ٥٣٠ هـ . وبناء على ذلك لا نرى ريبا فى ان الخيام كان معاصرا لابن الصباح . بيد ان فى الامر مشكلة لم يحلها أحد بعد وهى أكان قد اجتمع

(١) جامع البدائع ص ١٧٠ ـ ١٧١ .

ابن الصباح بعمر الخيام بعد ايابه من مصر ، وانخراطه فى سلك المحفل السرى ، وأخذه المبادىء الاسماعيلية أم لا ؟

اننا لم نهتد الى الآن الى حل هذه المشكلة ، ولم نعثر على نص أو وثيقة تأريخية تؤيد وقوع اجتماعهما بعد رجوع الحسن من مصر ، وليس المهم فى نظرنا اجتماعهما فى أثناء دراستهما ، وانما المهم هو الاجتماع الاخير • لان التطور الفكرى الذى حصل فى الحسن الصباح كان بعد ايابه من مصر •

وفى اليوم الذى تحل فيه هذه المعضلة يرتفع الستار الذى كان يحول بين الباحثين وعقيدة الخيام ، وينتهى تبلبل آراء العلماء فيها ، فلا يبقى أقل شك فى انه كان باطنيا محضا •

أما الآن ، وليس عندى حجة تؤيد وقوع اجتماعهما ، فاننى اجزم بصورة قطعية بأن الخيام قد تأثر بالعقائد الباطنية تأثرا قويا وتكاد رباعياته تسوقنى الى اعتقاد أنه كان من المعتنقين لتلك المبادىء ومن أشد المناصرين لها ولعله كان من دعاتهم على انى لا اريد ان أتهم الخيام دون أن آتى بالبرهان ولا أحب ان ادعى هذا الادعاء الذى انفردت به وحدى دون غيرى من غير دلالة تؤيده واليك برهانى على ما ادعيه :ـ

لقد تضمنت الرسالة التى بعث بها الباطنى عبدالله بن الحسن القيروانى الى سليمان بن الحسن بن سعيد الجنابى أشياء كثيرة أشرنا اليها سابقا وكان أهمها :ـ

(١) اباحة شرب الخمر وجميع الملذات (٢) انكار النبوات والمعجزات والوحى (٣) القول بقدم العالم (٤) ابطال القول فى المعاد والنشر من القبور (٥) كون الجنة نعيم الدنيا (٦) وصايا اخرى وكلها ترمى الى هدم الشرائع وتثبيت دعائم الالحاد •

هذه هى المبادىء التى كانت تسير عليها الباطنية ، ومن يدقق النظر فى رباعيات الخيام يجد انها تتضمن جميع هذه المبادىء الا ما كان من أمر انكار النبوات والمعجزات والوحى ، والظاهر ان الخيام كان يتجنب مهاجمتها، خوفا على حياته ، وابتعادا من تعريض نفسه للمخاطر . وأما اجتراؤه على اباحة شرب الخمر وجميع اللذاذات ، والقول بقدم العالم من طرف خفى وابطال القول فى المعاد والنشر ، وانكار الجنة والنار فلانه محتمل التأويل على الطريقة الصوفية ، خصوصا التغزل بالخمر ، فانه مباح لا ضير فيه عند أرباب هذا المذهب ، اذ كانوا يريدون به « خمرة الحب الالهى » و « ولذة السكر المقدس » فقد أول الصوفية رباعيات الخيام ، وقلبوا هذه المعانى الى معان عرفانية ـ كما اصطلحوا عليه ـ وقد ذكر القفطى ما وقع اذ قال « وقد وقف متأخرو الصوفية على شىء من ظواهر شعره ، فنقلوها الى طريقتهم وتحاضروا بها فى مجالسهم وخلواتهم ... » .

على ان القفطى قد ادرك بذكائه ظاهر معانيه ، وما كان ينزع اليه الخيام ، فلم يتردد فى ردها بقوله (وبواطنها حيات للشريعة لواسع ومجامع للاغلال جوامع) . وفيما يأتى نثبت شيئا من رباعياته المتضمنة لقسم من المبادىء الباطنية التى استطاع ان يبثها فى رباعياته قال :

يك جام شراب صد دل ودين ارزد
يك جرعهٔ مى مملكت جين ارزد
جز بادهٔ ناب نيست در روى زمين
تلخى كه هزار بار شيرين ارزد

ان كأسا من الخمر تعدل الف قلب ودين ، وان جرعة منها تساوى مملكة الصين ، ليس على وجه الارض غير الخمرة الصافية ، وهى المرة التى تفضل الحلو ألف مرة .

تازهره ومه در آسمان کشـــت بدید
بهتر زمی ناب کسـی هيـج نديـــد
من در عجبم زمی فروشان كايشان
به زانجه فروشند جه خواهند خريد

منذ ظهرت الزهرة والقمر فى السماء ما رأى الناس أحسن من الخمرة الصافية • يا عجبى من الخمارين أى شىء سيشترون أحسن مما يبيعون ؟

اى دل تو باسـرار معمـى نرسـى
در نـكتـهٔ زير كان دانـا نرسـى ١٠٨
اينجـــا بمى وجـــام بهشتى ميســا
كانجاكه بهشت اسـت رسى يانرسى

أيها القلب أنت لا تصل الى الاسرار المعماة ، ولا تفقه نكات الالبـاء الفهماء ، اجعل لنفسك فى هذه الدنيا جنة من الخمر والكأس ، فانك لا تعلم اتنالها أم لا ؟

جـامى ومى وسـاقى برلب كشـت
بهتر زبهشتى كه خبر بودش رشت
مشنو سخن بهشـت ودوزخ ازكس
كه رفت بدوزخ وكه آمد زبهشـت

كأس وخمرة وساق فى جنب روضة خير من الجنة التى وعدتها • لا تسمعن من أحد حديث الجنة والنار • من ذا الذى ذهب الى الجحيم ومن ذا جاء من الجنة ؟

مالعبتــكـا نيـــم وفلك لتعبتبــــــاز
از روى حقيقتى نــه ازروى مجــاز
بازيجه كنان بديم بر نطـع وجــود
رفتيم بصندوق عــدم يك يك بــاز

نحن الاعيب أطفال والفلك هو اللاعب بنا ، وذلك أمر حقيقى غير مجازى لقد لعبنا مدة فى ساحة الوجود • ثم ذهبنا الى صندوق العدم واحدا بعد واحد •

* * *

در دائـرهٔ کامـدن ورفتـن ماسـت
آنرا نه بدایت نـه نهـایت پیداسـت
کس می نزند دمی درین عالم راست
کاین آمدن ازکجا ورفتن بکجاسـت

لا بداءة ولا نهاية للدائرة التى جئنا منها ونعود اليها ولا أحد يستطيع أن يقول من أين المجىء والى أين هذا الذهاب •

* * *

أرأيت كيف يحض الخيام على الخمر والملذات • وينكر الجنة والنـار والمعاد ، ويصرح بقدم العالم بقوله « لا بداءة ولا نهاية » لهذا العالم • وانما المصير الى العدم ؟ الا ترى معى ان فى هذه الرباعيات مسـحة من العقـائد الباطنية ؟ والآن أفلا تعتقد معى ان الخيام متأثر بهذه المبادىء فى الاقل ؟

موضوع فلسفته

لقد احتوت رباعيات عمر الخيام ، جميع آرائه ونظراته فى السكون كالمادة والزمان والفلك والآله والجبر والتناسخ والبعث والعدم ومصيرالجسم بعد الموت ، فتكلم الخيام فى هذه المواضيع بأسلوب شعرى جميل •

المـادة والزمـان

رأى الخيام فى المادة والزمان كرأى سائر الفلاسفة ، الذين كانوا يقولون بقدم المادة والزمان ، وقد أكثر القول غير مرة بأن لا بداءة ولا نهاية لهذه الدنيا ، التى جئنا منها ونذهب اليها ، ورأيه هذا صريح فى قدم المادة وخلودها ، وهو يذهب الى أن الاجسام متالفة من مادة واحدة وأشكال وصور تختلف عليها ، والقائل بقدم المادة قائل بقدم الزمان أيضا قال :ـ

آنهاكه كهن شدند وآنهاكه نوند
هريك بس از آمدن يكايك بروند
اين كهنه جهان بهكس نماندجاويد
رفتند وروند وديكر آيند وروند

اولئك الذين هرموا والذين لا يزالون احداثا سيذهب كل منهم فردا فردا بعد مجيئه • لا يخلد فى هذه الدنيا القديمة أحد ، ذهبوا ويذهبون ويأتى غيرهم ثم يذهبون • وقال :ـ

اين كهنه سراكه عالم اورانام است
وآرامكه ابلق صبح وشام است
بزميست كه واماندهٔ صد جمشيداست
قصريست كهتكيه كاه صد بهرام است

هذا البلاط القديم المسمى بالعالم ومستقر الصباح الوضاء والليل الدامس مجلس فتح بابه لمئة جمشيد ، وقصر اتكأ على الارائك فيه مائة بهرام .

الآلـــه

كان جماعة من علماء المسلمين يكفرون القائل بقدم العالم ويصمونه بالعقيدة الدهرية ، وكانوا يستدلون على واجب الوجود بكون العالم حادثا غير قديم ، لان الشريعة الاسلامية جاءت بعقيدة التنزيه ، وتقوم هذه العقيدة على ان الله أزلى ليس له ابتداء ، وانه أوجد العالم من العــدم فهــو لذلك ـ أى العالم ـ حادث . أما القول بقدم المادة ـ أى قدم العالم ـ لا يناقض وجود الله لأن الله واجب بذاته، ولان لهذه الموجودات علة وهى ملازمة له كما يلازم المعلول علته ، واذ ثبت ان الاشياء صدرت عنــه صدور المعلــول عن علته وجب القول بقدم الاشياء ، ولما كان واجب الوجود ازليا بالعلة كانت الاشياء أزلية بالمعلول . وقد سلك الخيــام طريق الفلاســفة اليونانيــين فى الفلسفة الآلهية ، وهو معتقد آلها هو الخير المحض الذى لا يصدر منه الشر، وقد نفى وقوع العذاب والعقاب مدفوعا بعقيدة الجبريين ولذلك قال :

كفتى كه ترا عذاب خواهــم فرمود
هركز من ازين خبر هراسم نفزود
جائى كه توئى عــذاب نبــود آنجــا
وانجا كه تو نيستى كجا خواهد بود

تفضلت قائلا : انى سوف اعذبك ، وانا لم أخش قط هــذا القول ، فان المكان الذى انت فيه لا يكون فيه عذاب ، واين المكان الذى أنت لست فيه . وقال :ــ

من بندهٔ عاصیم رضای تو کجاست
تاریك دلم نور و صفای تو کجاست
ما را تو بهشت اکر بطاعت بخشی
این بیع بود لطف وعطای تو کجاست

أنا العبد العاصى فأين رضاك ؟ أنا المظلم قلبه فأين نورك وصفاؤك ؟ ان كنت تهب لنا الفردوس لطاعتنا لك فذاك بيع ، فأين لطفك وعطاؤك ؟ وقال :

ناکرده کنه در جهان کیست بکو
وآنکس که کنه نکرد جون زیست بکو
من بد کنم وتو بد مکافات دهی
بس فرق میان من وتو جیست بکو

قل لى من الذى لم يرتكب خطيئة فى الحياة ؟ ومن ذا استطاع أن يعيش من غير خطيئة يأتيها ؟ اذا كنت تجزينى السيئة بالسيئة فما الفرق بينى وبينك ؟ وقال :

یارب خردم در خور اثبات تو نیست
واندیشهٔ من بجز مناجات تو نیست
من ذات ترا بواجبی کی دانم
داننده ذات تو بجز ذات تو نیست

يا الهى ليس لعقلى من السعة ما يكفى فى اثباتك . انا لا افكر الا فى مناجاتك وانا كيف اعرف ذاتك كما ينبغى اذ لا يعرف ذاتك الا ذاتك . وقال :ـ

کر کوهر طاعتت نسفتم هرکز
کرد کنه از جهره نرفتم هرکز
نومید نیم زبارکاه کرمت
زیراکه یکیرا دو نکفتم هرکز

انى وان كنت لم اثقب جوهر طاعتك ولم انفض غبار الاثم عن وجهى
لست قانطا من كرمك ، لاننى لم أجعل قط عوض الواحد اثنين •

فالظاهر من الرباعيات التى قدمناها ان الخيام كان مؤمنا معتقدا وجود آله رحيم غفور لطيف غير منتقم ولا حقود ولا حنق •

ورب معترض يقول : اننا عرفنا الخيام جاحدا للبعث والنشر ، منكرا وجود حياة اخرى ، وقد نطقت بذلك رباعياته ، فكيف نوفق بين ايمانه بالله وانكاره البعث والنشر ، وغير ذلك مما صرحت به الشرائع السماوية ؟ فالجواب عن ذلك هو : قد ينكر الانسان الشرائع والنبوات والوحى ، ولا ينكر وجود الآله • والعقل مهتد بذاته الى الاعتراف بواجب الوجود •

الجبـــر

صرح الخيام فى رباعياته باعتقاده الجبر وكان مؤمنا بسيطرته وسلطانه على الـكون ، وما فيه من افراد وجماعات ، وقال غير مرة انه دخل هـذه الدنيا مضطربا كارها وخرج منها مرغما كارها ، ولو استشير ما اراد ولو خير ما اختار ، فهو لذلك لا يطمئن الى الاختيار فهو بناءً على ذلك جبرى بحت •

ومذهب الجبر قديم جدا ، وقد اثبتته الشرائع وفرغت الفلسفة من اثباته ، والقرآن طافح بالآيات التى نصت على عقيدة الجبر (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولـكن حق القول منى لأملان جهنم من الجنـة والناس اجمعين) • (انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء) (وما تشاؤون الا ان يشاء الله) (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) •

والجبرية فرقة ينفون الفعل والقدرة على الفعل عن العبد ، ويثبتون القدر ، ويقولون بان الله تعـالى يخلق الفعل ويخلق فى الانسان مقـدرة

متعلقة بذلك الفعل ، ولا تأثير لتلك المقدرة فى الفعل . ومنهم من يثبت للعبد قدرة ذات اثر فى الفعل ، ويقولون بأن الله مالك فى خلقه يفعل ما يشاء ، ولا يسأل عما يفعل ، فلو ادخل الخلائق اجمعين الجنة لم يكن حيفا ولو ادخلهم النار لم يكن جوزا ، بل هو فى كل ذلك عادل ، لان العدل على رأيهم هو التصرف بما يملكه المتصرف .

واول من صرح بهذا الرأى فى العصر الاسلامى هو جهم بن صفوان، وهو من الجبرية الخالصة . قلنا ان الفلسفة قد فرغت من اثبات الجبر ، وذلك لان الاختيار اما ان يكون متصلا بما قبله وما بعده اتصال العلة بمعلولها والنتيجة بمقدمتها فان تكن الاولى فهو الجبر ، ولا يمكن ان يتخلف المعلوم عن علته ، ولا ان تحول النتيجة عن مقدمتها ، واذا فادعاء الاختيار ليس الا غرورا . وان تكن الثانية فقد بطلت القضية التى قدمناها ، واصبح العالم ملعبا تختلف فيه الاتفاقات وهو مالا شك فى بطلانه اذا فليس عن الجبر محيد ، ولا عن الاضطرار مزحل . ومن مصادر الجبر الايمان بشمول القدرة والعلم الآلهيين ، فان شمول القدرة يقتضى ان لا يكون فى هذا العالم شىء الا اذا تعلقت به قدرة الله فاذا فعل الانسان شيئا فاما ان يكون مختارا فيه واما ان يكون غير مختار فان يكن مختارا فهذا الفعل واجب وان لم تتعلق به قدرة الله وهو باطل لانه يهدم اصل القدرة وان يكن غير مختار فهو الجبر الذى لا شك فيه . اذا فالدين والفلسفة يتظاهران على اثبات الجبر واقامة الادلة عليه .

واليك من رباعياته التى تضمنت عقيدة الجبر . قال :ـ

من مى خورم وهركه جو من اهل بود
مى خوردن او نزد خرد سهل بود
مى خوردن من حق زازل ميد انست
كرمى نخورم علم خدا جهل بود

انا اشرب الخمر ، ويشربها كل من هو اهل لها مثلي ، فان شربي لها ليس مستبعدا في نظر العقل ، لان الله كان يعلم منذ الازل بأني سأشربها ، فانا ان لم اشربها فعلمه يكون جهلا - خطأ - وقال :

بـرز هكـذرم هزارجـــا دام نهی
کویی کـــه بکـیرمت اکرکـام نهی
يك ذره زحكم توجهان خالی نیست
حكمم توكنی وعـاصیم نـــام نهی

تضع الاشراك في الف مكان في سبيلي ، وتقول اذا وقعت فيها فاني اهلكك ، لا تخلو ذرة في العالم من سلطانك ، انت تقدر على الحكم ، وانت تنعتني بالعاصي ؟ وقال :

ازآب وكلم سـر شتهٔ من جـه كنم
وين بشم مرا تورشتهٔ من جـه كنم
هرنيك وبدی كـه ازمن آيد بوجود
توبر سـر من نوشتهٔ من جـه كنم

ماذا افعل يا الهي وانت الذي جبلتني من ماء وطين ؟ وانت الذي غزل صوفتي ؟ انت كتبت علي كل ما يصدر مني من خير وشر في هذا الوجود ، فماذا افعل ؟ وقال :

يزدان جـو كل وجود مـا مى آراسـت
دانست زفعـلما جـهبر خواهد خواسـت
بی حكمش نیست هر كناهی كه مراست
بس سو ختن قيـامت ازبهرجه خـواست

لما كون الله وجودنا من الطين كان يعلم بالافعـال التي ستصدر منـا ، فليس خارجا من حكمه كل ذنب نقترفـه ، اذا فلمـاذا يصلينا السعير يوم القيامة ؟ وقال :

آورد باضطرام اول بوجود
جز حيرتم ازجهان جيزى نفزود
رفتيم باكراه وندانيم جه بود
زين آمدن وماندن ورفتن مقصود

جاء بى على الرغم منى الى الوجود ، ولم ازدد غير الحيرة فى هذه الحياة ، ذهبنا مكرهين ولم نعلم الغرض من مجيئنا وبقائنا وذهابنا •

وقد عثرت على تصريح لعمر الخيام بالجبر بصورة لا تحتمل الشك ولا التأويل ، فقد سئل فى عصره عن ثلاث مسائل كان احدهـا :ـ أى الفريقين اقرب الى الصواب وقوله اشبه بالتحقيق ـ الجبرية القائلون ينفى الاختيار عن الممكن ام القدرية الناسبون الى العبد خلق افعاله ؟

وقد اجاب الخيام فى كلام طويل حلل فيه الاسئلة الثلاثة ، تحليلا علميا فلسفيا دقيقا ، وكان جوابه عن الجبر صريحا فقد قال : ولعل الجبرى اقرب الى الحق فى بادىء النظر وظاهر الحال من غير ان يتلجلج فى هذيانه ، ويتغلغل فى خرافاته فانه حينئذ يبعد عن الحق •

وتصريحه هذا كاف فى الدلالة على انه كان جبريا معتدلا •

التناسخ

التناسخ مذهب قديم عرف بين الهنود ، وشاع بين عرب الجاهلية ، وظهر فى صدر الاسلام ، وكانت عدة من فرق الغلاة تدين به كأصحاب عبدالله ابن سبا الذى قال بالوهية علي ـ عليه السلام ـ ومثل هؤلاء اصحاب أبى كامل الذى كان يدعى ان الامامة نور يتناسخ منتقلا من شخص الى شخص • وذلك النور يكون فى شخص نبوة وفى شخص امامة • وربما تناسخت الامامة وصارت نبوة وقال بتناسخ الارواح وقت الموت •

ومذهبهم هو ان الله قائم بكل لسان • ظاهر بشخص من اشخاص البشر وفى كتب الملل والنحل تفاصيل كثيرة عن سخافاتهم وترهاتهم •

وقد عثر المستشرق الاستاذ « زوكوفسكى » فى التاريخ الالفى الذى قدمنا ذكره على رواية استدل بها على رسوخ عقيدة التناسخ فى نفس عمر الخيام •

وتتلخص الرواية فى أنه كانت فى نيسابور مدرسة عتيقة مسترمة فشرع فى رمها وكان سرب من الحمير يحمل الآجر اليها • وبينما كان الحكيم عمر الخيام يتمشى فى فناء المدرسة مع جماعة من التلاميذ • شاهد حمارا وقف فى باب المدرسة حارنا ولما رأى الخيام ذلك ابتسم ثم تقرب من الحمار وقرأ فى أذنه هذه الرباعية :ـ

أى رفته وبـاز آمده بل هم كشـته
نامت زميـــان نامهـــا كم كشـته
ناخن همه جمع آمده وسـم كشـته
ريش ازبس كون درآمده دم كشته

أى ـ يا ايها الذى ذهب وعاد مرة اخرى • وصار كالانعام قد ضاع اسمك بين الاسماء وقد اجتمعت اظافيرك وصارت حوافر وظهرت لحيتك فى عجزك ذيلا • وبعد سماع الحمار هذه الرباعية دخل المدرسة فسألوا الحكيم عن السبب فى ذلك فقال : ان الروح التى تعلقت بجسم هذا الحمار كانت روح استاذ فى هذه المدرسة لهذا لم يشأ الحمار الدخول ولما علم ان الاصدقاء قد عرفوه دخل • انتهى

هذه هى الحكاية التى وردت فى التاريخ الألفى وهى ولا شك من الحكايات المختلقة التى لا ظل لها من الصحة ابدا فهى مكذوبة من اوجه اولها ـ لم يذكر لنا احد ان الخيـام كان استاذا فى مدرسـة نيسابور •

وثانيا ـ ان الخيام انكر الحشر وقال بالعدم • ومن كانت هذه عقيدته لا يقول بالتناسخ • وثالثها ـ انه اذا صحت هذه الحكاية فلا أشك فى ان الخيام أراد بذلك المزاح والسخرية والاحماض ومفاكهة تلاميذه • وعلى كل نرى الخيام بريئا من هذه التهمة •

البعث

لا يرتاب أرباب الديانات في البعث بعد الموت ، والقرآن نزل حاملا عقيدة حشر الاجسام ، وقد جاء فيه ذكر يوم القيامة مشفوعا بالوعد والوعيد، والمسلمون مختلفون فى كيفية وقوع الحشر ، ففريق يقول بحشر الاجسام وفريق يقول ببعث الارواح دون الاجسام • أما أرباب المذهب المادى فانهم ينكرونه بتاتا ، والفلسفة الافلاطونية تنكر حشر الاجسام وبعث الارواح ولكنها تنزع الى القول بخلود الروح وانتقالها بعد الموت الى عالم عقلى • والقدماء من المصريين اعتقدوا خلود الروح ورجوعها الى الجسد فى الدنيا • ولهذا السبب عنوا بالتحنيط لوقاية الاجسام من البلى •

وكان الخيام منكرا للبعث • وقد فهمنا ذلك عند بحثنا عن مصادر فلسفته • اذ برهنا على انه كان متأثرا بالعقائد الباطنية • وقد صرح فى كثير من رباعياته بأن فكرة البعث والمعاد وهم وخيال فلا حقيقة لها والذى يخاطب الناس بقوله « أنت لست ذهبا فاذا دفنوك أخرجوك وأنت ذهب أيضا » هو جاحد لعقيدة الحشر والمعاد •

الروح

ومن المشكلات العظيمة التى لم يهتد الى حلها الناس قديما وحديثا مشكلة الروح ، والجدل فى الروح قديم جدا وقد كثرت فيها الآراء وذهب

كل فريق فيه مذهبا خاصا وكان قد بحث اولا فى ماهيتها أهى متحيزة أم حالة فى التحيز أم موجودة غير متحيزة ولا حالة فيه ؟ وثانيا أقديمة هى أم حادثة وثالثا أتبقى بعد فناء الاجسام أم تفنى ؟ ورابعا ما حقيقة سعادة الارواح وشقاؤها ؟ فقيل انها جزء لا يتجزأ من أجزاء هوائية فى القلب وقيل هى الدماغ وهى جزء لا يتجزأ من الدماغ وقيل قوة فى الدماغ مبدأ للحس والحركة وقيل هى الدم المعتدل فبكثرته تقوى الحياة وبفنائه تنعدم •

والامام الغزالى يقول :ــ الروح ليس بجسم يحل البدن حلول الماء فى اناء ، ولا هو عرض يحل القلب والدماغ حلول العلم بل هو جوهر • لانه يعرف نفسه وخالقه ويدرك المعقولات وهو باتفاق العقلاء جزء لا يتجزأ وشىء لا ينقسم والشرائع السماوية لم تعرفه والقرآن لم يبين حقيقته « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا » •

وقد ذكر عمر الخيام الروح غير مرة فى رباعياته وهو الامر الذى كان يدل على انه كان يعتقد وجود الروح لكننا لم نعلم أكان معتقدا خلود الروح اعتقاد الافلاطونيين أم لا قال :ــ

دریاب که از روح جدا خواهی شد
در بردهٔ أسرار فنا خواهی شد
می نوش ندانی زكجا آمدهٔ
خوش باش ندانی بكجا خواهی شد

أفق فانك ستفارق روحك وستفنى وراء ستار الاسرار ، أشرب الخمر فانك لا تدرى من أين أتيت واسعد فانك لا تعلم الى أين تذهب •

ازتن جوبرفت جان باك من وتو
خشتى دونهند برمغاك من وتو

وآنكه زبراى خشت كور دكران
در كالبدى كشند خاك باك من وتو

حين تخرج من جسدى روحى وروحك الطاهرة يضعون لبنتين على لحدى ولحدك ثم لاجل لبنتين لقبر آخر يضعون ترابى وترابك فى القالب •

الدنيــــا

مقت الخيام الوجود وفضل العدم ووصف الدنيا بدار المحن والمصائب وقد أكثر من ذمها حتى تجاوز الحد والقصد وتشاؤم الخيام هو الذى زهد فى عينه الدنيا وكره اليه الحياة • قال :ـ

جون مردن تو مردن يكباركى است
يكبار بمير اين جــه بيجاركى است
خونى ونجاستى ومشتى رك وبوست
انكار نبود اين جه غمخواركى است

ان كان موتك مرة واحدة فمت مرة واحدة • ما هــذه المسكنة ؟ دم ونجاسة وحفنة من عظم وجلد فما هذه المحنة من أجل شىء تافه حقير •

دنيــا بمراد رانــده كــير آخر جــه
وين نامۀ عمر خوانده كير آخر جه
كــيرم بكام دل بماندى صــد ســال
صد سال دكر بمانده كير آخر جــه

ما العقبى اذا بلغ المرء من الدنيا المراد • وما الغاية اذا قرأ الانســان كتاب أعماله • فلنحسب انك نلت مرامك مائة عام • وعش بعدها مائة اخرى فما النتيجة •

دنيـا نه مقام تسـت نه جـاى نشت
فرزانه در او خراب اوليتر ومست
بـرآتش غـم زبـاده آبى ميـزن
زان بيش كه درخاك روى بادبدست

ليست الدنيا بدار قرار ولا دار اقامة . أفضل للحكيم أن يكون ثملا وفانيا ، اسكب ماء الخمر على نار الغم قبل أن تذهب إلى القبر صفر اليدين .

ولعل من أسباب كراهية الخيام للحياة انه كان يرى ان وضع الخليقة غير صحيح ولا مستند الى اسس جيدة وان نظام الحيـاة الحاضـر لا يجلب السعادة والسلام .. وقد تمنى فى احدى رباعياته أن تكون له قدرة كقدرة الله على الفلك ليهدمه ويبنى فلكا جديدا يبلغ فيه الاحرار مرادهم بسهولة . قـال :

كر بر فلكم دست بدى جون يزدان
بردا شتمى من اين فلكرا زميـان
ازنـو فلك دكر جنـان سـاختمـى
كـآزاده به كام دل رسيدى آسـان

لو كنت مهيمنا على هذا الفلك هيمنة خالق لهدمته ولخلقت فلكا غيره يبلغ الاحرار فيه مرامهم من دون عناء .

تكريم الجسم بعد الموت

وكم عاتب الخيام الخزاف على جبله الطين برهص واعتساف وكم أوصى الكواز بالرفق ، وكم صاح بالناس أن يخففوا فى مشيهم على الارض قائلا ان الجام الذى تشربون به الخمر والكوز الذى تشربون منه المـاء والتراب الذى تطأونه بأقدامكم هو من عينى أحور اغن وخد مليحة عذراء ورأس كيخسرو وكف افريدون ، وهو فى كل ذلك يقدم موعظة فى الحياة مبينا

لهم مصيرهم وهو فى أثناء ذلك ينعى جسده ويبكى جثمانه بحرقة وألم •
قـال :

اين كوزه جومن عاشق زارى بودست
دربنـد سـر زلف نكـارى بودست
اين دسـته كه در كـردن او ميبينى
دستست كه دركردن يارى بودست

كان هذا الكوز مثلى صبا ، قد علق بفرع مليحة هيفاء ، وهذه العروة التى تراها فى جيدها كانت يدا تعتنق احدى الحسان •

اين كوزه كران كه دست دركل دارند
عقـل وخرد وهوش بران بكمارند
بركل لـكد وتبانجـه تاجنـد زنـد
خـاك بدنسـت تاجـه ميـنـدارنـد

هؤلاء الكوازون الذين فى الطين ايديهم ومنحصرة عقولهم وأفكارهم فيه ، الى متى يركلون الطين ويصفعونه • هذه أجسام حتى م هذه الظنون ؟

هان كوزه كرا بـاى اكر هشيارى
تـاجنـد كنى بركل آدم خـوارى
انكشـت فريـدون وكف كيخسـرو
برجـرخ نهـادهٔ جـه ميـنـدارى

أيها الكواز ان كنت واعيا فحتىم تهين طينـة الانسـان • ان الذى وضعته على الدوار هو انملة فريدون وكف كيخسرو فماذا تظن ؟

عقيدته الفلسفية

أما وقد فرغنا من البحث عن موضوع فلسفته فلم يبق شيء سوى ان نقول كلمتنا فى مذهبه الفلسفى ، ونعنى بذلك نوع عقيدته ووجهة نظره فى الحياة ، وهذا الموضـوع يضطرنا الى ان نقف موقف الحكم للبت فى عقيدته ، والانصاف يحملنا عـلى التصريح بأنه من الصعب جـدا ابداء رأى صحيح واصدار حكم عادل فيه . فليس لدينا من ادلة قوية وقرائن قطعية تخولنا أن نحكم على حكيم مفكر ، سلخ أعواما طوالا فى البحث والتفكير فى شؤون الحياة وليس بين يدينا غير صحائف صفر بالية ، تعرضت لشخصه، ورباعيات هى نفثات جاشت فى صدره ، ففاض بها لسانه ، وقد طواه الردى فهرع الى أحضان الابدية قبل اكثر من ثمانية قرون .

قبل نحو من ثمانية قرون ونصف رقد الخيام فى لحده فى نيسابور ، ولم يترك بعد وفاته غير بضع رسائل ، ورباعيات تناولها الباحثون فى سيرته وادبه ، واتخذوها حجة عليه ومدارا للحكم على عقيدته ومذهبه الفلسفى .

ومنذ قرنين قام نفر من الفرنجة يبحثون عن أدب الخيام ، وذهبوا فى عقيدته مذاهب شتى وقالوا فيه بمرجمات الظنون ، فمن منكر لشخصه، ومن مدع انه كان ماديا ملحدا شهوانيا مستهترا بالشرب ، ومن زاعم انه كان صوفيا يتغنى بجمال الله ، ثملا بخمرة الحب الالهى المقدس ، ومن قائل انه كان مرتابا متشائما ، الى غير ذلك من الاقوال والدعاوى وليس عند هؤلاء الباحثين من سند للحكم عليه غير رباعياته ، كما انه ليس لنا من العلم ما يحقق ان الرباعيات المتداولة الآن بكمالها هى لعمر الخيام ، وانها نتاج قريحته وحدها ، وانها بريئة من شوائب الدس والانتحال .

وقد بينا عند بحثنا عن رباعياته اختلاف العلماء الباحثين فى عددها ، وذكرنا اننا عثرنا على « خيام ثان » واسمه علاء الدين علي بن محمد بن خلف ، وهو شاعر له ديوان بالفارسية ، ورب رباعيات لعمر الخيام نسبت للخيام الثانى علي بن محمد ، ورب ابيات ورباعيات لهذا نسبت للحكيم الاول

وقد وجدت فى اثناء بحثى الطويل فى رباعيات الخيام ان عددا كبيرا منها قد نسب اليـه ، وهى ليست له بل لاصحابهـا من الشعراء كعبد الله الانصارى وابى سعيد والانورى والعسجدى وابن سينا والرازى والطوسى وغيرهم ، وكلها مثبتة فى دواوينهم •

لذلك تعترينا الشكوك الكثيرة فى هذا الصدد ، فتصدنا عن اصدار الحكم عليه ، وأهمها انه لم يثبت الى الآن بالبرهـان القوى ان الرباعيـات الموجودة فى ايدينا كلها لعمر الخيام ، ثم اننا نجهل الوقت الذى نظمها فيــه •

أفنظمهـا فى عنفوان شبابـه وللشـباب بدوات ونزوات وهواجس وخطرات كثيرة أم فى عهد كهولته ، وفى الـكهولة نضج العقل وتوازن الفكر واستقامة الرأى ام فى شيخوخته وفى الشيخوخة ضعف الاعصاب وارتباك الخواطر أم فى اثناء حياته جميعها ؟ كل اولئك نجهله اذ ليس لكل رباعية تاريخ يعرفنا الزمن الذى نظمت فيه ولم نعثر حتى الآن على نسخة من رباعيات كتبها الخيام بنفسه كما فعل ابو العلاء المعرى الذى جمع قصائده وشرح شعره وبوب دواوينه وسماها بنفسه •

والواقع هو اننى اتهيب ان اسند اليه امرا ، وكل ما لدى من البرهان هو قطع من شعره ـ رباعياته ـ افعـل ذلك خشية ان اسىء الى الرجـل ، باسناد امر ليس له ضلع فيه •

واذا كان لا بد من ابداء الرأى فى هذا الصدد فانى احمل نفسى على

ابداء رأيي وأنا شاك مرتاب كل الارتياب فيما أقوله وأزعمه ، واستغفر الخيام في لحده ، استغفر روحه كل هفوة وكل ما انسبه اليه وهو براء منه •

أقول ـ ان الذى بدا لى من رباعيات الخيام ـ انه كان جم الشكوك كثير الارتياب عظيم الاضطراب ، ذا روح قلقة تحيط بها الهواجس والخطرات ، ونفس متألمة تكتنفها الوساوس والخيالات ، وقد ظهرت شخصيته فى رباعياته بمظهر الشاك المرتاب القلق وذلك مما يدفع الباحث الى اعتقاد انه كان لا ادريا ، متشائما فى عقيدته لا بفعله جبريا واليك تفصيل ذلك :

اللا أدريه

واللا ادريه مذهب فلسفى يقوم على الاعتراف بعجز العقل البشرى عن ادراك المجردات ، وفهم جوهرها وخواصها ، وبعجز العلم اللدنى عن الوصول الى فهم هذه المجردات ، وكان الخيام كما ظهر لى من رباعياته لا ادريا ، يدين بهذا المذهب وقد اتهم العقل والعلم ، فى كثير من رباعياته بعجزهما عن ادراك سر الحياة ومن ذلك قوله :

آنان كه بهكار عقل در ميكوشند
هيهات كه جمله كاونر ميدو شند
آن به كه لباس ابلهى در بوشند
كامروز به عقل تره مى نفر وشند

اولنك الذين همهم الجهد من طريق العقل ، هيهات فانهم يحلبون ثورا فهم خليقون أن يتقمصوا البلاهة اذ لا يشترى اليوم بالعقل باقة من كراث :

آنانكه محيط فضل وآداب شدند
واز جمع كمال شمع أصحاب شدند
رهزين شب تاريك نبردند برون
كفتند فسانهٔ ودر خواب شدند

اولئك الذين أحاطوا بالفضل والادب بجميع الكمالات أصبحوا شموع المجالس والاصحاب لم يهتدوا الى الطريق فى هذا الليل الدامس وانما فاهوا بشيء من الخرافات وناموا .

دل سر حيات اكر كماهي دانست ؟
در مرك هم أسرار آلهى دانست
امروز كه با خودى ندانستى هيچ
فرداكه زخودروىجه خواهى دانست

لو عرف القلب سر الحياة كما هى لعرف أيضا فى الموت الاسرار الآلهية ، أنت لا تعلم شيئا ومعك نفسك فماذا تعلم غدا اذا تجردت منها ؟

قومى متفكرند در مذهب ودين
جمعى متحيرند در شك ويقين
ناكاه منادى در آيد زكمين
كاى بيخبران راه نه آنست ونه اين

قوم يتفكرون فى المذهب والدين ، وجماعة حيارى بين الشك واليقين واذا هم بهاتف يهتف بهم من عالم الغيب أيها الغافلون الطريق لا هذا ولا ذاك .

ويظهر مما قدمنا أن عمر الخيام كان لا ادريا كما نطقت به رباعياته ، وانه قد اعترف بعجز العقل البشرى والعلم اللدنى عن ادراك المجردات ، غير أن لا ادريته ألقت فى نفسه أثرا سيئا بعث فيه روح التشاؤم ، وجعله

ينظر الى الحياة نظر قانط ، وبغض الى قلبه الدنيا وما فيها فتمنى العدم وآثره على الوجود ، وما تمنى العدم والفناء الا لانه كان يخافهما .

كلنا نشعر شعورا غريزيا بأننا مفطورون على حب البقاء ، وحب البقاء يدفعنا الى ان نحب الحياة ، ولما كان الموت آفة الحياة أصبحنا نشعر بأننا نخاف الموت وننفر منه واذا فكر أحدنا في الموت ارتعدت فرائصه وأصابته هزة عنيفة في شعوره ووجدانه فلا أدرية الخيام وجهله الخليقة والحياة والعدم وخوفه من الموت ـ الفناء ـ كل ذلك ولد فيه التشاؤم .

اذاً فالتشاؤم هو وليد حب الحياة والبقاء ولهذا نرى الخيام يتمنى لو أنه يعود مرة اخرى الى الحياة ولو بعد مئات الوف سنين كما يعود العشب .

ايكاش كه جاى آرميدن بودى
يا اين رهدورزا رسيدن بودى
كاش ازبى صد هزار سال ازدل خاك
جون سبزه اميد بردميدن بودى

يا حبذا لو كان للراحة موطن ويا حبذا لو بلغنا آخر هذا الطريق الطويل ، ويا حبذا لو كان أمل في العودة الى الحياة بعد مئات الوف سنين كعودة العشب من قلب التراب .

التشـــاؤم

والتشاؤم مذهب قديم ظهر في ديانة البوذيين ويقوم على أن العقل يرتأى أن كل شيء في الدنيا سيء ورديء بل أردأ ما يمكن أن يكون وأن مقدار الشرور في الحياة يفوق مقدار الخيرات ، وقد شملت هذه العقيدة الحياة كلها وكان أساس موضوعها صلة الانسان بالخير والشر وعلاقته باللذة والالم على انه يجب التفريق بين المتشائم والمعتقد لفلسفة التشاؤم ، فالخيام

لم يكن متشائما ماقتا للحياة كأبى العلاء المعرى الذى انزوى فى عقر داره وسمى نفسه رهين المحبسين ولا أشك فى أن الخيام قد متع نفسه بالملذات ولم يقصر فى اقتناص ساعات السرور ولكننى أعتقد أنه كان معتقدا لفلسفة التشاؤم والفرق بين المعرى والخيام فى هذا المطلب هو أن المعرى كان متشائما بنفسه ومعتقدا لفلسفة التشاؤم أيضا فتسميته لنفسه « رهين المحبسين » وانزواؤه عن الناس دليل على انه كان ذا روح متألمة متشائمة وقوله بأن الشر طبع وان جذوره متأصلة فى قلوب الناس دليل على اعتقاده فلسفة التشاؤم لكن الخيام يختلف عن ذلك لان الخيام اندفع الى التشاؤم بسبب لا ادريته •

ومن الناس من يرى أن التشاؤم والمعتقد لفلسفة التشاؤم مريض اصيب بأمراض عصبية روحية عقلية أو لم يكن له نصيب من التهذيب ومن التربية الصحيحة المستقيمة أو انه سليل أبوين أحدهما مصاب بمرض وراثى والتشاؤم ينشأ ويتفشى فى المناطق الحارة الموبوءة بالاساطير والخرافات •

ولعل الفقر والمرض من أهم الاسباب والعوامل فى تكوين التشاؤم وفيما يأتى نثبت شيئا من رباعيات الخيام تفصح عن تشاؤمه قال :

مائيم در او فتاده جون مرغ بدام
دلخستهٔ روزكار وآشفته مدام
سر كشته درين دائرهٔ بى در وبام
نا آمده برمراد ونا رفته بكام

وقعنا فى هذه الحياة وقوع الطير فى الفخ مفؤودين من الدهر طائشين على الدوام تائهين فى هذه الدائرة التى لا سطح لها ولا باب لاجئنا باختيارنا ولا ذهبنا بارادتنا • وقال :

جون حاصل آدمى دراين شورستان
جز خوردن غصه نيست ياكندن جان

خرم دل آنكه ازجهان بيرون شد
آسوده كسى كه خود نيامد بجهان

لم يكن محصول الانسان فى هذه الحياة ذات الفتن الا الالم وعذاب النفس فطوبى لمن خرج منها أو لم يجىء اليها •

روزى كه دو مهلتست ميخورمى ناب
كاين عمر دوروزه بر نكردد درياب
دانى كه جهان رو بخرابى دارد
تونيز شب وروز همى باش خراب

اشرب الخمرة الصافية مرتين كل يوم فان هذا العمر الذى هو يومان لا يعود اليك مرة اخرى انت تعلم ان الكون آيل الى الخراب فكن أنت خرابا ليلا ونهارا •

ولما رأى الخيام ان عقله قاصر عن ادراك سر الحياة ، وان عمر الانسان قصير وانه عرضة للآلام والشرور ارتأى أن خير وسيلة تنقذ نفسه من هذه الهواجس والخطرات الاليمة والشكوك المضنية ان ينتهز الفرص وأن يتمتع ما استطاع بلذات الحياة ، وان لا يحزن لما يلاقيه فى غد ، وان لا يتحسر على ما خسره بالامس ، وان يقطع صلته بالماضى والمستقبل ، وان يهتم بالساعة التى هو فيها •

وصفوة القول ان شكوك الخيام ويأسه وآلامه دفعته الى الاخذ بالفلسفة السلبية ، وهى أشد خطرا من غيرها على البشرية • قال :

روزى كه كذشته است ازوياد مكن
فردا كه نيامده است فرياد مكن
برنامده وكذشته فرياد منه
حالى خوش باش وعمر برباد مكن

لا تذكر اليوم الذى مضى ولا تجزع من غد لم يأت بعد ، ولا تفزع مما لم يأت ولا مما مضى • طب نفسك ولا تنغص عيشك • وقال :

مى نوش كه عمر جاودانى اين است
خود خاصيت دور جهـانى اين است
هنكام كل ومل است وياران سرمست
خوش باش دمى كه زندكانى‌اين‌است

اشرب الخمر لانها الحياة الدائمة ، فهى وحدها مزية الدنيا • الوقت وقت ورد وطرب ، والاخلاء سكارى ، أسعد لحظة فهذه هى الحياة • وقال

اين عقـل كه درراه سـعادت بويد
روزى صـد بار خود ترا ميكويد
درياب تـو اين يكدمـه فرصت كه‌نهٔ
آن تره كه بدروند وديـكر رويـد

هذا العقل الذى يطوى طريق السعادة يقول لك فى اليوم مائة مرة، افق **أنت** فى هذه النهزة كالنبات (الكراث أو الكرفس) الذى كلما حصدوه **نبت** •

الجبـريـة

وقد عثرت على تصريح لعمر الخيام بالجبر بصورة لا تحتمل الشك ولا التأويل وقد قام تصريحه دليلا على اعتناقه عقيدة الجبر فقد سـئل فى عصره عن ثلاث مسائل كان احداها : أى الفريقين أقرب الى الصـواب وقوله أشبه بالتحقيق الجبرية القائلون بنفى الاختيار عن الممكن أم القدرية الناسبون الى العبد خلق أفعاله ؟ فصرح عمر الخيام بما نصه :

ولعل الجبرى أقرب الى الحق فى بادىء الرأى وظاهر النظر من غير أن يتلجلج فى هذيانه ويتغلغل فى خرافاته فانه حينئذ يبعد عن الحق جدا •

وقد دلت رباعياته على اعتقاده الجبر قال :

آورد باضطرارم اول بوجود
جز حيرتم از جهان جيزى نفزود
رفتيم باكراه وندانيم جه بود
زين آمدن وماندن ورفتن مقصود

جاء بى مضطرا الى الوجود ولم ازدد غير الحيرة فى هذه الحياة • ذهبنا مكرهين ولم نعلم المقصود من مجيئنا وبقائنا وذهابنا • وقال :

بر رهكذرم هزار جا دام نهى
كوئى كه بكيرمت اكر كام نهى
يك ذره زحكم توجهان خالى نيست
حكمم تو كنى وعاصيم نام نهى

تضع الاشراك يا الهى فى الف مكان من سبيلى وتقول انك اذا وطئتها فانا مهلكك • لا تخلو ذرة فى العالم من حكمك • أنت تحكم وتقدر علي وأنت تسمينى بالعاصى ؟

نظراوه

ابن الشبل البغدادي

ظفرت من تأريخ الادب العربى بشخصيتين لامعتين عربيتين ، تضارعان الخيام في وجهة التفكير ، وتشابهانه فى الاحساس والشعور ، وتشاركانه فى التذمر والتشاؤم ، والوساوس والهواجس • حتى لكأن ما دار فى خلد هاتين الشخصيتين دار فى خلد الخيام ، وكأن الارادة الازلية أوردت هؤلاء الثلاثة معينا واحدا ، وسقتهم من كأس واحدة ، لكثرة ما بينهم من التقارب والتشابه ، فهم اخوان فى الرأى ، انسباء فى التفكير والشعور ، برغم اختلافهم فى الجنس ، والعربيان هما الشاعران محمد بن الحسين بن عبدالله الشبل أبو على الشاعر الحكيم ، وأحمد بن الحسين أبو العلاء المعرى الشاعر الضرير الفيلسوف • وكان ابن الشبل معاصرا لعمر الخيام معاصرة الشيخ للشاب ولد وتعلم ومات فى بغداد ، وقد ترجمه غير واحد من المؤرخين وقد وجدت ان اغزر التراجم مادة ما دونه القفطى فى كتابه المحمدون من الشعراء[١] قال :

« محمد بن الحسين بن عبدالله بن أحمد بن يوسف بن الشبل بن اسامة الشاعر أبو على من أهل شارع دار الرقيق ببغداد أحد الشعراء المجودين ، وكان من ظرفاء بغداد ، مدح الناس وكان قيما بصناعة الشعر ، وانتشر ديوانه وشعره فى الاقطار ، وسمع غريب الحديث لابى عبدالقاسم بن سلام ••• وروى عن الامير أبى

---

(١) اصول التأريخ والادب للدكتور مصطفى جواد ـ مخطوط ـ

محمد الحسن بن عيسى بن الخليفة المقتدر بالله ، روى لنا عنه ... ذكره أبو الحسن على بن الحسن الباخرزى .... » ثم روى عنه حديثا بالاسناد فى الصداقة والصديق عن أبى عزة المازنى « يستحسن الصبر عن كل أحد الا عن الصديق .... »

وقال الذهبى فى تاريخ الاسلام « له ديوان سائر ، وقد سمع غريب الحديث وكان ظريفا نديما مطبوعا رقيق الشعر » ... وقد أجمع المترجمون له على انه توفى سنة ٤٧٤ هـ فى بغداد ودفن فى مقبرة باب حرب ، غربى مقابر قريش .

وقال شمس الدين محمد بن محمود الشهرزورى فى نزهة الارواح وروضة الافراح :-

« ابن الشبل البغدادى هو أبو على الحسين بن عبدالله بن يوسف بن شبل ، مولده ومنشأه بغداد ، وكان حكيما فيلسوفا ومتكلما فاضلا وأديبا بارعا وشاعرا مجيدا وكانت وفاته ببغداد سنة أربع وسبعين وأربعمائة ، ومما روى له فى الحكمة من جيد شعره هذه القصيدة وهى تدل على قوة اطلاعه فى العلوم الحكمية والاسرار الالهية ، وبعضهم ينسبها الى ابن سينا وليست له ولا لغيره :-

بربك أيها الفلك المدار أقصد ذا المسير أم اضطرار ؟

ونقل الصفدى فى ترجمة ابن ناقيا قال : وكانت بينه وبين ابن الشبل منافرة ومباعدة شائعة ظاهرة قال أبو الحسن على بن أحمد بن الدهان . - انشدته يوما لابن الشبل :-

وما أسجد الله الملائكة كلهم لآدم الا أن فى نسله مثلى
ولو أن ابليسا درى خر ساجدا لآدم من قبل الملائكة من أجلى
فيا رب ابراهيم لم أوت فضله ولا فضل موسى والنبى مع الرسل

فلم لي وحدي الف فرعون في الورى ولي الف نمرود والف أبي جهل

فلما سمعها قال : أشهد بين يدى الله انه ما اخرج آدم من الجنة الا لكونه كان فى ظهره • ثم قال : امض اليه فانشده :

اذا ما افتخرت فلا تجهلن أباك وسلافه (كذا) بالعصا

فأنت قذار نبيذ الذباب اذا أنت أوطأتها أخمصا

فكونك فى الظهر من آدم بشؤمك اهبطه اذ عصى

ولو كان آدم ذا خبرة بأنك من نسله لاختصى

وقيل لابن ناقيا : ألم تكن قرأت على الشيخ ابن الشبل ؟ قال : بلى والا فمن أين اكتسبت هذه البلادة التى في ؟•

وفيما يلى ندرج قطعا شعرية لابن الشبل ، تدل على وجود مقاربة ومشابهة فى الشعور والتفكير بين الحكيمين العربى والفارسى ولعل الخيام اطلع على شعر ابن الشبل اطلاع الشبان على شعر الشيوخ فى زمانهم • قال :

غاية الحزن والسرور انقضاء ما لحى من بعد ميت بقاء

لا لبيد باربد مات حزنا وسلت عن شقيقها الخنساء

مثل ما فى التراب يبلى الفتى فالحزن يبلى من بعده والبكاء

غير ان الاموات مروا وأبقوا غصصا لا تسيغها الاحياء

انما نحن بين ظفر وناب من خطوب أسودهن ضراء

نتمنى وفى المنى قصر العمر فنغدو كما نسر نساء

صحة المرء للسقام طريق وطريق الفناء هذا البقاء

بالذى نقتدى نموت ونحيا اقتل الداء للنفوس الدواء

ما لقينا من غدر دنيا فلا كا نت ولا كان أخذها والعطاء

خلب تحت راعد وسراب كرعت فيه مومس خرقاء

راجـع جودهـا عليهـا فمهما يهب الصبـح يسترد المســاء
ليت شعرى حلما تمر بنـا الايام أم ليس تعقل الاشياء ؟
من فساد يكون فى عالم الكو ن فما للنفوس منهـا اتقـاء
وقليـلا مـا يصحب المهجـة الجسم ففيم الشقا وفيم العناء
قبـح الله لـذة لشـقانـا نالهـا الامهـات والآبـاء
نحن لولا الوجود لم نـألم الفقـد فايجادنـا علينـا بلاء

☆ ☆ ☆

ولـه :

بربـك أيهـا الفلك المدار أقصد ذا المسير أم اضطرار ؟
مدارك قل لنـا فى اى شيء ففى افهامنـا عنـك انبهـار
فطـوق فى المجـرة ام لآل هلالك ام يـد فيهـا سـوار ؟
وفيك الشمس رافعـة شعاعـا بأجنحـة قوادمهـا قصـار
ودنيـا كلمـا وضعت جنينـا عـراه من نوائبهـا ظؤار
هى العشواء مـا خبطت هشيم هى العجماء ما جرحت جبـار
فـكم من بعـده عفر وعقـر نسير ومـا بـلا ليـل نهـار
لقـد بلغ العـدو بنـا مناه وحـل بآدم وبنـا الصغـار
وتهنـا ضائعـين كقوم موسـى ولا عجـل أخـل ولا خـوار
فيـالك اكلة مـا زال فيهـا علينـا نقمـة وعليـه عـار
نعاقب فى الظهور ومـا ولدنـا ويذبح فى حشـا الام الحوار
ونخرج كارهين كمـا دخلنـا خروج الضب اخرجـه الوجار
وكانت انعمـا لـو ان كونـا نشـاور قبلـه أو نستشـار
ولا ارض عصتـه ولا سمـاء ففيم يغـول انجمهـا انكـدار

★ ★ ★

ولـــه :

وكأنمـــا الانسان فيـــه غيره | متلونا والحسن فيـــه معـــار
متصرف ولـــه القضاء مصرف | ومكلف وكأنـــــه مختـــــار
طورا به تصبو الحظوظ وتارة | حظ تحيل صوابه الاقـــدار
تعمى بصيرتـه وتبصـر بعـدما | لا يستـرد الفـائت استبصـار
فتراه يؤخـذ قلبه من صـدره | ويرد فيه وقـد جرى المقـدار
فيظـل يضرب بالملامـــة نفسه | ندمـا اذا لعبت بـــه الافـكار
لا يعرف التفريط فـي ايراده | حتى يبينـه لـــه الاصـدار

مقطعات من شعر ابن الشبل البغدادي(١)

قـال :

يـا آلهي افـردت مثـــلي بالفضـــل وفضـــلي معرض للخطوب ؟
كيف أنشـأتني وأنت حكيـم | مستقيمـا في عـالم مقلوب ؟

* * *

وقـال :

تلون هـــذه الدنيـــا علينـــا | فمـــا منهـــا اللبيب بمستريح
شبيـــه بالعقوق البر فيهـــا | وفيها العـدل كالجور الصريح
يحـل الداء في عضـو سـقيم | فيخرج من دم العضو الصحيح

* * *

ولـــه :

وساع سعى نحوي بكأس عقار | كغرة شمس في ضيـاء نهـار
كفي شرها الساقي النديم بمزجهـــا فصبت لجينا فوقأرض نضار

---

(١) اصول التاريخ والادب للدكتور مصطفى جواد « مخطوط »

فجاءت كخود ضرج اللحظ خدها   فأخفت حياء وجهها بخمار
وناولنيها والمجرة فى الدجى   كلجة ماء فى رياض بهار
كأن الثريا والهلال يضمها   من الدر كف سورت بسوار

* * *

وله :

تسل عن كل شيء بالحياة فقد   يهون عند بقاء الجوهر العرض
كم اخلف الله مالا انت متلفه   وما عن النفس ان أتلفتها عوض

وله :

يفنى البخيل بجمع المال مدته   وللحوادث والايام ما يدع
كدودة القز ما تبنيه يهلكها   وغيرها بالذى تبنيه ينتفع

* * *

وله :

أما ترى الليل قد سدت مذاهبه   مرخى الذوائب فى عرض وفى طول
كأنه من ملوك الزنج ذو شرف   قد كللوه بأنواع الاكاليل
كأن نرجس شرب فى كواكبه   والبدر اترجة بين التماثيل
والمشترى راهب من حول هيكله   بيض المصابيح فى زرق القناديل
ومن خرائده الجوزاء قد خلعت   عنها العقود لضم أو لتقبيل
كأن جدول روض فى مجرته   أو ماء أخضر ذى حدين مصقول

* * *

وله :

وما أسجد الله الملائك كلهم   لآدم الا أن فى نسله مثلى
ولو أن أبليسا درى خر ساجدا   لآدم من قبل الملائك من أجلى
فيا رب ابراهيم لم أوت فضله   ولا فضل موسى والنبى مع الرسل

فلم لي وحدى الف فرعون فى الورى ولى الف نمرود والف أبى جهل؟

* * *

ولـــه :

ومبشـــر بالجاشـرية معشـرا صرعى كؤوس الراح والريحان
قتـل النفوس غبوقها فأعـادها ذكر الصبوح تدب فى الابدان
وكأنما أرخى غلائل سـندس أو جـر أذيـالا عـلى العقيـان
متقـــلد بعقيقتـين مـوشـــح بالدرتـــين مقـــرط الآذان
صفق الجناح على الجناح مغردا قبـــل الاذان منـــددا بـالاذان
وحدا الظلام مع الكواكب سحرة بمثـالث من صـوته ومثـــان
يا غافلين دنا الصبوح فبـادروا الـــلذات قبـــل عـوائق الازمان
تدنو السقاة الى السقاة كأنمـا يمشـون تحت مقابس النـيران

* * *

ولـــه :

بتنـا ندير كؤوسـا من مدامعنا ونجعل البث للاسـرار ريحانا
يضمنا وجدنا والصـون ينشرنا لف الشمال على الاغصان أغصانا
ونجعل الكبد الحرى على الكبد الحـــرى ونبدى من الاشـواق الوانا
وللصبا عبث بالثـوب تجـذبه عنـا كموقظـة بالرفق وسـنانا

* * *

ولـــه :

قرب معـاش المرء من بيتـــه بعـــد تمـام الامن والعـافيـه
من أكبر النعمـاء مع زوجـــة يرضى بهـــا وهى به راضيـه
فمن يصب ذا فهـو فى جنـة قطوفهـــا من كفـــه دانيـــه

* * *

ولـــه :

خرجنـا من قضـاء الله خوفـا وكـــان فرارنـا منـه اليـــه
وأشقى الناس ذو حزم توالت مصـائبـــه عليـــه من يديـه
تضيق عليه طرق العذر فيهـا ويقســو قلب راحمـه عليـــه

* * *

ولـــه :

وقالـوا مسـتريح القلب مثـر وغرهم السـكوت على الشكايه
وأيـة راحـــة لـكريـم نفس يكد ولا يعـود الى كفايـــه ؟

* * *

ولـــه :

لا تكشـفن لعـاذر أو عـاذل حاليـك فى السـراء والضـراء
فلـرحمـة المتوجعـــين حزازة فى القلب مثـل شـماتة الاعداء

أبو العلاء المعري

كنت فى أثناء درسى لرباعيات الخيام أشعر بوجود نسب متين ، وقرابة فكرية بين عمر الخيام وأبى العلاء المعرى ، وكنت كلما انعمت النظر فى أقوال الخيام ازددت يقينا بوجود شبه عظيم بين هذين الفذين ، ولو أن توأمين نشآ فى حضن أب وأم وتعلما فى مدرسة واحدة ، وتربيا فى بيئة واحدة وطرأ عليهما من شؤون الحياة فى الصغر والكبر ، ما يكونان به شريكين فتماثلت أخلاقها وطباعهما وتقاربت آراؤهما ونظراتهما فى الكون لقلنا ان المعرى والخيام اخوان شقيقان ، وفرعان من غصن واحد ، فكأن المشيئة الالهية قد قدتهما من أديم واحد ، وجبلت طينتهما فى اناء واحد فى وقت واحد وحبتهما طبعين وفكرين متقاربين ومتشابهين •

ان من غريب الاتفاق أن يكون الحكيمان متماثلين فى الاخلاق ، فكلاهما كان منقبض النفس ضيق الصدر منزويا عن الناس ، زاهدا فيما بأيديهم ، ماقتا لهم مستهزئا بهم ، مستخفا بعقائدهم ومبادئهم ، وكلاهما مبغض للدنيا متطال لامور غامضة أجل شأنا وأعظم قدرا من حطامها ، وكلاهما متطلع تائق الى أسرار الحياة معنى بها ، وكلاهما أبى النفس صادق القول مطلق الرأى جرىء على البوح بمذهبه ، الا فترات كانا كلاهما يراعى فيها خواطر الناس خشية الاذى والضرر ، وكلاهما فقير لم يملك شيئا من حطام الدنيا ، ولو أردا لنالا وفرا وذهبا وفضة • وكلاهما نشأ فى عصر حافل بالعلوم والمعارف فائض بالآراء الفلسفية ، ففى عصرهما ظهر مذهب الاسماعيلية والباطنية وقبل عصرهما اجتمع اخوان الصفا خفية ، وابرزوا رسائلهم الشهيرة • وأقوال الفيلسوفين على تقارب فى العلوم والمعارف • أما تآليفهما فقليلة أيضا • وأما السياسة فى زمانهما فمتشابهة ،

فقد كانت نار الفتنة مشتعلة فى سورية فى عصر المعرى • وأما ايران فقد كانت رحى الحرب فيها دائرة كل المدة التى عاش فيها الخيام ، فانه نشأ فى أكناف الدولة السلجوقية التى قامت مقام الدولة الغزنوية والدولة البويهية معا ولم تقم الا بالسيف ، وكان الخيام يشهد ذلك وقد اتسع سلطان هـــذه الحكومة فى ايام ملكشاه ٤٦٥ ــ ٤٨٥هـ الذى كان يجل عمر الخيام اجلالا عظيما حتى وكل اليه بناء الرصد وترتيب الزيج •

وقد ولد أبو العــلاء المعرى (أحمد بن عبدالله بن سليمان بن محمد التنوخى) الشاعر الحكيم فى المعرة سنة ٣٦٣هـ وتوفى سنة ٤٤٩هـ وكان والده من أهل الفضل وتولى جده القضاء فيها ، وكانت امه من اسرة وجيهة عرفت بآل سبيكة ، اشتهر منهم غير واحد بالوجاهة والادب ، وكانت المعرة تحت حكم الدولة الحمدانية بحلب وأميرها يومئذ سعد الدولة أبو المعالى •

وتنص كتب التراجم على انه أصابه الجــدرى فى الثالثــة من عمره ، فذهب بيسرى عينيه وغشى يمناهما بياض فكف بصره ، وهو طفل ، وكان يقول « لا أعرف من الالوان الا الاحمر لانى البست فى الجــدرى ثوبــا مصبوغا بالعصفر » وقد تولى والده تدريسه ، فلقنه النحو واللغة فى حداثته، ثم قرأ على جماعة من علماء بلده ، ولما أدرك العشرين من عمره عمد الى سائر علوم اللغة وآدابها ، واكتسبها بالسماع والاجتهاد ، وكان يقيم اناسا يقرأون له الكتب ، وهو قوى الحافظة الى حد المبالغة وقيل انه نظم الشعر قبل أن يتم الحادية عشرة من عمره ، ولم يمنعه العمى من مباراة أرباب القرائح فيما اشتغلوا به حتى فى ألعابهم ، فقد كان يلعب الشطرنج والنرد ويجيد لعبهما ، وكان لا يرى فى العمى نقصا وكان يقول : « أحمد الله على العمى كما يحمده غيرى على البصر » وكان يرتزق من وقف يحصل منــه ثلاثون دينارا فى العام ينفق نصفه على من يخدمه •

ورحل فى طلب العلم والادب فسافر الى اللاذقية وطرابلس من بلاد الشام وزار دار علم ابن عمار بها وأخذ فلسفة اليونان عن الرهبان ثم رحل الى بغداد سنة ٣٩٨هـ وقد سبقه صيته وشهرته اليها فاستقبله علماؤها بالحفاوة ، واختلف الى دار العلم السابورية بالجانب الغربى منها وذكرها فى شعره ونثره واقتبس منها علما جما • ثم غادر بغداد سنة ٤٠٠هـ واتى المعرة ولزم بيته وسمى نفسه « رهين المحبسين » بل رهين الحبوس الثلاثة وباشر التأليف والنظم وامتنع عن أكل اللحم واقتصر على النبات رفقا بالحيوان ، وتجافيا عن ايلامه وقد ذهب بذلك مذهب البراهمة حتى انه استحسن احراق الهنود لاجسادهم •••

قضى أبو العلاء المعرى فى عزلته بالمعرة بضعا وأربعين سنة وطعامه العدس وحلاوته التين ، وهو يؤلف وينظم والناس يتوافدون اليه ، ليسمعوا أقواله ويأخذوا من أدبه الى أن توفاه الله سنة ٤٤٩هـ • وكان قطبا من أقطاب العلم والادب والشعر وقد تميز عن سائر الشعراء بأنه الشاعر الذى لم يتكسب من شعره •

أما عمر الخيام فاننا لا نعرف عن أيام حداثته شيئا كما لا نعرف عن أبيه وأمه وعائلته ما عرفنا عن المعرى ، وكل ما نعرفه فى هذا الصدد انه نشأ فى نيسابور وتعلم بها ، وأنه نال من العلوم والآداب والفضائل درجة عالية ، وقد ذاع صيته واشتهر اشتهارا عظيما حتى لقب بالقاب فخمة ونعت بنعوت ضخمة فلقب (بالفيلسوف والدستور وحجة الحق والامام والحكيم) وكانت له منزلة سامية عند ملوك عصره فنال منهم حظوة عظيمة ، وقد قام برحلات فى بلاد فارس والعراق والحجاز وسافر الى الرى والى بلخ وبخارى وبغداد ونجهل ان كان ذلك فى طلب العلم أو لمقصد آخر •

وصفوة القول ان هناك شبها عظيما بين الشيخين الحكيمين فى الآراء والوجهة الفلسفية والهواجس •

اتهامهما بالزندقـــة

كان كل واحد من الشيخين موصوما بضعف العقيدة الاسلامية ، متهما بالزندقة وكانت لفظة « الزنديق » فى عصرهما يطلقها الجهال على الاحرار المفكرين بل كانت الزندقة صفة من يخالف ما كان عليه الجمهور ، وقـد أودت هذه التهمة قبله بحياة الكثيرين كصالح بن عبد القدوس وبشـار بن برد والحسين بن منصور والحلاج وبعده كالسهروردى قتيل حلب وفى أيامه كالطغرائى صاحب لامية العجم •

أما أبو العلاء المعرى فقد ذكروا انه دخل عليه ذات يـوم رجل من قراء المعرة يعرف بأبى القاسم فطلب اليه بعض الناس أن يقرأ بعضا من الآى الكريم فقرأ « ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة اعمى واضل سبيلا » يريد بذلك اهانة الشيخ والتعريض به وقد تألم أبو العلاء من ذلك اللئيم فجاه ببيتين •

ودخل عليه الاديب المشهور بالمنازى فسأله ما هذا الذى يرويه عنك الناس ؟ قال :ـ قد حسدونى فكذبوا علي وقد تركت لهم الدنيا ، قـــال المنازى :ـ والآخرة • فقال ابو العلاء « والآخرة ؟ » ثم أطرق ولم يكلمه، حتى قام عنه المنازى •

وقيل : وزاره بعض القضاة فجرى بينهما حديث فقال له ابو العلاء لم أهج أحدا قال صدقت الا الانبياء فتغير لونه •

وقد شاع له شعر على أفواه الناس حمل جماعــة من معــاصريه أن يتهموه بالمروق من الدين كقوله :

دين وكفر وأنباء تقص وفرقان ينص وتـوراة وانجيـل
فى كل عصر أباطيل يدان بها فهل تفرد يوما بالهدى جيل؟

وقـوله :

أفيقوا أفيقوا يا غواة فانمـا ... دياناتكم مكر من القدماء
أرادوا بهاجمع الحطام فادركوا ... وماتوا ودامت سنة اللوء ماء

وقـوله :

هفت النصارى والحنيفة ما اهتدت ... ويهود حارت والمجوس مضلله
اثنـان أهـل الارض ذو عقـل بـــلا دين وآخر دين لا عقل لـه

وقـوله :

ان الديانات القت بيننـــا احنـا ... وعلمتنـــا أفانـين العــداوات

★ ★ ★

وقـوله :

عجبـت لـكسـرى وأشـياعـه ... وغسـل الوجـوه بـبـول البقر
وقـوم أتوا من أقاصى البـلاد ... لـرمى الحجـــار ولثـم الحجـــر
فيـا عجبـــا من خرافاتهـــم ... أتعمى عن الحق عـين البشـر

★ ★ ★

وقـوله :

قلتـم لنـا صـانع قـديم ... قلنـــا الا هكـذا نقـول
زعمتمـوه بـــلا زمـــان ... ولا مـكان الا فقـولوا :
هـــذا كـلام لـه خـبى ... معنـاه ليسـت لنـا عقـول

وقد وصم عمر الخيام بما وصم به المعرى فقد قال الشيخ نجم الدين الرازى فى كتابه (مرصاد العباد انه ممن يدين بدين الفلاسـفة الدهريين الطبيعيين ، وقد احتج نجم الدين لزندقة الخيام بالرباعيتين الآتيتين : ـ

در دائرهٔ كامـدن ورفتن مـاسـت
آنرانـه بدايت نه نهـايت بيداسـت
كس مى نزند دمى درين عالم راست
كاين آمدن از كجا ورفتن بكجاست

لا بداءة ولا انتهاء لهذه الدائرة التى جئنا منها لا أحد يستطيع أن يعلم من أين هذا المجىء والى أين هذا الذهاب •

دارنده كه تركيب طبائع آراست
باز ازجه سبب فكندش اندر كم وكاست
كرز آنكه بد آمد اين صور عيب كراست
ورنيك آمد خرابى ازبهرجه خواست

لأى سبب يهدم الله الحياة والانسان بعد ان كان هو الذى ركب الطبائع، فان جاءت رديئة فالعيب يعود عليه وان كانت جيدة فلماذا يخربها ؟

وقد أيد هذه الرواية (القفطى) فى كتابه أخبار الحكماء بقوله : (ونسا قدح أهل زمانه فى دينه ، وأظهروا ما أسره فى مكنونه خشى على دمه ، وأمسك قلمه وحج متاقاة لا تقية ، وأبدى أسرارا من السرار غير نقية ٠٠) وهذا القول يدل على أن الناس كانوا يناوئونه ويتناوشونه بالكلام القارص • وفيما يأتى نثبت رباعيتين له فى الرد عليهم قال :

أى مفتى شهر از تو پركار تريم
با اين همه مستى زتو هشيار تريم
ماخون رزان خوريم وتوخون كسان
انصاف بده كدام خونخوار تريم ؟

يا مفتى المدينة نحن أحسن منك عملا ومع كثرة سكرنا نحن أصحى منك نحن نشرب دم العنقود وأنت تشرب دم الناس فاينا سفاك الدماء ؟

شيخى بزن فاحشه كفتا مستى
هر لحظه بدام ديكرى بابستى
كفتا شيخا هر آنجه كوئى هستم
اما تو جنانجه مينمائى هستى ؟

قال شيخ لمومس انت سكرى • وفى كل ساعة متعلقة بخليل • فقالت له : يا شيخ ان الذى قلته فيّ صحيح ولكنك أأنت كما تظهر للناس ؟

اعتقادهما الجبر

كان كلا الحكيمين معتقدا مذهب الجبر دائنا به ، فقد نص أبو العلاء المعرى فى مقدمته اللزوميات ، على أنه لم يؤلف هذا الكتاب مختارا وانما ألفه بقضاء خفى لا يعرف كنهه وحقيقته • وقد ذكر الجبر فى اللزوميات مرارا كثيرة ، مثبتا اياه ومناضلا عنه ، فمن قوله فيه :

خرجت الى ذى الدار كرها ورحلتى   الى غيرهـا بالرغم والله شاهـد
فهـل أنـا فيما بين ذلك مجبر   عـلى عمل أم مسـتطيع فجاهـد

* * *

ما باختيارى ميلادى ولا هرمى   ولا حيـاتى فهل لى بعد تخيـير

* * *

جئنـا على كره ونرحل رغمـا   ولعلنـا مـا بـين ذلك نجبر

* * *

ولـم نحلل بدنيـانا اختيـارا   ولـكن جاء ذاك عـلى اضطرار

أما عمر الخيام فكان رأيه صريحا فى الجبر ، بصورة لا تحتمل الشك ولا التأويل ، فقد سئل فى عصره عن ثلاث مسائل (احداها) كيف صدر ملازيم التضاد والشر عن الواجب مع البت بانه عز وجل يتعالى عن أن يكون مصدر شر أو ظلم وجور ومع القول بامتناع تعدد الواجب ؟ (والثانية) أى الفريقين أقرب الى الصواب وقوله أشبه بالتحقيق :ـ الجبرية القائلون بالجبر وفى الاختيار عن الممكن أم القدرية الناسبون الى العبد خلق أفعاله (والثالثة) ان قوما يقولون بأن البقاء من صفات المعانى أى انه صفة زائدة على ذات الباقى فى الخارج فكيف يصح قولهم وما سبيل المناقشة معهم ؟

فاجاب عمر الخيام بكلام طويل حلل فيه هذه الابحاث تحليلا دقيقا ، وكان جوابه عن السؤال الثالث صريحا فى الجبر فقد قال :ــ واما سؤاله عن أى الفريقين اقرب الى الصواب فلعل الجبرى اقرب الى الحق فى بادىء الرأى ، وظاهر النظر، من غير ان يتلجلج فىهذيانه ، ويتغلغل فىخرافاته، فانه حينئذ يبعد عن الحق جدا :ــ

اما رباعياته فقد دلت على اعتقاده الجبر قال :

آورد بـاضطـرام اول بـوجـــود
جز حـيرتم از جهـان جيزى نفزود
رفتيـم باكراه ونـدانيم جـــه بـود
زين آمدن ومـاندن ورفتن مقصـود

جاء بى مجبرا الى الوجود ، ولم ازدد غير الحيرة فى هذه الحياة ، ذهبنا مكرهين ، ولم نعلم المقصود بمجيئنا وبقائنا وذهابنا •

بـر رهكذرم هـزار جـا دام نهى
كوئى كــه بكيرمت اكـر كام نهى
يك ذره زحكم تو جهان خالى نيست
حكمم تو كنى وعـاصيم نـام نهى ؟

تضع الاشـراك يا الهى فى الف مكان من سبيـلى ، وتقـول لى : اذا وطئتها فانى مدويك «صائدك » ، لا تخلو ذرة فى العالم من حكمك ، انت تحكم وتقدر عني ، وانت تسمينى بالعاصى ؟

البعث بعد الموت

كان قدماء المصـريين يعتقدون عودة الروح الى الجسد فى الدنيـا ، وكان فلاسفة اليونـان الآلهيون يعتقدون خلود الروح الا انهم مـا كانوا يؤمنون ببعث الارواح ، كما نصت عليه الشرائع المنزلة ، وانـكروا حشر الاجساد التى لا تلبث ان يتطرق اليها البلى بعد دفنها • وزعموا ان الروح

تنتقل بعد خروجها من الجسد الى عالم ملكوتى قدسى عقلي ، وهناك تحيا حياة شقية او سعيدة فى مقابل ما اتته فى الحياة من آثام او اعمال مبرورة •
فامـا ارباب الديانات فرأيهم صريـح فى البعث والمسلمون يعتقدون خلود الارواح وحشر الاجساد ، ومن ينكر البعث بعد الموت يكفر وعقابه القتل ، والقرآن طافح بالآيات التى يستدل بها المسلمون على البعث وللمفسرين من علماء المسلمين اقوال كثيرة وآراء عجيبة فى هذا البحث •

وقـد انعمنا النظر فى رباعيـات عمر الخيام فوجدناه منـكرا للبعث انكارا صريحا ، مسفها رأى القائلين بحشر الاجساد ، ومستهزئا باقوالهم • قال :

زآن پيش كه غمهـات شبيخون آرند
فرماى كـه تابادۀ گلـگون آرند
تو زرنۀ اى غـافل نادان كـه ترا
در خـاك نهند وباز بيرون آرنـد

صاح قبل ان تهجم عليك الغموم بياتا مرهم يأتوك بالخمر الورديـة ايها الغافل الجاهل لست ذهبا فاذا واروك فى التراب اخرجوك مرة اخرى •

ما لعبتـكانيم وفلك لعبتبـاز
از روى حقيقتى نـه از روى مجـاز
بازيچـه كنان بديم بر نطع وجـود
رفتيم بصنـدوق عـدم يك يك بـاز

نحن الاعيب اطفال والفلك هو اللاعب بنا ، وذلك فى الحقيقة لا فى المجاز لقد لعبنا مدة فى ساحة الوجود ، ثم ذهبنا الى صندوق العدم واحدا أثر واحد •

فقوله « انت لست ذهبـا حتى اذا واروك فى التراب اخرجوك مرة

اخرى وقد ذهبنا الى صندوق العدم واحـدا بعد واحـد » دليل على انه لم يكن معتقدا للحشر كما يعتقده المسلمون •

اما ابو العلاء المعرى فقد اضطرب رأيه فى البعث اضطرابا عظيما ، فكان تارة مؤمنا وتارة منكرا له ، فمن قوله الذى اثبت فيه البعث :

وانى لارجو منـــه يوم تجـاوز　　فيأمر بى ذات اليمين الى اليسرى
اذا راكب نالت بـــه الشأو ناقـة　　فمـا اينقى الا الظوالع والحسرى
وان اعف بعد الموت ممـا يريبنى　　فما حظى الادنى ولا يدى الخسرى

ومن قوله الذى انكر فيه البعث انكارا صريحا :

زعموا اننى سـأبعث حيـــــا　　بعـد طـول المقـام فى الارمـاس
وأجـوز الجنـان ارتـع فيهـــا　　بـين حـور وولدة أكيـــاس
أى شـىء أصـاب عقلك يا مســكـين حتـى رميـت بالوســواس ؟

★ ★ ★

وقولـه :

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة　　وحـق لـكان البسيطة أن يبكـوا
تحطمنـــا الايـام حتـى كأننـا　　زجـاج ولـكن لا يعـاد له سبك

وقـوله :

أمـا الجسـوم فللتراب مآلهـا　　وعييـت بـالارواح انـى تسـلك

على اننى أرتأى انه كان منكرا للبعث غير معتقد حشر الاجسام وخلود الارواح وأما الابيات التى نظمها فى اثبات البعث فقد نظمها تقية وخوفا من الناس وسخط العلماء عليه •

أخذهما بالتقية

كان أبو العلاء المعرى يرى التقية ومداراة الناس ، ويحتاط فى اظهار آرائه ، ويعول على المجاز كثيرا ، اذ كان يخشى الاذى والاضطهاد ، وفى لزومياته شعر كثير نستدل به على ذلك فمنه قوله :

اصدق الى أن ترى فى الصدق مهلكة   وبعد ذلك فاكذب قاعدا وقم

وقوله :

فاصمت فان كلام المرء يهلكه   وان نطقت فافصاح وايجاز

وقوله :

أهوى الحياة وحسبى من معايبها   انى أعيش بتمويه وتدليس

أكتم حديثك لا يشعر به أحد   من رهط جبريل أومن رهط ابليس

فهذه الابيات تدل على أن أبا العلاء كان سيء الظن بالناس كثير الحذر منهم ، وقد اتخذ التقية جنة له .

وقد حذا عمر الخيام حذو أبى العلاء المعرى ، وسلك طريقه فى دفع الاذى والضرر عن نفسه ، فقد ذكر القفطى وقد أشرنا اليه غير مرة ما نصه : « ولما قدح أهل زمانه فى دينه ، وأظهروا ما أسره من مكنونه ، خشى على دمه وأمسك عن عنان لسانه وقلمه ، وحج متاقاة لا تقية وأبدى أسرارا من السرار غير نقية » . ومما يؤيد قول القفطى الصراحة البارزة فى رباعياته التى يصح الاستدلال بها على حذره وتكتمه ، وعدم افشاء ما يكنه ضميره خوف العدوان من صغار العقول وضعفاء الحلوم .

باهر بد ونيك رازنتوان كفت
كوته سخنم دراز نتوانم كفت
حالى دارم كه شرح نتوانم داد
رازى دارم كه باز نتوانم كفت

لا استطيع أن أبوح بسرى لكل طيب وخبيث ، أنا قاصر الكلام
لا أستطيع أن اطيله ، لى حال لا استطيع أن أشرحها وسر لا أستطيع أن أقوله :

وقد اتعظ الشيخان بالفجائع والرزايا ، التى انزلت بزملائهم وانسبائهم فى الرأى من الاحرار الذين جبلوا على الصراحة ، وفطروا على البوح بما تجيش به صدورهم ، فذاقوا من أجل ذلك عذابا اليما .

والنطع الذى اضجع عليه صالح بن عبدالقدوس ، والسياط التى ألهبت جسد الشاعر الشهير بشار بن برد ، والجذع الذى صلب عليه الصوفى الشهير أبو منصور الحلاج ، وغيرهم من الاعيان الافذاذ الى غير ذلك من الفجائع والوقائع الاليمة كانت عبرا أو دروسا .

التناسخ

التناسخ مذهب قديم عرف بين الهنود ، وشاع بين عرب الجاهلية ، فقد زعموا ان الانسان اذا مات أو قتل اجتمع دم الدماغ وأجزاء بنيته وانتصب هامة ، فيرجع الى رأس القبر على رأس كل مائة سنة . وقد دمغهم الرسول (ص) ورد زعمهم فقال (لا هامة ولا عدوى ولا صفر) ، ثم كثر علم العرب بهذا المذهب فى صدر الاسلام ، وذلك منذ أواخر القرن الاول وكانت فرق من غلاة الشيعة تدين به ، كأصحاب عبدالله بن سبأ الذى قال لعلي عليه السلام (أنت أنت) أى أنت الآله ، فنفاه الى المدائن ، فادعى بتناسخ الجزء الآلهى فى الائمة بعد علي . ومثل هؤلاء أصحاب أبى كامل الذى كان يدعى ان الامامة نور يتناسخ متنقلا من شخص الى شخص ، وذلك النور يكون فى شخص نبوة ، وفى شخص يكون امامة ، وربما تناسخت الامامة فصارت نبوة ، وقال بتناسخ الارواح وقت الموت . والغلاة

على أصنافهم متفقون على التناسخ والحلول ، ولقد كان التناسخ مقالة لفرقة في كل امة تلقوها من المجوس المزدكية والهند البرهمية ومن الفلاسفة والصابئة . ومذهبهم ان الله تعالى قائم بكل مكان ناطق بكل لسان ظاهر بشخص من أشخاص البشر ، وذلك هو معنى الحلول وقد يكون الحلول بجزء كاشراق الشمس في كوة أو كاشراقها على البلور ، وأما الحلول بالكل فهو كظهور ملك بشخص أو كشيطان بحيوان ، ومراتب التناسخ أربع النسخ والمسخ والفسخ والرسخ .

وقد اتخذ جماعة من الدعاة هذا المذهب وسيلة لنشر الدعاية لآل البيت، ومن اولئك الشاعر السيد الحميري ، الذي أعماه التعصب فأخرجه عن طريق الصواب ، وليس من المطلعين على الآداب العربية من ينكر ما كان من ترهات الحميري وسخافاته .

وقد عثر المستشرق زوقوفسكي في التأريخ الالفي على حكاية استدل بها بعض الباحثين على رسوخ عقيدة التناسخ في نفس عمر الخيام ، فقد ذكروا انه كان استاذا في مدرسة (نيسابور) وكانت المدرسة مسترمة وشرع في رمها فكان سرب من الحمير يحمل الآجر الى المدرسة ، وبينما كان عمر الخيام يتمشى مع جماعة من التلاميذ شاهد حمارا ، وقف عند باب المدرسة حارنا ولم يشأ الدخول اليها فتقرب الخيام من الحمار وقرأ في اذنه هذه الرباعية :

اى رفته وباز آمده بل هم كشته
نامت زميان نامهاكم كشته
ناخن همه جمع آمده وسم كشته
ريش ازبس كون درآمده دم كشته

يا أيها الذي ذهب وعاد مرة اخرى وصار كالانعام ، قد ضاع اسمك

بين الاسماء لقد اجتمعت أظافيرك وصارت حوافر وظهرت لحيتك في عجزك ذيلا .

فدخل الحمار المدرسة ، فسأله تلاميذه عن سر ذلك ، فأجابهم : ان الروح التي حلت في جسد هذا الحمار كانت روح تلميذ عاش وتعلم فيها ولذلك لم يرغب الحمار في الدخول اليها ، غير انه لما شاهد أصحابه الاقدمين رضي بالدخول .

والذي ينعم النظر في هذه الحكاية المضحكة لا يتردد طويلا ان يعدها من القصص الملفقة المصطنعة ، وانها من نوع الاحاديث التي يختلقها العوام، لان الرجل الذي دلت حياته وآراؤه الفلسفية ومؤلفاته الجليلة ومكانته العالية بين ملوك عصره على رجاحة عقله وسعة علمه ، لا يمكن أن يسف هذا الاسفاف وان يتفوه بهذا الرأي المأفون ، هذا من جهة ومن جهة اخرى تكاد رباعياته التي اشتهر بها وأودعها آراءه الفلسفية تسوق الباحث الى عده ملحدا منكرا للبعث والحشر والنشر موقنا بالعدم المحض ولذلك يغلب على الظن براءة هذا الحكيم الكامل من هذه العقيدة .

وقد كان أبو العلاء المعري ممن ذم هذا الرأي وهزىء به وشنعه في رسالة الغفران ، وفي لزومياته فقال :ــ

يقولون ان الجسم ينقل روحه   الى غيره حتى يهذبه النقل
فلا تقبلن ما يخبرونك ضلة   اذا لم يؤيد ما أتوك به العقل

تشاؤمهما

ان سيرة المعري والخيام وشعرهما في الكون يدلان على انهما كانا « متشائمين » متألمين ، ماقتين للحياة لما فيها من شرور وآثام ، معتقدين ان كل ما فيها محنة وبلاء فالوجود محنة والموت محنة والناس أشرار ذوو غدر وخبث وطباع فاسدة وكل شيء في الكون خبيث رديء وان جملة الشرور

فيه تفوق جملة الخيرات وأن آلام الحياة وبؤسها وشقاءها أكثر من مسراتها وأفراحها .

والتشاؤم « مرض روحي » ابتلى به كثير من الفلاسفة والمفكرين من ذوى الامزجة العصبية ، وهو مذهب قديم نشأ فى ديانة البوذيين ، وشاع فى الشرق ودان به كثير من الحكماء ، فكان خالق آلامهم وعلة أوجاعهم ، وهذا المرض يتغلغل غالبا فى نفس سكان البلاد الحارة الموبوءة ، القليلة الارزاق الفقيرة التى ما فيها عمل ولا كسب ، وكثيرا ما يحصل من الوراثة هذا عند عوام الناس وهو وقتى لا يلبث أن ينقلب الى تفاؤل وفرح وسرور ان تحسنت الحالة ، فهو اذا عند عامة الجمهور ضرب من الشكوى الوقتية المتولدة من « الحاجة » ومتى زالت الحاجة زال التشاؤم سريعا .

أما عند الحكماء المفكرين فأمره عظيم وشأنه كبير ، فانه يتولد فى نفوسهم من سلسلة التفكرات العميقة ، والتأملات الطويلة فى شؤون غامضة وأمور مبهمة لم يتوصل العقل البشرى الى حل معضلاتها ، كالوجود والواجب وسر الوجود والخليقة وعلتها ووضعها ونواميسها والكون وهل هو حادث أو قديم وهل هو محدود أو متناه أو غير محدود وغير متناه والازلية والسببية والمبدأ والمنتهى والمعاد والروح والخلود الى غير ذلك من الاسرار والالغاز ، التى ما تأملها أحد الا رجعت تأملاته على أعقابها وسرى اليه الريب ومال الى الشك قسرا لا اختيارا . والشك الذى هو نتيجة عدم ادراك هذه المعميات هو الذى يولد «التشاؤم» ويورث الالم واليأس ، وفى الحقيقة اذا فكر الانسان فى علة وجود هذا الكون ، وفى سبب هذه الخليقة والايجاد والبقاء والانتقال الى جهة لا تعرف غايتها وعاقبتها وفى موته الذى يتخلى به عن رجائه وأمله وأمانيه ، يشعر ولا ريب بهزات عنيفة فى وجدانه وصدمات قوية فى شعوره واحساسه واستيلاء يأس مظلم مخيف وخيالات

مفزعة وأحلام محزنة • والانسان مفطور على حب البقاء فى الحياة على ما فيها من وجع وكدر وآفة البقاء العدم وفكرة العدم والفناء والاضمحلال هى التى تورث التشاؤم الذى لا مندوحة عنه ما دام موقنا بها •

وقد أعدت الراحة الكبرى لمن كان معتقدا أن له ابتداء وانتهاءا وان خالقا قديرا أوجده من العدم وسيورده العدم كما أوجده • وأن هناك حشرا ونشرا وحسابا وعقابا وان هناك جنة عرضها السموات والارض فيها حور عين وأباريق وكأس من معين وفاكهة ولحم طير مما يشتهون أعدت للمؤمنين الصالحين وان هناك نارا ملتهبة فيها ألوان من العذاب أعدت للمجرمين الآثمين • فهذا الامل العذب يمنح المعتقدين راحة وسلاما وأمانا فى الحياة •

وان أبا العلاء المعرى الذى تدل كلماته وأقواله على انه كان عاديا بحتا، مرتابا فى وجود خالق صانع مدبر ، حائرا فى سبب الخليقة والايجاد والفناء، شاكا فى العقائد التى من ضمنها الحشر والمعاد والخلود يجب أن يكون بطبيعة الحال متشائما وهذا هو الواقع ، وانك لتجد عند قراءة «لزومياته» صيحاته الاليمة وصرخاته الحزينة ، وكانك تكاد تلمس يأسه وقنوطه فى شعره من أسئلته الدالة على تحيره الكثير وارتيابه العظيم •

وهذه الآراء التى ضاق بها صدر هذا الحكيم والمصائب والنكبات التى المت به ، من فقدان بصره وموت أبيه وفقره ووهنه هى التى اشعلت فى قلبه جذوة الالم فأخذ يكيل للاديان السب وللانبياء الشتم وللناس القذع ماقتا الحياة وسكانها مرسلا خراطيم من نار غضبه على طبائعهم وسجاياهم ، معتزلا عن الناس قابعا فى كسر داره تتقاذفه أمواج الشكوك ، حتى صيرته حليف الضنى واليأس والبؤس وهل من برهان أقوى على مقته الحياة من ايصائه ان يكتب على قبره :ـ

هـذا جناه أبى عليّ   وما جنيت عـلى أحد

وقـوله :

أرانى فى الثلاثة من سجونى   فـلا تسـأل عن الخبر النبيث
لفقـدى ناظـرى ولزوم بيتى   وكون النفس فى الجسد الخبيث

وقـوله :

تعب كلهـا الحيـاة فمـا أعـجب الا من راغب فى ازدياد

وقوله وهو دليل على مقته الناس :ـ

مسـخ المعاشـر فالغضنفر ثعلب   فى لؤمـه والناس كالنسـناس
وتفكرت نفس اللبيب وقد رأت   أشخوص جن أم شخوص اناس
عرب وعجم دائلون وكلنـا   فى الظلم أهل تشـابه وجناس

وقـوله :

والشـر طبع وقد بث غريزته   مقسومة بين أنـواع وأجناس

* * *

سـجايا كلهـا غـدر وخبث   تـوارثهـا انـاس عن انـاس

وقد تزاحمت هذه الافكار فى رأس عمر الخيام كما تزاحمت فى رأس شبيهه المعرى وكان الشؤم واليأس ملازمين لروحه ، ومسيطرين عـلى احساسه وشعوره ، حتى بلغ من كراهيته للحياة وتشاؤمه منها أنه لو لم يكن مخلوقا فى الدنيا .

كـر آمـد نـم بمن بـدى نامـدى
ورنيز شـدن بمن بدى كى شـدمى
به زآن نبـدى كه اندرين عالم خاك
نـه آمـدمى نه شـد مى نـه بدمى

لو كان مجيئى باختيارى ما جئت ولو كانت خلقتى بيدى ما رغبت ان اخلق الافضل اننى لم أكن فى هذا العالم ولم أجيء ولم أبق فيه .

لقد علمنا مما تقدم ذكره أن كلا الحكيمين اتفقا على ان الحياة خطب وبلاء فقد اتحدا واتفقا على تشخيص الداء الا انهما اختلفا فى الدواء •

الخمـــر ـ المنيـــة

كان عمر الخيام يرى ان الوسيلة الوحيدة الى النجاة من آلام الحيـاة السلافة وكان المعرى يرى ان المنية هى الوسيلة الى ذلك فقد وصف الخيام الخمر بما وصف به أبو العلاء الموت وفى طاقتنا ان نقول ان المعانى التى ذكرها المعرى فى الموت جعلها الخيام فى الخمر فقد ذهب فى المغالاة بمدحها والاسراف فى حبها والولوع بها وحث الناس على شربها مذهبا جعل فريقا من الباحثين يسيؤن به الظنون ويعدون أقواله ضربا من الجنون ونزعة من السفه وقد ذهب الخيام فى الخمر مذهب أكثر الشعراء والحكماء الذين كانوا يرون أن فيها راحة للنفوس ، وتسكينا للاوجاع وتخفيفا للآلام والاكدار، ومما ينسب الى الحكيم الفارابى فى هذا المعنى قوله :ـ

بزجاجتين قطعت عمرى   وعليهمـــا عـولت أمرى
فزجاجـــة ملئت بحبـــر   وزجاجـــة ملئت بخمـــر
فبـــــذى ادون حـكمتى   وبذى ازيل همـوم صـدرى

وتدل رباعياته على أنه لم يشرب لمجرد اللهو والعبث ، وانما اتخذها دواء كما يتخذ المريض الدواء لمرضه ، وانـــه كان يرى السلافة الوسيلة الوحيدة الى تبديد الهم وتفريج الكروب عن الصدور فمن ذلك قوله :ـ

مى‌خوردن‌من نه از براى طرب است
نى بهر فساد وترك دين وادب است
خـواهم كـه ببيخودى بر آرم نفسى
من‌خوردن‌ومست بودنم زين‌سبب‌است

ليس شربى الخمر من اجـــل الطرب والفساد وترك الدين والادب وانما أريد أن أتنفس الصعداء وانا ذاهل عن نفسى ، فشربى الخمر وسكرى لهذا السبب •

أز آمـــدن بهـــار واز رفتـــن دی
اوراق وجـــود ما همی کـــر ددطی
می خور مخور اندوه که کفتست حکیم
غمهای جهان جوز هرو ترياكش می

بين مجيء الربيع وذهابه تنطوى اوراق وجودنا • اشرب الخمر ولا تتألم ، فقد قال الحكيم ان آلام الحياة سم ودرياقها الخمر •

وقد ظن جماعة من الباحثين ان السلافة التى يتغنى بها الخيـــام فى رباعياته هى (سلافة الحب) أى (خمرة الحقيقة) أو (السكر المقدس) وهى الخمرة الخيالية التى ينشدها شعراء الصوفيــة فى قصائدهم مثـل ابن الفارض وجلال الدين الرومى وغيرهم وان هذا الظن فى الحقيقة باطل غير صحيح ، فان عمر الخيام لم يتغزل بخمرة وهمية وانمـا تغـزل بالمشعشعة الحمراء بنت الكروم ، لابادة الالم الرابض فى صدره والرباعيتان اللتـــان قدمنا ذكرهما كافيتان فى دحض هذا الزعم •

وقد وصف الخيام المدامة باوصاف دقيقة بديعة ، تدل على انه كان ممن دارس الخمرة ومارس شربها دهرا طويلا ، فهو فى وصفه الرائع أشـبه بأبى نواس فى وصفه لها ، حتى لقد سن للسكارى سنة فى كيفية تعاطيها قال :ـ

کرباده خوری توبا خرد مندان خور
يابا صنمی لاله رخی خندان خـــور
بسيار مخـور ورد مکن فاش مسـاز
اندك خور وكه كاه خور وبنهان خور

اذا أردت شرب الخمرة فاشربها مع العقـلاء أو مـع مليح ذى محـيا منير • لا تشـرب كثيرا ولا تفحش فى الكلام ، اشرب قليلا وبين آن وآن وفى الخفـاء •

اما شيخ المعرة فقد خالف صاحبه في هذا المعنى ، واكثر من ذم الخمر

وقبحها وندد بشاربها ، وزعم انها سالبة العقل ، هاتكة الوقار ، مفرقة الاحباب وقد أجهز على السلافة فى لزومياته فمن ذلك قوله :

وحاذر من الصهباء فهى عدوة   من الصهب مشت فى مفاصلك السكرا

* * *

وقوله :

البابلية باب كل بلية   فتوقين هجوم ذاك الباب
جرت ملاحاة الصديق وهجره   واذى النديم وفرقة الاحباب
أم الحباب وان اميت لهيبها   بمزاجها وافت كأم حباب
هتكت حجاب المحصنات وجشمت   مهن العبيد تهضم الارباب
وتوهم الشيب المدالف انهم   لبسوا على كبر برود شباب
واذا تأملت الحوادث الفيت   صهب الدنان أعادى الالباب

* * *

وقوله :

دبيب نمال من عقار تخالها   بجسمك شر من دبيب العقارب
ولو انها كالماء طلق لاوجبت   قلاها اصيلات النهى والتجارب

* * *

تجرع موت لا تجرع لذة   من الخمر فى كاساتهم والابارق

* * *

قلنا غير مرة ان الخيام والمعرى كانا يريان الحياة خطبا وشرا يجب التخلص منه . أما الخيام فقد رأى أن احسن وسيلة تنجيه منها هى الخمر وأما المعرى فقد ذمها وكان يرى ان الموت هو الدواء الشافى وكان يتطلب الفرج على يد المنية وقد تمناها فى كثير من شعره فمن ذلك قوله :

أما حياتى فمالى عندها فرج   فليت شعرى عن موتى اذا قدما
صحبت عيشا اعانيه ويغلبنى   مثل الوليد يقود المصعب السدما
وقد مللت زمانا شره لهب   اذا دنا الجو عاد فاحتدما
من باعنى بحياتى ميتة سرحا   بايعته واهان الله من ندما

* * *

وقوله :

رب متى ارحل عن هذه الد ... نيا فانى قد اطلت المقام
لم ادر ما نجمي ولكنه ... في النحس مذ كان جرى واستقام
فلا صديقي يترجى يدى ... ولا عدوى يتخشى انتقام
والعيش سقم للفتى منصب ... والموت يأتى بشفاء السقام
والترب مثوای ومثواهم ... وما رأينا احدا منه قام

* * *

وقوله :

مللت عيشى فعوجى يا منية بى ... وذقت فنين من بؤس ومن رغد
غدى سيوجد امسى لا ينازعنى ... فى ذاك خلق وامسى لا يصير غدى

مصير الجسم بعد الموت

وقد اختلف الحكيمان ايضا فى قضية مصير الجسم بعد موته ، فكان أبو العلاء تارة يحفل بجسم الانسان بعد موته ، وتارة لا يرغب فى تكريمه ، ولا يهتم بما يفعل به لانه لا يحس ولا يتألم فمن قوله فى تكريم الجسم :

خفف الوطء ما أظن أديم الا ... رض الا من هذه الاجساد
سر ان اسطعت فى الهواء رويدا ... لا اختيالا على رفات العباد

ومن قوله فى اهانته :

تكرم اوصال الفتى بعد موته ... وهن اذا طال الزمان هباء

وقد غالى المعرى فى عدم الاعتناء بالجسد حتى استحسن من عادات الهنود احراق امواتهم :

فاعجب لتحريق اهل الهند ميتهم ... وذاك أروح من طول التباريح
ان احرقوه فما يخشون من ضبع ... تسرى اليه ولا خفى وتطريح
والنار اطيب من كافور ميتنا ... غبا واذهب للنكراء والريح

وقد خالف الخيام شيخ المعرة فى هـــذا المعنى فكان مبالغا فى تكريم الجسد موصيا الخزاف بالرفق عند جبله الطين ، قائلا انها اجسام بشرية يجب أن تعامل بالحسنى •

اى كوزه كران بكوش اكر هيشارى
تاجنـــد كنى بركل آدم خـــوارى
انكشت فـــريدون وكف كيخســرو
برجرخ نهادهٔ جـــهمى بنـــدارى ؟

ايها الخزافون اسمعونى ان كنتم منتبهين :ـ حتى م تظلمون طينة ابن آدم ؟ انكم قد وضعتم اصبع فريدون وكف كيخسرو على الدولاب فمـاذا تظنون ؟

دى كـــوزه كـــرى بديدم اندر بازار
بربـــاره كلى لـــكد همـــى زد بســـيار
وان كل بزبـــان حـــال باوى ميكفت
من همجـــو توبوده ام مرانيكـــو دار

رأيت امس خزافا فى السوق وكان يرهص قطعـة من الطين ، وكان لسان حالها يقول : لقد كنت يا هذا مثلك فعاملنى بالحسنى •

وقد تزوج الخيام وكان له اولاد لم يذكر منهم التاريخ الا بنتا تزوجها الامام محمد البغدادى الذى نوه به ظهير الدين البيهقى ، أما المعرى فأنه لم يتزوج وعاش عزبا • وكان يكره النسل ويرى الزواج اثما وجرما عظيمين فقال فى ذلك :

وارحت اولادى فهم فى نعمة الـ   عـــدم التى فضلت نعيم العـــاجل
ولو انهم ظهـــروا لعـــانوا شـــدة   ترمى بهـــم فى موبقـــات الآجـــل

* * *

فـــالبث وحيـــــدا لا وصيـــ   فـــــة فى ذراك ولا وصـــيف

اضافات وشروح وتعليقات للناشر

اضافة رقم (١)

« الفيلسوف حجة الحق عمر بن ابراهيم الخيامى »

من تتمة تتمة صوان الحكمة

اذا عد حكماء خراسان فهو ازخرهم بحرا وأرفعهم قدرا وأطولهم فى الرياضيات باعا وأمدهم فى القياسات الخطابية أنفاسا . حدث القاضى الامام عبدالرشيد بن نصر بن الحسن أنه اجتمع به مرة فى الحمام بمدينة مرو فسئل عن معنى المعوذتين وسبب تكرار بعض ألفاظها قال : فاندفع يسرد كل قول نادر ويورد كل شاهد شارد حتى أتى بما لو جمع لبلغ حجم مجلده هذا مقامه المحمود فى التفسير مع أنه لم يمتط غاربه . فما ظنك بعلم انفع فيه عمده (١) حتى استدنى غاربه . ثم له شعر يشرق صوب المزن بمائه ويشرق ارجاء الفضل بضيائه . قال :

سبقت العالمين الى المعالى ... بحسن خليقة وعلو همه
ولاح بحكمتى نور الهدى فى ... ليال للضلالة مدلهمه
يريد الجاحدون ليطفئوه ... ويأبى الله الا أن يتمه ...

وقال :

تدين لى الدنيا بل السبعة العلى ... بل الفلك الاعلى اذا جاش خاطرى
أصوم عن الفحشاء جهرا وخفية ... عفافا وافطارى بتقديس فاطرى
وكم عصبة ضلت عن الحق فاهتدت ... لطرق الهدى عن فيضى المتقاطر
لأن صراطى المستقيم بصائر ... نصبن على وادى العمى كالقناطر

وقال :

وما ساقنى فقر اليك وانما ... أبى لى عزوف النفس أن أعرف الفقرا
ولكننى أبغى التشرف انه ... سجية نفس حرة ملئت كبرا

---

(١) كذا بالاصل . ولعلها : أنفق فيه عمره ؟

وقال :

اذا قنعت نفسي بميسور بلغة ... يحصلها بالكد كفي وساعدى
أمنت تصاريف الحوادث كلها ... فكن يا زماني موعدى أو مواعدى
وهبني اتخذت الشعر بين منازلى ... وفوق مناط الفرقدين مصاعدى
أليس قضى الرحمن في حكمه ... بأن يعيد الى نحس جميع المساعد
متى ما دنت دنياك كانت قضية (٢) ... فوا عجبي من ذا القريب المباعد
اذا كان محصول الحياة منية ... فسيان حالا كل ساع وقاعد

وقال :

زجيت دهرا طويلا في التماس أخ ... يرعى ودادى اذا ما خُلّة خانا
فكم ألفت وكم آخيت غير أخ ... وكم تبدلت بالاخوان اخوانا
وقلت للنفس لما عز مطلبها ... بالله لا تألفي ما عشت انسانا

وقال :

ولو أعطاني الدهر اختيارى ... بحسب السر مني والطويه
لسرت على جفوني كي أزجي ... لدى مغناك من عمرى البقيه

وقال :

أظلت رياح الطارقات رواكدا ... أم انطبقت منها الجفون رواقدا
تحللت الافلاك أم راث دورها ... فصرن حيارى قد ضللن المراشدا
كأن النجوم السائرات توقفت ... عن السير حتى ما بلغن المقاصدا
ففي قلب بهرام وجيب وروعة ... وكيوان أعشى ليس يرعى المراصدا
لذاك تمادت دولة اللؤم وانبرت ... بنو الترك يبغون السماء مصاعدا

* * *

(٢) كذا بالاصل . ولعل الشطر : متى ما دنت دنياك كانت قصية .

[مستخرج من تتمة تتمة صوان الحكمة من النسخة المصـورة عـن الأصل المحفوظ في مكتبة داماد زاده باستانبول] • وهذا المخطوط بـه ثلاث كتب هي :

١ ـ منتخب صوان الحكمة •

٢ ـ تتمة صوان الحكمة • وقد طبع في الهند بعناية الاستاذ محمد شفيع اللاهوري • ثم طبع مرة ثانية في دمشق بعناية الاستاذ كرد علي • وسماه : تاريخ الحكماء •

٣ ـ تتمة تتمة صوان الحكمة • [ومنها كان نقل ترجمة الخيام المذكورة وتقع في لوحة ٢٨٥ من هذه المجموعة] •

ومؤلف منتخب الصوان هذا مؤلف تتمة التتمة (كما يفهم من مقدمة منتخب الصوان) • ولم نعلم من هو ؟• وانما الذي يستنتج من ترجمـة لشهاب الدين السهروردي المقتول في حلب سنة ٥٨٧ • أنه من تلاميـذ السهروردي •

أما صوان الحكمة لابن طاهر السجزي فلم يصل الينا بل فقد مع مـا فقد في العصور السالفة من عيون التراث الاسلامي •

ملاحظة :ـ تفضل علينا بهذه الترجمة الصديق الدكتور عبد الرزاق محي الدين فآثرنا أن نطلب صورتها الفوطوغرافية أو استنساخها رأسا من مصر فكتبنا الى الفاضل الشهير السيد فؤاد السيد مدير المخطوطات العربيـة في دار الكتب المصرية ورجوناه أن يصور لنا هذه الترجمة أو يستنسخهـ فتلطف علينا بها بخط يده المباركة ونحن ننشرها مع تعليقاته شاكرين لـه فضـله •

اضافة رقم (٢)

عماد الدين الاصفهانى :

خريدة القصر (مخطوط) ليدن

عمر الخيام : ليس يوجد مثله فى زمانه وكان عديم القرين فى علم النجوم والحكمة وبه يضرب المثل ، انشدت من شعره باصفهان :

اذا رضيت نفسى بميسور بلغة　　يحصلها بالكد كفى وساعدى
امنت تصاريف الحوادث كلها　　فكن يا زمانى موعدى أو مواعدى
اليس قضى الافلاك من دورها بأن　　تعيد الى نحس جميع المساعد
فيا نفس صبرا فى مقيلك ريثما　　تخر ذراها بانتفاض القواعد

* * *

اضافة رقم (٣)

صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدى :

الجزء الثانى من الوافى بالوفيات ص ١٤٢

شمس الدين الشروانى الصوفى محمد بن احمد بن صلاح شمس الدين الشروانى الصوفى شيخ الخانقاه الشهابية . كان عارفا بالنجوم والارصاد والاحكام ويقرىء الفلسفة ويشارك فى بقية العقليات ، اخبرنى الامام شمس الدين محمد بن ابراهيم المعروف بابن الاكفانى وقد تقدم قال : قرأت اشارات الرئيس ابى علي بن سينا على الشيخ شمس الدين الشروانى الصوفى بخانقاه سعيد السعداء داخل القاهرة أواخر سنة ثمان وتسعين وأوايل سنة تسع وقال لي قرأتها بشرحها على شارحها خواجا نصير الدين محمد الطوسى قال قرأتها على الامام اثر الدين المفضل الابهرى قال قرأتها على الشيخ قطب الدين ابراهيم المصرى قال قرأتها على الامام

المعظم فخر الدين محمد الرازى قال قرأتها على الشيخ شرف الدين محمد المسعودى قال قرأتها على الشيخ « أبى الفتح محمد[١] المعروف بابن الخيام » قال قرأتها على بهمنيار تلميذ الرئيس قال قرأتها على مصنفها الرئيس أبى علي بن سينا ، وتوفى سنة ٦٩٩ هـ .[٢]

ص « ٥ »

عمر الخيام : طبع تأليفنا عمر الخيام الطبعة الاولى سنة ١٩٣١ م فى مطبعة دار السلام فى بغداد وطبع ثانية فى سنة ١٩٤٩م وهذه هى الطبعة الثالثة وقد تعهد بطبعها صديقنا الطيب السريرة الالمعى الاستاذ قاسم محمد رجب صاحب مكتبة المثنى فأضاف الى مآثره العديدة مأثرة اخرى وقد صبح الصديق من علماء علم الفهرست اذ له الاطلاع الواسع بالمخطوطات القديمة والمطبوعات العربية - ونحن فى كتابنا هـذا نسجل له شكرنا الجزيل - .

ص « ٧ »

ورسالة « الزاجر للصغار عن معارضة الكبار » هى لابى القاسم جارالله الزمخشرى العلامة اللغوى المفسر وقد عثر عليها صديقنا المحترم الاستاذ بديع الزمان (فروزانفر) مدير مدرسة المعقول والمنقول فى طهران ، وقد علمنا من الرسالة ان الخيام قد اطلع على شعر ابى العلاء المعرى حيث استشهد ببيت من احدى قصائده وهو :

نبى من الغربان ليس بذى شرع يخبرنا ان الشعوب الى صدع

(١) اسم الخيام (عمر) وليس محمد .
(٢) حصلنا على هذه الاضافات الثلاث الاولى والثانية والثالثة عند مباشرتنا بالطبعة الثالثة فننشرناها .

وبذلك تحقق ما بيناه في محاضرتنا عن « الخيام والمعري » التي حاضرنا بها المجمع العلمي العربي في دمشق يوم ٦ حزيران ١٩٣٠ من أن الخيام قد اطلع على شعر المعري وتأثر به .

ص « ٢٣ » س ٩

ترجمة البيت الفارسي : على امير القافلة أن يتغافل لكي لا يبقى قطاع الطريق بلا نصيب .

ص « ٢٣ » س ١٤

ترجمة الابيات الفارسية الاربع : ما الشعر عندي حتى احكم فيه القول ، ان لي فنا غير فنون الشعراء ، الشعر كالسحاب الاسود وانا كالقمر وراء ذلك الستار لا تتأمل في السحاب الاسود بل تأمل بالبدر المنور وراءه ...

وهذه المقطوعة لجلال الدين الرومي :

هو من اشهر شعراء التصوف الاسلامي ، شيخ الطريقة وامام أهل الحقيقة له الآيات البينات والمعاني المعجزات « نيست بيغمبر ولى دارد كتاب » هو ليس نبيا « الا أن له كتابا » ولد في بلخ عام ٦٠٤ هـ وينتهي نسبه الى امير المؤمنين أبي بكر الصديق رضي الله عنه وكان والده الشيخ بهاء الدين ولد من أعاظم علماء عصره وقد تصدى للارشاد والتدريس فكان مجلسه حافلا بطلبة العلم وقد حل بينه وبين جلال الدين محمد الخوارزم مشاهي[1] شنآن أدى الى ان يضطر الى الهجرة الى الحجاز فأخذ ولده وعياله وباع منقوله وغير منقوله . ولما حصل بنيسابور صادف الشاعر الصوفي الشهير

(١) في دائرة المعارف الاسلامية « قطب الدين محمد » وهو الصواب .

فريد الدين العطار فتوسم في وجه جلال الدين النجابة وتنبأ له وبشره واهداه كتابه « أسرار نامه » وفي طريقه الى الحجاز صحب السيد برهان الدين المحقق الترمذى من عظماء المتصوفة في عصره ولما حصل في الشام توفى السيد برهان الدين الا أنه أوصاه أن يشد الرحال الى ديار الروم فسافر اولا الى ارزنجان ثم الى لارند وبدعوة من السلطان علاء الدين السلجوقى انتقل الى قونية وتوطن فيها وتوفى ٦٣١ هـ فقام مقامه ولده جلال الدين الرومى الذى ما عتم ان ظهرت ميوله الشديدة الى الولوج فى عالم التصوف فانتسب فى قونية الى الصوفى الشهير حسام الدين وفى هذه الآونة يروى جميع الدراويش المنتسبين الى مختلف الطرق ان الشيخ ركن الدين الزركوبى أشار الى تلميذه الشيخ شمس الدين التبريزى أن يسافر الى قونية ليتصل بجلال الدين الرومى فسافر هذا وجاء الى قونية واتصل بجلال الدين فكانت له السيطرة التامة على تفكيره والسلطان التام على عقله ولسانه فهجر مدرسته وتلامذته ودروسه وصحب شمس الدين يكلمه ويناجيه تارة بين الرياض والارباض وتارة في الصحارى وعلى الطلول والانقاض فتشكى الناس من ذلك فاتفق الطلبة والمريدون والعلماء على الشكوى عليه عند الوالى فأصغى هذا الى ما زعموه فنفاه الى تبريز فالتهبت نار الوجد فى صدر الرومى • فأججت شعلة فى جوانحه وجوارحه فخرج الى تبريز يركض وراءه فجاء به الى قونية • وفى هذه الفترة لمعت قريحته الشعرية فكانت سناء استضاءت به القلوب الموحشة والنفوس المظلمة ، فنظم المثنوى الذي يحتوى على اكثر من سبعة واربعين الف بيت وقد عمر تسعا وستين سنة فتصدى بعده ولده سلطان ولد وكتب ترجمة والده وأسس الطريقة المولوية التى تمتاز عن سائر الطرق بضرب آلات الطرب من العود والقانون والكمان والدف •

وكتابه المثنوى مشهور معروف • وأجزم ان كتابه المثنوى صار بمثابة قرآن للدراويش فذكر جلال الدين الذى يسمونه الدراويش « ملاى روم »

عطر وشعره فاكهة واسمه بركة وكتبه رحمة وكله خير في خير •

ص «٢٤» س ٣ والشيرازي حافظ هو شمس الدين محمد الحافظ ويلقب « بلسان الغيب » ويسميه الايرانيون « شكر لب » أي ذو الشفة السكرية لحلاوة شعره ولد في اوائل القرن الثامن للهجرة في شيراز ومدح سلاطين الجلائرية وفي رواية انه قابل تيمور لنك الطاغية في شيراز وعلى شعره طلاء التصوف والرمزية •

ص « ٢٥ « س ١

زن أغا

مربيتي زن أغا هي التي تولت تدريس اللغة الايرانية وعلى الاخص رباعيات الخيام وكنا نسميها (بي بي جان) تحببا (وزن أغا) توقيرا لها وكانت تغمدها الله برحمته زوج سري ايراني من مدينة شيراز وهي من حفيدات « فتح عليشاه » الملك القاجاري وقد جاءت مع بعلها الى كربلاء فتوفي زوجها بالبلاء الذي نزل به من تعاطي الافيون (الترياك) فاجتاحت هذه الآفة أمواله فافتقرت بي بي جان حتي احتاجت الى قوت يومها وانتابتها الامراض فتحنن عليها جدي المرحوم السيد ناصر الدين خطيب كربلاء فجاء بها الى بيته وعالجها فشفيت وقد دونت قصتها الشجية في الطبعة الاولى من كتابنا ص ٢ ، ٣ ، ٤•

والاسطورتان اللتان دونتهما في مقدمة الكتاب رواية عنها وأكاد أجزم انه لا يوجد ايراني أديبا كان أو متأدبا أو من الدهماء الا يعرف سواد وجه الخيام وعودته الى حاله بعد استغفاره •

ص «٢٨»

الزمخشري : أبو القاسم محمود بن عمر الملقب بجار الله نسب الى قرية زمخشر من قرى خوارزم ـ وقد بحثنا عن رسالته ـ فلا حاجة الى

التكرار ويجدر بنا أن نذكر ان سبب النزاع الذى قام بين حجة الحق الخيام وأبى القاسم الزمخشرى اختلافهما فى عين « المطبق ، والمصمم » فى وصف السيف .

ص «٢٩»

العروضى السمرقندى : هو أحمد بن عمر بن على النظامى العروضى السمرقندى وقد فتشت طويلا عن سيرته وتأريخ ولادته وسنة وفاته فلم أظفر بطائل وقد جاء ذكره فى كتاب لباب الالباب للعوفى وذكره حمد الله المستوفى القزوينى فى مؤلفه «تأريخ كزيده» وقال انه معاصر للنظامى الكنجوى وله من المصنفات مجمع النوادر » الا انه اشتهر باسم « چهار مقالة » لاشتماله على مقالات أربع ويظهر من نصوص كتابه انه سمع فى سنة ٥٠٤هـ فى مدينة سمرقند بعض القصص عن أبى عبدالله الروركى من الدهقان « أبو رجا » وقد صادف حجة الحق الخيام فى بلخ سنة ٥٠٦هـ وسمع تنبؤ الخيام بالمكان الذى يلحد فيه ، وفى سنة ٥٠٩هـ زار هراة وفى سنة ٥١٠هـ اتصل بالسلطان سنجر وكان مقيما عند حدود طوس وهناك اتصل بأمير الشعراء المعزى وقرأ عليه شعره فاستجاده وفى هذه الرحلة زار قبر الفردوسى وفى سنة ٥١٢هـ كان فى نيسابور وفيها سمع سنة ٥١٤هـ من المعزى قصة السلطان محمود مع الفردوسى وفى سنة ٥٣٠هـ ذهب الى نيسابور وزار قبر الخيام وفى سنة ٥٤٧هـ حضر المعركة التى دارت بين السلطان علاء الدين الغورى والسلطان سنجر ، وقد كتب كتابه بين سنتى ٥٥١ و ٥٥٢هـ . (راجع كتاب چهار مقالة طبعة كيب التذكارية) ...

أما حكاية العروضى عن موضع قبر الخيام فنحن وان لم يكن لدينا دليل يكذبها فلا نشك فى انها مفتعلة ومن بنات خيال التلميذ الوفى ...

والوزير صدر الين محمد بن مظفر هو أبو جعفر بن فخر الملك

أبى الفتح المظفر ابن نظام الملك الطوسى استوزره السلطان سنجر ...

ص «٣٠»

البيهقى : هو الامام ظهير الدين ابن الامام أبى القاسم البيهقى المتوفى فى حدود ٥٦٥هـ ولد فى قصبة سبزوار من نواحى بيهق من أعمال نيسابور فى سنة ٤٩٩هـ وقد ذكر البيهقى فى مؤلفه « تأريخ الحكماء » انه زار عمر الخيام بصحبة والده سنة ٥٠٧هـ وقد سأله الخيام سؤالين فى اللغة والفلك وعمر البيهقى بحسب ما ورد فى المطبوع ثمانى سنوات وذلك مما نستبعده ...

والحيرة : المذكورة من قرى نيسابور ذكرها ياقوت فى معجمه وقد دفن الخيام فيها ..

وامام القراء : هو أبو الحسن على بن أحمد بن محمد المعروف بابن الغزال كان عارفا بفنون القراآت مبرزا بالعربية شيخ القراء بخراسان مات سنة ٥١٦هـ وقد ترجمه ياقوت فى معجم الادباء وابن الجزرى فى طبقات القراء ...

والغزالى : هو حجة الاسلام أبو حامد محمد بن الغزالى الطوسى المشهور وهو أشهر من أن يعرّف وترجمته فى أكثر كتب التراجم موجودة ...

وسنجر : هو ابو الحارث سنجر بن محمد بن ملكشاه السلجوقى ..

والخاقان : الذى ذكره البيهقى وسماه « شمس الملوك » هو شمس الملك بن طفغاج خان ابراهيم بن نصر بن أرسلان فما جاء فى البيهقى خطأ (ج ٩ ص ٢١٢ الى ٢١٣) لابن الاثير

محمد البغدادى : وختن الحكيم عمر الخيام هو الامام محمد البغدادى

ممن أدرك أواسط القرن السادس وجرت بينه وبين رشيد الدين الوطواط مراسلات اخوانية وفي ديوان رسائل الوطواط رسالة بعث بها الى الامام محمد البغدادي المذكور (ج١ ص٦٧) وكنا نظن كغيرنا ان الخيام عاش عزبا ولم يتزوج وان ختنه هذا شخص موهوم لا حقيقة له وقد ظهر لنا مما قدمناه ان ختنه معروف مشهور وان الخيام لم يكن عزبا بل تزوج وأنجب ، وقد ذكرنا في مقدمة الكتاب الخبر الذي رواه دولتشاه السمرقندي في مؤلفه (تذكرة الشعراء) عن « ملك الكلام شاهفور النيشابوري » حيث قال : انه من يتصل بالحكيم عمر الخيام بوشيجة النسب ...

وحكاية ختنه عن كيفية وفاته فانها من الاوهام العجيبة وكأني وأنا أقرأ هذه الرواية أسمع صدى قهقهة الخيام تدوي في الفضاء من تخيلات ختنه .



المجاز المؤدي الى قبر حجة الحق الخيام في نيسابور

(ص ٣٣)

الرازى : هو الشيخ نجم‌الدين أبو بكر بن عبدالله بن محمد بن شاهادر الاسدى الرازى المعروف بداية ، توفى سنة ٦٥٤هـ وقد الف كتابه المسمى مرصاد العباد من المبدأ الى المعاد الذى جـاء فيه ذكر الخيـام فى أول رجب من سنة ٦٢٠هـ ببلدة سيواس وجعل الكتاب على خمسة أبواب فى أربعين فصلا كلها فى السلوك والوصول وتربية النفس

(ص ٣٤)

الشهرزورى : هو شمس الدين محمد بن محمود كمـا ورد فـى الاصل واسم كتابه الذى جاء فيه ذكر الخيام نزهة الارواح وروضة‌الافراح وقد ذكر الاستاذ محمد عبدالوهاب القزوينى فى تعاليقه على جهار مقاله انه الفه بين سنة ٥٨٦ و ٦١١ هـ وقد نقـل الشهرزورى ترجمـة الخيام من تاريخ البيهقى بالنص والفص الا انـه ذكر له اربع قطع من الشعر وذلك مما يدل على انه اطلع على مرجع آخر .

(ص ٣٦)

ابن الاثير : هو عزالدين أبو الحسن على بن محمد الشيبانى الجزرى المؤرخ المحدث صاحب المؤلفات المعروفة واشهرها تاريخ « الكامل» توفى فى الموصل سنة ٦٣٠ هـ ودفن بها وقد ذكر فى حوادث ٤٦٧ هـ اجتماع اعيان المنجمين لعمل الرصد لملكشاه السلجوقى وذكر منهم عمر بن ابراهيم الخيـامى وأبـا المظفر الاسـفزارى وميمـون بن النقيب الواسـطى . . ولا أشك فى‌أن الفيلسوف محمد بن‌أحمد المعمورى البيهقى كان ممن شارك فى بناء الرصد .

ويرى الدكتور مصطفى جواد : ان بهرام منجم ملكشاه كان من بناة الرصد أيضا وقد ذكره ابن الاثير فى حوادث ٤٨٤ هـ وفى ذكره ما يدل على ذلك قال : وفى هذه المدة أمر ﴿ ملكشاه ﴾ بعمارة جـامع السلطان

« بغداد) فابتدىء بعمارته سنة ٤٨٥ هـ وعمل قبلته بهرام منجمه وجماعة من اصحاب الرصد .

(ص ٣٧)

القفطي : هو الوزير جمال الدين ابو الحسن على بن القاضى الاشرف يوسف القفطى المتوفى سنة ٦٤٦ هـ . وسيرته مشهورة مذكورة فى معجم الادباء مع الاحياء وفى الكتاب المنسوب الى ابن الفوطى المسمى بالحوادث الجامعة .... وقد وجدت الترجمة التى دونهـا القفطى فى كتابه اخبار الحكماء فريدة فى اسلوبها ويختلف طراز انشائها كل الاختلاف عن النحو الذى نحاه فى تراجم كتابه فانها مسجعة والقفطى اتبع فى تدوين التراجم اسلوب النثر المرسل ولم يألف السجع وذلك مما يدل على ان القفطى نقل ترجمة الخيام من مؤلف آخر بالنص والفص .

(ص ٣٨)

القزويني هو عماد الدين زكريا بن محمود القزوينى الشافعى صاحب كتاب عجائب المخلوقات وكتاب آثار البلاد واخبـار العبـاد الذى الفه سنة ٦٧٤ هـ توفى سنة ٦٨٢ هـ وكان قد ولي القضاء بالحلة ثم بواسط وكان مرضى السيرة ـ راجع معجم الالقاب لابن الفوطى والحوادث الجامعة ـ . ونقل القزوينى الحادثـة التى جرت للخيام مع الفقيه كأنهـا من الحوادث المسلمة ونحن نرى ان عليها مسحة من الغرابة ونقف بازائها مترددين بين قبولها واستبعادها ...

رشيدالدين : هو فضل الله ابن أبى الخير بن عالى الهمذانى الملقب رشيدالدين نشأ طبيبا كأبيه ودرس الحكمة وداخل رجال الدولة فاستوزره السلطان قازان وكان يهوديا ثم اسلم والف تفسيرا للقرآن خلطه بالحكمة والآراء الفلسفية فاستثار بذلك على نفسه جماعة من العلماء أخـذوا فى

التشنيع عليه بل كفروه واجتمع حوله حزب من اعوانه والف أيضا كتاب جامع التواريخ باللغة الفارسية ونشر منه نسخا بالعربية وهذا التاريخ مخزون فى عدة خزائن شرقية وغربية بالفارسية والعربية ، واسس معاهد علمية بايران والعراق وآل امره ان اتهم بانه اساء معالجة السلطان اولجايتو محمد خدابنده فقتل به سنة ٧١٨ هـ ـ راجع الدرر الكامنة لابن حجر ـ وقد تفرد رشيد الدين بذكر اجتماع عمر الخيام ونظام الملك الوزير والحسن ابن الصباح صاحب الباطنية ، وتتلمذهم فى مدرسة واحدة واتفاقهم المشهور ، ولكن اكثر المحققين استبعدوا اجتماع الثلاثة فى مدرسة واحدة على ثبوت تعاصرهم لان نظام الملك ولد سنة ٤٠٨ هـ وتوفى الحسن بن الصباح ٥١٧ هـ وتوفى الخيام بين سنة ٥١٧ هـ و ٥٣٠ هـ وعلى هذا يمكننا ان نقول ان النظام كان اكبر منهما سنا لاستبعاد ان يكون من المعمرين الى نيف وماءة سنة .

(ص ٣٩)

حمدالله القزوينى : هو حمدالله بن ابى بكر بن محمد المستوفى القزوينى المتوفى فى حدود سنة ٧٥٠ هـ . الف تاريخ كزيدة ومفاخر التواريخ فى علم التاريخ ، ونزهة القلوب فى الجغرافيا ووصف البلدان والاول والثالث مطبوعان وكان من كبار المؤرخين والجغرافيين وتنقله فى البلاد ساعده على ان يجمع بين صفتها القديمة وصفتها فى عصره وقد دخل العراق وزار بغداد ـ كشف الظنون وغيره ـ .

(ص ٤٠)

ميرخند : هو ميرخواند محمد بن خاوندشاه بن محمود المتوفى سنة ٩٠٣ هـ وكان من بين اصحاب الوزير مير على شير وسكن مدة من عمره بالخانقاه الخلاصية التى انشأها الامير المذكور بهراة على نهر الجبل واسم

كتابه الكامل « روضة الصفا فى سيرة الانبياء والملوك والخلفاء» الف بالفارسية وقد طبع وترجم الى غير لغة وميرخند أعاد ما ذكره رشيد الدين فى تأريخه وزاد عليه تتلمذ العظماء الثلاثة المذكورين على الشيخ موفق الدين النيسابورى وكنا قد بينا رأينا فى التعليق على نقل رشيد الدين واستبعدنا تتلمذ الثلاثة فى مدرسة واحدة وفى زمان واحد ... وظهور اسم موفق الدين فى الحكاية يوحى الينا ان رفيق الخيام والحسن بن الصباح فى الدراسة يمكن أن يكون وزيرا من وزراء ذلك العصر ولكنه غير النظام ، والظاهر ان هذه التلمذة كانت لعميد الملك الوزير الكندى مع الباخرزى على الامام موفق الدين النيسابورى فنسبت الى النظام ونحلها ـ راجع معجم الادباء لياقوت الحموى ـ

(ص ٤٢)

التأريخ الالفى : ألفه أحمد بن نصر الله التتوى بالفارسية وهو الكتاب الذى ألفه باسم أكبر شاه الهندى وقد ضمنه الوقائع المهمة فى الالف سنة الاولى من تأريخ الاسلام وقد نقل هذا حكاية الحمار مع المدرسة المسترمة.. ونحن نقطع بأن الخيام قد أراد بها التماجن ان صح وقوعها والا فهى من الحكايات المفتعلة .

(ص ٤٣)

الخاقانى : هو فضل الدين بديل بن على الخاقانى الشاعر الايرانى ولد أوائل القرن السادس الهجرى وكانت شروان مسقط رأسه واسم أبيه علي وكان نجارا وكانت امه مسيحية نسطورية ثم أسلمت وكان يتخلص أولا بحقائقى ثم اتصل بخاقان الكبير منوجهر بن فريدون شروانشاه فتخلص بخاقانى وكان منوجهر معاصرا للخليفة العباسى الحادى والثلاثين وهو المقتفى بأمر الله ٥٣٠هـ ـ ٥٥٥هـ ـ راجع تأريخ الادب الفارسى ـ للاستاذ رضا زاده شفق ...

خسرو الابرقوهى مؤلف فردوس التواريخ سنة ٨٠٨هـ وقد نقل هذا ما ذكره حمد الله المستوفى مؤلف تأريخ كزيدة عينا ونصا ... ويسميه كاتب جلبى مولانا خسرو الابرقوهى .

لطفعلي آذار : وهو صاحب « اتشكدة » وهذا الكتاب يتضمن تراجم الشعراء الايرانيين وكثيرا من مقطوعاتهم الشعرية .

(ص ٤٤)

كاتب جلبى : المفهرس التركى الشهير صاحب الكتاب الذائع الصيت « كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون » ويعرف كاتب جلبى بالحاج خليفة ولد فى سنة ١٠٠٤ وتوفى سنة ١٠٦٧هـ

الخونسارى : وهو السيد محمد باقر الموسوى الخونسارى ولد سنة ١٢٨٦هـ واشتهر بكتابه « روضات الجنات فى أحوال العلماء والسادات » الذى فرغ من تأليفه سنة ١٢٨٦هـ .

(ص ٥٣)

وقد تعرض أكثر المؤرخين للبحث عن تأريخ السلاجقة ، وقد الفت كتب كثيرة فيهم ولعل أهمها كتاب « أخبار الدولة السلجوقية لابى الفوارس ناصر بن على الحسينى طبع فى جامعة فنجاب فى لاهور ١٩٣٣ وكتاب تواريخ آل سلجوق لعماد الدين الاصفهانى باختصار البندارى الاصفهانى طبع بريل سنة ١٨٨٩ ولابن بيبى بالفارسية .

والخليفة الناصر لدين الله العباس : هو أبو العباس أحمد بن المستضىء بأمر الله ٥٨٥ - ٦٢٢هـ وهو أعظم خليفة عباسى وقد ترجمه غير واحد من المؤرخين واثنوا عليه وأحسن من ترجمه فيما طبع ايبك الصفدى صاحب نكت الهميان فى نكت العميان ، وقد اختص بمعرفة عصره ودراسة شؤون دولته صديقنا الدكتور مصطفى جواد وقد الف كتابا فيه وهى اطروحته فى باريس ولم تطبع بعد .

الرصد : ومن بناة الرصد الحكيم عمر الخيام وجماعة آخرون ذكرهم ابن الاثير وأحسن من كتب فى الفلك والارصاد عند العرب البروفسور « نللينو » .

يوسف بن تاشفين : من ملوك البربر ترجمه ابن خلكان فى وفيات الاعيان وله ذكر فى التواريخ الاخرى مثل الكامل لابن الاثير ومن أبرز أعماله فى التأريخ انه أعاد الخطبة للعباسيين بالمغرب والاندلس .

(ص ٥٧ ـ ٦٨)

راجع فى هذا الموضوع المنتظم لابن الجوزى وتلبيس ابليس الكامل لابن الاثير . وفيات الاعيان لابن خلكان ، الملل والنحل للشهرستانى . الفرق بين الفرق للبغدادى الفصل لابن حزم . الخطط للمقريزى . دائرة المعارف لبطرس البستانى . وممن عنى فى عصرنا بدراسة المذهب الاسماعيلى فى جميع مظاهره ومطاويه صديقنا الاستاذ المحامى صادق كمونه.

(ص ٦٩)

المدارس النظامية : أسسها الوزير الخطير نظام الملك فى بغداد ونيسابور وأصفهان وطوس وغيرها من المدن كما قدمنا الاشارة اليه . ويهمنا أن نذكر ان اول من عثر على موضع المدرسة النظامية فى بغداد هو صديقنا الدكتور مصطفى جواد فقد أثبت انها كانت واقعة فى أرض سوق الخفافين الحالى راجع : مجلة المعلم الجديد ٨ ص ١١٢ ـ ١١٩ كما انه نشر تأريخ أول مدرسة عراقية وهى مدرسة الامام أبى حنيفة بأوسع ما يمكن من التفصيل : المعلم الجديد مجلد ٦ ص ٣٣ ـ ٤٤ وما يليه من الاعداد وصديقنا الدكتور فى غنى عن التعريف وهو ثقة صدوق .

خزانة المدرسة النظامية : وقد أعقبه بالبحث صديقنا الاستاذ كوركيس عواد فألف كتابا نفيسا فى خزائن الكتب العراقية ذكر فيه خزانة المدرسة النظامية ص ١٤٥ ـ ١٥١ كما كتب فى تأريخ المدرسة المستنصرية ودار

كتبها راجع سومر مجلد ١ الجزء الاول ص ٧٦ ـ ١٣٩ وراجع خزائن الكتب القديمة في العراق لكوركيس عواد ص ١٦٣ ـ ١٧١ وصديقنا فاضل ثقة .

(ص ٧٥)

الانصاري : هو الامام أبو اسماعيل عبدالله بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن جعفر الانصاري الهروي ولد في ذي الحجة ٣٩٥هـ وتوفي سنة ٤٨١هـ راجع ترجمته في المنتظم لابن الجوزي جزء ٩ ص ٤٤ ـ ٤٥ .

أبو الحسن الاشعري : هو أحد أئمة المسلمين وصاحب مذهب الاشعرية المنسوب اليه ولد سنة ٢٦٠هـ وتوفي سنة ٣٣١هـ راجع ترجمته في المنتظم لابن الجوزي جزء ٦ ص ٣٣٢ ـ ٣٣٣ وطبقات الشافعية للسبكي ووفيات الاعيان لابن خلكان .

ونظام الملك : أشهر من أن يذكر واخباره مستفيضة في كتب التراجم والتأريخ ولا سيما طبقات الشافعية للسبكي ووفيات الاعيان والكامل لابن الاثير .

(ص ٧٨ ـ ٨٤)

راجع عن هذه التراجم كتاب ذيل صوان الحكمة في تأريخ الحكماء لظهير الدين أبي الحسن علي بن زيد البيهقي في طبعته الاوربية والشامية ـ المجمع العلمي العربي في دمشق ـ وما زالت هذه التراجم يحيط بها الغموض فقد أهمل البيهقي ذكر أكثر التواريخ لولادات من ترجمهم ووفياتهم وهو عاب في علم التراجم . ومن الذين أحسنوا فن التراجم قديما أبو سعد السمعاني وابن الجوزي وياقوت الحموي وابن خلكان ومن المعاصرين الدكتور مصطفى جواد والاستاذ كوركيس عواد وشقيقه الاستاذ ميخائيل عواد . راجع معجم الادباء لياقوت عن ترجمة محمد بن أحمد المعموري البيهقي المقتول سنة ٤٨٥هـ .

مجير الدولة : هو المجير أبو الفتح الطغرائى وزير السلطان سنجر السلجوقى تولى الوزارة قبل سنة ٤٩٧هـ التى عزل فيها راجع كامل ابن الاثير فى حوادث هذه السنة .

شهاب الاسلام : هو الوزير عبدالرزاق ابن الفقيه أبى القاسم عبدالله بن على بن أخى نظام الملك الوزير الشهير راجع ترجمته فى طبقات الشافعية للسبكى . وقد الف صديقنا الاستاذ ميخائيل عواد كتابا استدرك فيه على مؤلفى تواريخ الوزراء ما فاتهم من التراجم

(ص ٩٩)

الرباعيات :ـ

والرباعيات مظان فلسفته ومستودع آرائه ، وبها ذاع صيته فى دنيا الآداب العربية ، والفضل فى ذلك يعود الى الشاعر الرقيق وديع البستانى الذى تولى ترجمة الرباعيات من الانكليزية .

وقد كثر الاختلاف عند الباحثين فى أدب الخيام فى الرباعيات وقد فوجىء عالم الادب بخبر نشرته مجلة العرفان فى المجلد ٣٥ صفحة ٨٥٩ مؤداه ان الاديب المدعو أحمد الواسانى عثر على مخطوط لرباعيات الخيام كتب بعد ٨٧ سنة من وفاته فانتظرنا بفارغ الصبر ظهور المخطوط الى عالم المشاهدة فلم تقع عليه أبصار المعنيين بالرباعيات ، ... وفى سنة ١٩٤٩ نشر البروفسور (آربرى) مخطوطا عثر عليه وفيه ١٧٢ رباعى كتب فى سنة ٦٥٨ هجرية .

وفى شهر أيلول من هذه السنة ـ ١٩٦٠ ـ اتحفنا صديقنا الفاضل الاستاذ كوركيس عواد مخطوطا مصورا لرباعيات الخيام طبع فى موسكو ١٩٥٩ باهتمام البروفسور رستم علييف ومحمد نورى عثمانوف وباشراف البروفسور يوكنى برتلس فشكرنا للصديق كرمه وقد قابلنا هذه النسخة بنسخة البروفسور اربرى فوجدنا تفاوتا بين النسختين من حيث الرواية

والنسخة خلو من التاريخ واسم الكاتب فانها وان كانت لا تخلو من فائدة فان الاعتماد عليها لا يصح كما يصح على نسخة (اربرى) لانها مؤرخة ومذيلة باسم كاتبها ...

وأتماما للفائدة ننشر ما ورد فى دائرة المعارف الاسلامية عن الرباعيات بقلم صديقنا الشاعر الاديب مير بصرى وهذا نصه :

عقد الاستاذ مينورسكى فصلا طويلا فى « المعلمة الاسلامية » باللغة الفرنسية لعمر الخيام فأورد ترجمته وتكلم عليه عالما وشاعرا ثم ذكر ما تأتى خلاصته : ان عماد الدين الاصفهانى قد ذكر الخيام فى « خريدة القصر » بين شعراء خراسان ونقل أربعة أبيات عربية من نظمه . ونقل نجم الدين الرازى رباعيتين له باللغة الفارسية . وأورد الشهرزورى ثلاث مقطوعات عربية ، لكن الترجمة الفارسية لكتاب الشهرزورى التى كان الفراغ من وضعها فى سنة ١٠١١هـ «١٦٠٢م» قد ذكرت فى محلها رباعيتين فارسيتين. وقد وضع الجوينى أحد الرباعيتين الفارسية على لسان السيد عز الدين فى معرض عده لضحايا الاحتلال المغولى فى خوارزم . وجاء ذكر رباعية واحدة فى « تأريخ كزيده » و١٣ رباعية فى « مؤنس الاحرار » وقد تضمن المخطوط الذى نشره ف.روزن ٣٢٩ رباعية لكن تأريخه سنة ٧٢١هـ «١٣٢١» لا شك فى بعده عن الصواب . وهناك مخطوطات اخرى اقدمها فى الاستانة «١٣١ رباعية » وتأريخها ٨٦١هـ ، واخرى فى الاستانة مؤرخة ٨٦٥هـ « ٣١٥ رباعية » وثالثة فى اكسفورد ٨٦٥هـ أيضا « ١٥٨ رباعية » .

ثم يلاحظ بعد ذلك زيادة عدد الرباعيات زيادة مطردة فى المخطوطات التالية : فمخطوط وينة ٩٥٧هـ يتضمن ٤٨٢ رباعية ، ومخطوط بانكبور ٩٦١هـ يتضمن ٦٠٤ رباعيات . وأخيرا تحتوى المجموعة المطبوعة فى

لكنو سنة ١٨٩٤ مالا يقل عن ٧٧٠ رباعية ، ويقال ان الآنسة جى كاديل قد جمعت من المصادر المتيسرة ١٢٠٠ رباعية !

ان أول ذكر لرباعيات الخيام فى الكتب الاوربية جاء فى كتاب ث٠هايد « طبع ١٧٠٠ م » حيث نشر ترجمة لاتينية لرباعية واحدة ٠ ونشرت رباعيات فى كتاب قواعد اللغة الفارسية لدونباى المطبوع فى وينة سنة ١٨٠٤ ٠ غير ان شهرة الخيام فى اوربة لبثت عهدا طويلا تقوم على أعماله العلمية ، فترجمت رسالته فى الجبر سنة ١٨٥١ ٠ ثم ظهرت الطبعة الاولى للرباعيات ـ وهى الترجمة الشهيرة التى وضعها فتزجرالد ـ سنة ١٨٥٩ ، وعقبتها ترجمة نقولا الفرنسية سنة ١٨٦٧ ٠ ولم تبدأ موجة الاعجاب بشعر الخيام التى غمرت أوربة الا فى سنة ١٨٦٨ وهى سنة ظهور الطبعة الثانية لترجمة فتزجرالد ٠

ان دراسة النصوص على ضوء النقد الحديث قد بدأت فى سنة ١٨٩٧ حين كتب زوكوفسكى مقالته عن الخيام ٠ وفضل هذا المستشرق قد أفضى الى التعريف بنصوص قديمة مجهولة فى ترجمة الشاعر الفارسى ونزع الثقة عن صحة المجموعات المنسوبة خطأً اليه ، فلقد برهن زوكوفسكى على ان ٨٢ من ٤٦٤ رباعية وردت فى طبعة نيقولا قد تكررت فى دواوين شعراء آخرين ، ومنها ما تكرر فى غير ديوان واحد لعدة شعراء ٠٠٠

وقد ذهب كرستنسن فى « مباحث فى رباعيات عمر الخيام » « طبع هيدلبرغ ١٩٠٤ » الى أبعد من ذلك فأوضح الزيادة الطارئة على الرباعيات المنسوبة الى الخيام فى المخطوطات المعروفة وأبدى شكوكه حتى فى الشعر الذى تضمنته أقدم المخطوطات لبعدها عن عهد الشاعر نفسه ! وقد عزا اتساق الفكرة فى مختلف الرباعيات الى ان الخيام كان ينظم على نسق الروح الوطنى الايرانى فجاءت الرباعيات المدسوسة عليه تحمل الفكرة نفسها ٠

ثم يجمل المقال بابحاث المتأخرين أمثال الاستاذ رينر ويذكر ترجمة فتزجرالد الانكليزية التى كتبت لها الشهرة والصيت الطائر وهى على جمالها بعيدة كل البعد عن الاصل الفارسى .

(ص ۱۰۸)

ابن سينا :

روى الصفدى فى كتابه الوافى بالوفيات ص ١٤٣ ان الخيام قرأ الاشارات لابن سينا على بهمنيار تلميذ الرئيس فعلمنا من الرواية أن أحد أساتذة الخيام بهمنيار وان أحد تلاميذه الشيخ شرف الدين محمد المسعودى. وقد اقيم لابن سينا مهرجان الفى فى بغداد فى ٢٠ مارت ١٩٥٢ خطب فى الاحتفال أجلة العلماء وكنا أحد المحاضرين وكان موضوع محاضرتنا أدب ابن سينا العربى والفارسى (راجع الكتاب الذهبى ص ٩٨ - ١٠٤ -

ولا يفوتنا أن نذكر باجلال واكبار القصيدة التى جادت بها قريحة صديقنا الشاعر الكبير مهدى المقلد المحامى وقد آثرنا نشرها فى كتابنا حفظا لها وحرصا على جمالها :

ابن سينا

يا نابغا مفننا . وفيلسوفا متقنا . وعبقريا فى سما - وات النهى مقترنا

ومن له عقل يمو - ج بالسناء والسنى . يخترق الحجب فيأ - تى الكون والمكونا

كم رائعات فى الاشا - رات بها تفننا . لها العقول يحتفلن . من هنا ومن هنا

بحثت عن حقيقة الـ - نفس بنا وبالدنا . طعنت فى الشفاء رأ - س الجهل طعنا مثخنا

وكنت في القانون فيـ ـما قلته متقنا • أحسنت يامن فيميا ـ دين النهى قداحسنا
عن سنن الكون بحثـ ـت فاختبرت السننا • بحثتها لكن لكن اتـ ـك تمشي من دون ونى
فقلت ماقال به الـ ـفكر صريحا واعتنى • كيف رأيت النور يا ـ من منه بالامس دنا
انثنى الورى عن سره • الا ابن سينا ما انثنى • والروح ليس الكون لكن • كون من قد كونا
كون من الاكوان مجنى ـ وطور امجتنى • وما بنى تناقضا • عقل الذى له بنى
بنى فأحكم البناء • وما اعتنى ولا عنا • انا فما أنت ولا • أنت اذا تدرى أنا
انا استقلت فكرة • كما استقلت بدنا • فبات عمرو ملحدا • وصار زيد مؤمنا
وما انخدعت يا همـ ـام في خرافة الفنا • ولا انبهرت يا اماما • في شوامخ البنا
ولا اندفعت يا جليـ ـل القدر تبغي المننا • ولا تجلببت بجلبا ـ ب يماشي الزمنا
لكن سلكت مسلكا • الى النهى مؤتمنا • نقدت رسطاليس نقـ ـدا عبقريا حسنا
أبيت أن تجعل منـ ـه صنما أو وثنا • فكنت نورا في السموات • وفي الارض سنا

* * *

وقد اشترك الاستاذ المؤرخ الدكتور مصطفى جـواد فى الاحتفـال الذى أقيم فى طهران لابن سينا فألقى كلمة أثبت فيها ان ابن سينا كان حنفى المذهب فرفس أقوال من يزعم انه كان من أهل الابطان •

(ص ٨٥)

الخازن ، الخرقى ، الاسطرلابى :

وهـؤلاء من عباقرة الرياضيـات والفلك والميكانيكا وقـد ظفرنا بالمقتضب من تراجمهم والموجز من أبحاثهم العلمية فى كتاب تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك تأليف زميلنا الاستاذ قـدرى حافظ طـوقان عضو المجمع العلمى العربى بدمشق وقد قام التأليف حجة على سعة اطلاع

المؤلف ووافر علمه يراجع كتاب (تراث العرب العلمى) الطبعة الثانية ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر فى القاهرة .

(ص ٨٩)

الغزالى ، الشهرستانى ، أبو اسحق ، امام الحرمين :

وهؤلاء العلماء النوابغ من الفحول الذين لمعوا فى عصر الخيام العلمى وهم زعماء الحركة الفكرية فى ذلك العهد وتراجمهم مدونة فى أكثر كتب التراجم مثل وفيات الاعيان وشذرات الذهب وغيرها ....

(ص ٩٣)

جبر الخيام :

وفى صدد نبوغه بالرياضيات نذكر باعجاب ثلاث مؤلفات فى جبر الخيام الاول : جبر عمر الخيام ، تأليف الدكتور الفاضل داود .س. قصير طبع فى نيويورك ١٩٣١ والثانى : جبر عمر الخيام تأليف ونتر وعرفات ١٩٥٠ والثالث : تراث العرب الصحى وفيه نماذج من المعادلات التى حلها عمر الخيام .

(ص ٩٥)

الشعر بالعربية :

يلوح لنا ان عمر الخيام نظم بالعربية مقاطيع كثيرة ، ظهر بعضها الى عالم الوجود بالروايات وأطمس بعضها البلى فقد روى لنا القفطى والشهرزورى مقطوعتين من شعره وقد سررنا بترجمة الخيام من تتمة تتمة صوان الحكمة اذ وجدنا فيها مقاطيع جديدة ، ويلاحظ ان اسلوب هذا الشعر يدل دلالة واضحة على أن الناظم من علماء الفلك ، والغريب فى هذا الخصوص اننا وجدنا الخيام يذكر الترك ـ أى السلاجقة ـ بالسوء فى البيت الاخير من قصيدته التى مطلعها : اظلت رياح الطارقات ... الخ

مع ان الخيام كانت له المنزلة العالية لدى سلاطين السلاجقة كملكشاه وآلب أرسلان .

ثلاث رسائل للحكيم عمر الخيام

كنا قد ألمعنا في بحثنا الى مصادر فلسفة الخيام وقررنا أن من جملة مصادر فلسفته رسائل اخوان الصفا واشرنا الى ان تقريره العلمي يكاد يشبه تقرير رسائل اخوان الصفا وقد جزمنا بأن الخيام قد تأثر اسلوبه الفلسفي وتفكيره المنطقي باسلوب الرسائل المار ذكرها لذلك أحببنا نشر رسائله المهمة ليتمكن المطالع من الموازنة بين التقريرين والاسلوبيين وبذلك نرجو ان تتم الفائدة •

- ١ -

رسالة الكون والتكليف

كتب أبو نصر محمد بن عبدالرحيم النسوى وهو الامام القاضي بنواحي فارس سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة الى السيد الاجل حجة الحق فيلسوف العالم نصرة الدين سيد حكماء المشرق والمغرب أبي الفتح عمر بن ابراهيم الخيامي قدس الله نفسه رسالة منطوية على المباحثة عن حكمة الله تبارك وتعالى في خلق العالم وخصوصا الانسان وتكليف الناس بالعبادات وضمنها أبياتا كثيرة لم يحفظ منها الا هذه الابيات !

ان كنت ترعين ياريح الصبا ذممي ... فاقرى السلام على العلامة الخيمي
بوسى لديه تراب الارض خاضعة ... خضوع من يجتدى جدوى من الحكم
فهو الحكيم الذى تسقى سحائبه ... ماء الحياة رفات الاعظم الرمم
عن حكمة الكون والتكليف يأت بما ... تغنى براهينه عن أن يقال لم

فأجابه الحكيم عمر الخيام بهذه الرسالة قال :ـ ان علمك أيها الاخ الرئيس الفاضل الاوحد الكامل أطال الله بقاك ، وأدام عمرك وعلاك ، وحرس عن المكاره والغير فناك أوفر من علوم أقرانى وفضلك أغزر من فضلهم ونفسك أزكى من نفوسهم فأنت اذا أعرف منهم بأن مسألتى الكون والتكليف من المسائل المعتاضة المعتذر حلها على أكثر الناظرين فيها والباحثين عنها وان كل واحدة منها متقسمة الى عدة أقسام كل قسم منها مفتقر الى عدة ضروب من المقاييس الوعرة المبنية على أصناف من القضايا المختلف فيها بين أهل النظر وان هاتين المسألتين من أواخر العلم الاعلى والحكمة الاولى وان آراء المتكلمين فيهما متباينة جدا واذا كان الامر كذلك فبالحرى أن يكون الكلام فيهما صعبا جدا الا انك شرفتنى بالمباحثة عنهما والمحاورة فيهما لذا لم أجد بدا من أن أسلك فى تعديد أقسامهما واستيفاء أصنافهما وتبيين جمل براهينهما بحسب ما انتهى اليه بحثى وبحث من تقدمنى من معلمى على سبيل الانجاز والاختصار لضيق الوقت وعدم احتمال البسط والتطويل والاطناب والتفصيل ولمعرفتى بأن ذكاءك وحدسك حرس الله مجدك يكتفيان من الكثير بالقليل وبالاشارة عن العبارة ويكون كلامى فيهما كلام المستفيد لا المفيد والمتعلم لا المعلم استرواحا الى ما يصدر عن جنابك الشريف واغترافا من بحرك الزاخر أدام الله فضلك ولا أعدمنا ظلك واعتصم بفضل التوفيق من الله تعالى انه ولى كل خير ومفيض كل عدل ٠

﴿ المطالب الحقيقية الذاتية المستعملة فى صناعة الحكمة ثلاثة وهى امهات المطالب الاخر ﴾

(أحدها) مطلب هل هو وهو السؤال عن نية الشىء وثبوته كقولنا هل العقل موجود أم لا فيكون الجواب بنعم أو لا (والثانى) مطلب ما هو وهو السؤال عن حقيقة الشىء وماهيته كقولنا ما حقيقة العقل فيكون الجواب عنه

أما تحديدا أو ترسيما وأما تشريحا وتبيينا للاسم ولا يكون هذا المطلب حاضرا لجواب المجيب بين طرفى النفى والاثبات بل يكون الجواب الى المجيب يأتى بما يشاء مما يراه حدا لذلك الشيء أو معروفا له (والثالث) مطلب لم وهو السؤال عن السبب الذى لاجله وجد الشيء ولولاه لما وجد ذلك الشيء كقولنا لم العقل موجود وهذا المطلب أيضا لا يكون حاضرا الجواب المجيب بين طرفى النقيض بل يفوض اليه الجواب من غير أن يتعرض لشيء من أجزاء جوابه المسؤول عن لميته اللهم الا فى السؤال الثانى وبين مطلب ما ومطلب لم مناسبات قد استوفى الكلام عليها فى كتاب البرهان من كتب المنطق وكل واحد من هذه المطالب منقسم الى أقسام شتى لا حاجة بنا الى ذكرها فى مطلوبنا هذا الا أن مطلب ما ينقسم بحسب القسمة الاولى الى قسمين لابد من ذكرهما لاختلاف وقع لاصحاب الصناعة فيه (فى هذا المطلب) (أحدهما) مطلب ما الحقيقى وهو الباحث عن حقيقة الشيء وهذا متأخر عن مطلب هل فى الترتيب لانا ما لم نعرف ان الشيء موجود ثابت لم يمكنا أن نتحقق ذاته اذ لا يكون للمعدوم ذات حقيقى (والثانى) مطلب ما الرسمى وهو الباحث عن شرح الاسم المطلق على الشيء وهذا متقدم على مطلب هل فى الترتيب لانا ما لم نعرف شرح قول القائل هل عنقاء مغرب موجود أم لا لم يمكن أن نحكم عليه بنفى ولا اثبات فيجب أن يكون هذا الجواب الشارح للاسم قبل مطلب هل • ولما لم يتفطن جماعة من المنطقيين لقسمى ما تبلبلوا وتحيروا فذهب بعضهم الى أن مطلب ما متأخر عن مطلب هل وأراد به القسم الحقيقى • وذهب بعضهم الى أنه متقدم وأراد به القسم الشارح • وأما مطلب لم فهو متأخر عن المطلبين الآخرين لانا ما لم نعرف حقيقة الشيء وانيته لم يمكنا أن نعرف السبب الذى لاجله وجد ذلك الشيء • وها هنا مطالب اخرى مثل أى وكيف وكم ومتى وأين وهى عرضية باحثة عن حقيقة الاعراض الطارئة على الشيء واثباتها له فهى اذن بالحقيقة عند التنقير الشافى

داخلة تحت المطالب الذاتية الحقيقية ولا حاجة بنا الى ذكرها وليس يخلو موجود عن هلية ما أى انية وثبوت فان الخالى عن الانية والثبوت يكون معدوما وقد فرضناه موجودا وهذا محال ـ وكذلك ليس يخلو عن حقيقة وماهية بها تعين وتميز عن غيره اذ الخالى عن التعين والتميز عن غيره يكون معدوما وقد فرضناه موجودا هذا محال وقد يكون من الموجودات ما هو خال عن اللمية وهو الاشياء الواجبة التى لا يمكن أن لا تكون موجودة وان فرضت غير موجودة لزم منه محال والشىء الذى يكون بالحقيقة على هذه الصفة لا يكون له سبب ولمية فيكون اذن واجب الوجود بذاته وهو الواحد الحي القيوم الذى عنه الوجود لكل موجود وبجوده وحكمته فاض كل خير وعدل جل جلاله وتقدست اسماؤه وهذه مسئلة مفروغ عنها فى مطلوبنا هذا وأنت اذا أمعنت انظر فى جميع الموجودات ولمياتها أداك النظر الى أن تتحقق أن لميات جميع الاشياء منتهية الى لميات وعلل وأسباب لا لمية لها ولا علل ولا أسباب • وبرهان ذلك اذا قيل لم (أب) لانه (ج) واذا قيل لم (اج) قلنا لانه (ء) واذا قيل لم (ا ء) قلنا لانه (ه) وهكذا فلابد من ان ينتهى بنا البحث عن العلل الى علة لا علة لها والا فيلزم فيها التسلسل أو الدور وهما محالان فقد صح ان جميع علل الموجودات تنتهى الى سبب له وقد تبين فى العلم الالهى ان السبب الذى له هو واجب الوجود بذاته واحد من جميع جهاته وبرىء من جميع أنحاء النقص واليه تنتهى جميع الاشياء وعنه توجد فتبين ان سؤال اللم لا يعترض على كل موجود بل على موجودات اذا فرضت غير موجودة لم يلزم منه محال وأما على الموجود الواجب الواحد فلا • واذ قدمنا وتكلمنا فيها على سبيل الاختصار فلنرجع الى الغرض المقصود نحوه وهو الكلام فى الكون والتكليف • فنقول ان لفظة الكون تقع على عدة معان باشتراك الاسم فلنلغ الخارج عن الغرض ونقول ان الكون المقول فى هذا الموضع هو وجود الاشياء الممكنة الوجود

التي أن فرضت غير موجودة لم يلزم منه محال • وأما مطلب هل فيه مثل قول القائل الموجودات التي هي على الصفة المذكورة حاصلة أم لا فيكون الجواب عنه بنعم فان طالبنا بالبرهان على حصول هذه الموجودات فان ذلك ظاهر جدا يغنينا الحس والمشاهدات الضرورية والقضايا العقلية عن الاستدلال عليه بشيء آخر غيرها اذ جميع الموجودات والصفات التي قبلنا هي من هذا القبيل لان ابداننا وأحوالنا مسبوقة بالعدم • وأما لمية الكون المطلق وهو فيضان هذه الموجودات منتظمة في ترتيب السلسلة النازلة من عند المبدأ الاول الحق عزوجل طولا وعرضا فهي جوده الحق المحض التام الذي يفيض عنه كل ممكن فجود الباري تعالى سبب هذه الموجودات فان طولبنا بالجواب عن لمية جوده قلنا لا لمية له لانه واجب وكما ان ذات واجب الوجود لا لمية له فكذلك جوده وجميع أوصافه لا لمية لها وقد تشعبت من هذا القبيل مسألة هي أطم المسائل وأصعبها في هذا الباب وهي في تفاوت هذه الموجودات في الشرف • فاعلم ان هذه مسألة قد تحير فيها أكثر الناس حتى لا يكاد يوجد عاقل الا ويعتريه في هذا الباب تحير ولعلي ومعلمي أفضل المتأخرين الشيخ الرئيس أبا الحسين بن عبدالله بن سينا البخاري أعلى الله درجته قد أمعنا النظر فيها وانتهى بنا البحث الى ما قنعت به نفوسنا أما لضعف نفوسنا القانعة بالشيء الركيك الباطل المزخرف الظاهر وأما لقوة الكلام في نفسه وكونه بحيث يجب أن يقنع به وسنأتي بطرف من ذلك على سبيل الرمز • فنقول ان البرهان الحقيقي اليقيني قائم على ان هذه الموجودات لم يبدعها الله تعالى معا بل ابدعها نازلة من عنده في سلسلة الترتيب فالمبدع الاول هو العقل المحض وهو أشرف الموجودات لقويه من المبدأ الاول الحق • ثم هكذا أبدع الاشرف فالاشرف نازلا الى الاخس فالاخس حتى بلغ في الابداع الى أخس الموجودات وهو طينة الكائنات الفاسدات • ثم ابتدأ الايجاد صاعدا عنها الى الاشرف فالاشرف حتى انتهى الى الانسان الذي

هو أشرف الموجودات المركبة وآخر الموجودات فى عالم الكون والفساد فالاقرب منه فى المبدعات أشرفها والابعد من الطينة فى المركبات أشرفها وقد قدر تعالى جده تكوين هذه المركبات فى زمان ما لضرورة عدم اجتماع المتضادات بل المتقابلات فى شىء واحد فى زمان واحد من جهة واحدة معاً فان قال قائل لم خلق المتضادات المتمانعة فى الوجود فيكون الجواب عنه ان الامساك عن الخير الكثير من جهة لزوم شر قليل اياه شر كثير والحكمة الكلية الحقة والجود الكلى الحق اعطيا جميع الموجودات كمالها الذاتى له من غير ان يبخس حظ واحد منها الا انها بحسب القرب والبعد متفاوتة فى الشرف وذلك لا لبخل من جهة الحق عز وجل بل لاقتضاء الحكمة السرمدية ذلك ــ فهذه جمل وان أوردتها على سبيل اقتصاص مذهب قوم من الحكماء فان تحقق اصولها بالبرهان يهديك سبيل تحقيقها باليقين • (وأما مسألة التكليف) فلعلها أسهل من مسألة الكون وانى أعرض عليك ما أعرفه فى ذلك مستفيدا فأقول ان لفظة التكليف لا يبعد أن يكون لها معان مختلفة حسب الاصطلاحات والحكماء يريدون بها ما أذكره • (التكليف) هو الامر الصادر عن الله تعالى السائق للاشخاص الانسانية الى كمالاتهم المسعدة لهم فى حياتهم الاولى والاخرى الرادع اياهم عن الظلم والجور وارتكاب القبائح واكتساب النقائض والانهماك فى متابعة القوى البدنية المانعة اياهم عن اتباع القوة العقلية • وأما هلية التكليف فانها مندرجة فى ضمن لميته لان لمية الاشياء تتضمن هليتها فنقول فى لميته ان الله عز وجل خلق النوع الانسانى بحيث لا يمكن الامكان الاكثرى أن تبقى أشخاصه ويحصل لهم كمالاتهم الا بالتعاضد والتعاون والترافد لان غذاءهم ولباسهم وكنهم ما لم تكن مصنوعة وهذا أكثر ما يحتاجون اليه فى التعيش لم يمكنهم الاستكمال وليس يمكن لواحد منهم أن يتولى بنفسه جميع ما يحتاج اليه من أصناف التعيش فاضطروا الى أن يتولى كل منهم شيئا مما يحتاجون اليه فى التعيش

•

فيفرغ صاحبه عن مهم لو تولاه بنفسه لازدحمت على الواحد اشغال كثيرة واذا كان الامر كذلك فبالواجب أن يضطروا الى سنة عادلة يتعادلون بها فيما بينهم وتلك السنة انما تكون من عند واحد منهم يكون أقواهم عقلا وأزكاهم نفسا لا يهمه من امور الدنيا الا الضروريات وما لابد منه في الحياة وليس همه فيما يتوخاه الرئاسة أو التمكن من أمر شهوانى أو غضبى بل يكون همه ابتغاء مرضاة الله تعالى فيما يأمره به من ايراد السنة العادلة لا يلتفت فيها لفت عصبية وتفضيل بعض على بعض ويمضى حكم الشرع فيهم على سواء فيكون هذا هو الحق الذى يفيض على نفسه من الوحى ومشاهدة الملكوت مما لا يفيض على نفس غيره ممن دونه في المرتبة ويكون متميزا باستحقاق الطاعة وذلك التميز انما يكون بمعجزات وآيات تدل على انها من عند ربه عز وجل • ثم من المعلوم ان اشخاص الناس متفاوتة فى قبول الخير والشر والرذائل والفضائل وذلك بحسب أمزجة أبدانهم وهيئات نفوسهم معا والاكثر من الناس يرون ما لهم على غيرهم حقا واجبا ويبالغون فى استيفائهم ذلك ولا يرون ما لغيرهم عليهم ويرى كل واحد منهم نفسه أفضل من نفوس كثير من الناس وأحق بالخير والرئاسة من غيرها فوجب أن يكون هذا الشارع مؤيدا مظفرا لا يعجز عن امضاء حكم الشريعة فى جمهور الناس بعضهم بالوعظ وبعضهم بالبرهان أو الدليل وبعضهم بتأليف القلب والبدن وبعضهم بالتخويفات والانذارات وبعضهم بالزجر العنيف والقتال ولاجل ان وجود مثل هذا النبى لا يتفق أن يكون فى كل زمان وجب أن تبقى السنن المشروعة مدة ما وهى الى الوقت المقدر فيه اضمحلالها ولا يمكن استبقاء الشرائع والسنن العادلة الا بما يذكر الناس دائما صاحب الشرع ففرضت عليهم العبادة المذكورة بصاحب الشرع والحق عز وجل وكررت عليهم تلك حتى يستحكم التذكير بالتكرير المتواتر يحصل من تلقى الاوامر والنواهى الالهية والنبوية بالطاعات ثلاث

منافع (احداها) ارتياض النفس بتعودها الامساك عن الشهوات وزمها عن القوة الغضبية المكدرة للقوة العقلية (والثانية) تعديدها النظر فى الامـور الالهية وأحوال المعاد فى الآخرة لتجرها المواظبة على العبادات عن جانب الغرور الى جانب الحق والتفكر فى الملكوت وتحرضها على تحقق وجود الحق الاول أعنى الذى عنه وجود كل موجود جل جلاله وتقدست أسماؤه ولا اله غيره الذى فاضت الموجودات عنه منتظمة فى سلسلة الترتيب التى اقتضتها الحكمة الحقة بالبرهان المبنى على القيام المجرد عن اصناف التمويهات والمغالطات (والثالثة) تذكيرهم الشارع الحق وما أتى به من الآيات والانذارات ووعده ووعيده الممضى أحكام السنة العادلة فيما بينهم فيجرى بينهم التعادل والترافد ويبقى نظام العالم الذى اقتضته حكمة البارى جل وعلا على حاله ــ فهذه هى منافع التكليف ومنافع العبادات . ثم زاد لمستعمليه الاجر والثواب فى الآخرة . فانظر الى حكمة الحى القيوم ثم الى رحمته تلحظ جانبا تبهرك عجائبه . هذا هو القدر النزر الذى لاح لى فى الحال فعرضته على مجلسك الرفيع أيها الكامل الاوحد لكى تسد خلله وتصلح فاسده وتعوضنى عنه ما اسكن اليه بلقائك الشريف وكلامك اللطيف والله تعالى أعلم بالصواب . والحمد لله أولا وآخرا وباطنا وظاهرا .

- ٢ -

رسالة فى جواب عن ثلاث مسائل اعتقادية

وقد عثرنا فى كتاب جامع البدائع المطبوع فى مصر سنة ١٩١٧م بمطبعة السعادة على هذه الرسالة المحتوية على أجوبة الحكيم عمر الخيام عن ثلاث مسائل ، الا اننا لم نعثر على اسم السـائل ولا عـلى نصوص أسئلته بحروفها . أما المسائل الثلاث فالاولى كيف صدر ملازيم التضاد والشر عن الواجب مع البت بأنه عز وجل يتعالى عن أن يكون مصدر شر أو ظلم وجور

ومع القول بامتناع تعدد الواجب و (الثانية) أى الفريقين أقرب الى الصواب وقوله أشبه بالتحقيق الجبرية القائلين بالجبر ونفى الاختيار عن الممكن أم القدرية الناسبين الى العبد خلق أفعاله الاختيارية و (الثالثة) ان قوما يقولون بأن البقاء من صفات المعانى أى انه صفة زائدة على ذات الباقى فى الخارج فكيف يصح قولهم وما سبيل المناقشة معهم ؟.

أجاب الخيام (وبعد) فان مباحثته اياى عن مسألة ضرورة التضاد رفعت من ذكرى وعظمت فى أمرى واستوجبت لله تعالى خالص شكرى اذ لم يخطر ببالى ان اسأل عن أمثالها خصوصا عن ذلك النمط مردفا بذلك الشك القوى وهو ان ضرورة التضاد ان كانت ممكنة الوجود كان لها علة وتنتهى الى الواجب الوجود بذاته وان كانت واجبة الوجود بذاتها كان فى واجب الوجود بذاته كثرة وقد قام البرهان على ان واجب الوجود بذاته واحد من جميع جهاته ثم ان كانت ممكنة كان سببها وموجدها هو الواجب الوجود الواحد وقد قطعتم بأن الشرور لا تفيض من عنده . فالقول فى الجواب ان الاوصاف للموصوفات على ضربين ضرب يقال له الذاتى وهو الذى لا يمكن أن يتصور الموصوف الا ويتصور له ذلك الوصف أولا ويلزمه أن يكون للموصوف لا لعلة كالحيوانية للانسان ويكون قبل الموصوف بالذات اعنى ان يكون علة الموصوف لا لمعلوله كالحيوان للانسان والناطق له . وبالجملة جميع أجزاء الحد للمحدود أوصاف ذاتية وهذه معان مفروغ عنها . وضرب يقال له العرضى وهو الذى يكون بخلاف ما تقدم من انه يمكن أن يتصور الموصوف ولا يتصور حصول ذلك الوصف له ولا يكون ذلك الوصف علة للموصوف ولا قبله فى المرتبة والطبع وهذا الضرب ينقسم قسمين فانه اما أن يكون لازما غير مفارق البتة ككون الانسان متفكرا أو متعجبا أو ضاحكا بالقوة وأما يكون مفارقا بالوهم لا بالوجود ككون الغراب أسود فان السواد

يفارق الغراب في الوهم لا في الوجود أو مفارقا بالوهم والوجود جميعا ككون الانسان كاتبا أو فلاحا ـ فهذه هي الاقسام الاولية للاوصاف ثم اللوازم التي تلزم الموجودات لا تخلو من وجهين في القسمة الاولية العقلية فانها أما أن تكون لازمة لها بواسطة وعلة كلزوم الضاحك بالفعل للانسان فانه يلزمه بسبب لزوم التعجب له ثم ان كان لزوم التعجب بسبب آخر أيضا فلذلك السبب الآخر أما أن يكون لازما وأما أن يكون مفارقا ومحال أن يكون الوصف المفارق سببا لوصف لازم فبقي ان يكون ذلك السبب الآخر لازما أيضا فان كان لزوم ذلك السبب بسبب آخر عاد الكلام جذعا فتكون هذه الاسباب أما متسلسلة الى ما لا نهاية له والبرهان قائم على استحالته وأما دائرة أي المسبب لسببه وهذا أظهر استحالة وأما أن تكون في السببية منتهية الى سبب لا سبب له فيكون ذلك السبب أي الوصف واجب الوجود لذلك الموصوف كالمتفكر للانسان مثلا واذ تقدم هذا وبان بعض الاوصاف واجب الوجود للموصوفات فلنرجع الى مطلوبنا ونقول ان الوجود أمر اعتباري ينطبق على معنيين على سبيل التشكيك لا على سبيل التواطؤ الصرف ولا على سبيل الاشتراك الصرف والفرق بين الاسامي الثلاثة ظاهر في أوائل المنطق وذانك المعنيان هما الكون في الاعيان الذي اسم الوجود أحق به عند الجمهور ، والثاني الوجود في النفس كالتصورات الحسية والخيالية والوهمية والعقلية وهذا المعنى الثاني بعينه المعنى الاول اذ المعاني المدركة المتصورة من حيث هي مدركة متصورة موجودة في الاعيان اذ المدرك عين من الاعيان والموجود في عين من الاعيان موجود في الاعيان الا ان الشيء الذي هو المدرك المتصور مثاله ورسمه ونقشه ربما يكون معدوما في الاعيان كتعقلنا آدم فان المعنى المعقول من آدم هو معنى موجود في النفس وفي الاعيان اذ النفس عين من الاعيان ولكن آدم الذي هذا المعنى الوجود في النفس مثاله ونقشه معدوم في الاعيان ـ فهذا هو الفرق

بين الوجودين وتبين ان الفرق بينهما بالاحق والاولى والتقدم والتأخر الذى يسمى بالتشكيك لا بالمعنى الذى سمى الاشتراك وهذه المسألة وان كانت عميقة جدا وتحتاج الى فضل تنقير فانها لا تخفى على فلان واذا قيل ان صفة الحيوان موجودة للانسان أو كل مثلث فان زواياه الثلاث مساوية للقائمين فانما نعنى بهذا الوجود لا الوجود فى الاعيان بل الوجود فى النفس وذلك ان التصور العقلى لا يمكنه أن يتصور الانسان الا ويتصور معه انه حيوان اذ حصول معنى الحيوان لمعنى الانسان أمر ضرورى وكذلك الفردية للثلاثة لا يمكن أن تعقل وتتصور الا فردا وكل ما لا يمكن أن يتصور ويعقل الا بصفة من الصفات فان تلك الصفة تكون واجبة له أى تكون له لا بعلة فتكون واجبة الوجود له • فالفردية واجبة الوجود للثلاثة • والحيوانية واجبة الوجود للانسان وكذلك جميع الاوصاف الذاتية الواجبة الوجود للموصوفات • منها ما يكون واجب الوجود للشىء بسبب تقدم وصف آخر واجب الوجود له • ومنها ما يكون واجب الوجود للشىء لا بسبب تقدم وصف آخر له وكذلك جميع اللوازم تكون واجبة لوجود للملزوم • منها ما هو بسبب لازم آخر متقدم • ومنها ما هو بلا سبب شىء الا ذات الملزوم والبرهان ما قدمناه آنفا ثم الفردية للثلاثة وان كانت صفة لازمة واجبة الوجود لها لا يجب أن تكون فى نفسها موجودة فى الاعيان فضلا عن أن تكون واجبة الوجود فى الاعيان أو ممكنة الوجود للشىء فان الحاصل له شىء والموجود الحاصل فى الاعيان شىء آخر فان الاوصاف المعدومة فى الاعيان ربما تكون موجودة فى النفس والعقل لموصوفات معدومة فى الاعيان ولا يجوز ان يقال انها موجودة فى الاعيان كقول من يقول ان الخلاء بعد مفطور ممتد يسعه الاجسام وتخرقه وتتحرك فيه من موضع الى موضع فان هذه الاوصاف موجودة فى العقل للخلاء الموجود المتصور فى العقل المعدوم فى الاعيان فوجود الاوصاف للموصوفات انما هو

بالقصد الاول فى النفس والعقل لا الحصول • والكون فى الاعيـان واذا قيل ان الصفة الفلانية واجبة الوجود لكذا فانما يراد به الوجود فى العقل والنفس لا فى الاعيان • وكذلك اذا قيل انها ممكنة الوجود فانما يعنى به الوجود فى النفس والعقل وقد علمت الفرق بينهما على أى صفـة يكـون فالوجود فى الاعيان هو غير وجود شىء لشىء غيرية التشكيك على ما حققناه ثم البرهان قام على ان واجب الوجود فى الاعيان واحد فى جميع جهاته وجميع صفاته • وهو سبب جميع الموجودات فى الاعيـان وقـد علمت ان الوجود فى النفس هو أيضا وجود فى الاعيان بوجه ما من وجوه التشكيك فهو جل جلاله سبب لجميع الاشياء الموجودة • ثم الاعدام وعللها ظاهرة عند فلان (هو السائل) لا أريد أن أطول بها الكلام فقد بان من هذا انه اذا قيل ان الفردية واجبة الوجود للثلاثة فانما نعنى به انها للثلاثة لا بسبب مسبب ولا بجعل جاعل • وكذلك جميع الذاتيات واللوازم وقد يمكن ان يكون ذاتى سببا لذاتى آخر • وان يكون لازم أيضـا سببا للازم آخر • الا انه يوشك أن ينتهى الى ذاتى أو لازم لا سبب لهما فيكون ذلك الذاتى سببا بوجه من الوجوه وان هذا الحكم لا يثلم القضيـة القائلة بأن واجب الوجود بذاته واحد من جميع جهاته اذ الوجود هناك الكون فى الاعيان وواجب الوجود فى الاعيان واحد كما قد بيناه فى مواضع اخر وهذا الوجود هو الحصول للشىء من غير التفات الى وجوده فى الاعيان أو فى النفس • وبالجملة فان جميع الموجودات فى الاعيان ممكنة لا غير • سوى وجوب الوجود الواحد وتحليل المسألة على الوجه الكلى هو ان الموجودات الممكنة فاضت من الوجود المقدس على ترتيب ونظام ثم من الموجودات ما كان متضادا بالضرورة ولا بجعل جاعل واذا وجد ذلك الموجود وجد التضاد بالضرورة واذا وجد التضاد بالضرورة وجد العدم بالضرورة • واذا وجد العدم وجد الشر بالضرورة • وأما من قال ان واجب الوجود أوجد السواد أو الحرارة

حتى وجد التضاد لان (أ) اذا كانت علة (اب) و (ب) علة (لح) فيكون (أ) علة (لح) فانه قال صوابا حقا لا مجمجمة فيه لكن الكلام فى هـــذا الموضع ينساق الى غرض وهو ان واجب الوجود أوجد السواد فوجـــد التضاد بالضرورة فيكون واجب الوجود قد أوجد التضاد فى الاعيـــان بالعرض لا بالذات هذا لا شك فيه الا انه لم يجعل السواد مضادا للبياض وانما أوجد السواد لا لمضادته للبياض بل لكونه ماهية ممكنة الوجود وكل ماهية ممكنة الوجود فان واجب الوجود يوجبها لان نفس الوجود خير لكن السواد ماهية لا يمكن الا ان تكون مضادة لشىء آخر فكل من أوجد السواد لاجل كونه ممكن الوجود فهو الذى أوجد التضاد بالعرض ولا يكون الشر منسوبا الى موجد السواد بوجه من الوجوه اذ القصـد الاول (وجل عن القصد) بل العناية السرمدية الحقة توجهت نحو الخير الا ان النوع من الخير لا يمكن أن يكون مبرءا خاليا عن الشر والعدم فليس الشر منسوبا اليه الا بالعرض • وليس الكلام ههنا فيما بالعرض بل فيما بالذات وانى اوصى كل من أعرفه من الحكماء بتقديس ذلك الجناب عن الظلم والشـــر وههنـا من التفصيل والتحصيل مالا تفهمه العبارة ولا يقدر المخبر عن الاخبار به لقصور البنيان عنه والحدس المصيب ينال من ذلك الروح ما تقنع به النفس الكاملة وتذوق به اللذة العقلية القصوى وههنا سؤال آخر ركيك جدا عند منعمى النظر فى باب الالهيات وهو انه لم اوجد امرا كان يعلم انه يلزمه العدم والشر فيكون الجواب عنــه ان السواد مثلا فيــه الف خير وشر واحـد والامساك عن ايراد الف خير لاجل لزوم شر واحد اياه شر عظيم على ان النسبة بين خير السواد وشره من نسبة الف الف الى واحد • واذا كان هـذا هكذا فقـد بان ان الشـرور موجـودة فى مخلوقـات الله بالعرض لا بالذات • وبان ان الشر فى الحكمـة الاولى قليل جـدا لا نسبة له فى الكمية والكيفية الى الخير • واما سؤاله عن أى الفريقين أقرب الى الصواب

فلعل الجبرى اقرب الى الحق فى بادىء الرأى وظاهر النظر من غير ان يتلجلج فى هذيانه ويتغلغل فى خرافاته • فانه حينئذ يبعد عن الحق جدا هذا واما الكلام الجارى فى البقاء والبقاء فانه امر قد شغف به جماعة من الاغبياء حيث لم يعقلوا ولم يتفطنوا للحق اذ البقاء ليس الا اتصاف الموجود بالوجود مدة ما فكأن الوجود غير ملتفت فيه الى المدة • والبقاء وجود يتضمن معنى المدة فالوجود معنى اعم من البقاء فليس الفرق بين الوجود والبقاء الا بالعموم والخصوص • ثم العجب ان قائل هذا القول اعترف بأن الوجود والموجود هما معنى واحد فى الاعيان وان كانا مفترقين فى النفس• فلما بلغ الى البقاء ضل • واما الكلام الجدلى الملجىء اياهم الى ارتكاب المحالات الاولية فهو هذا يسألون هل هنا شيء موصوف بالبقاء فان اجابوا بلا قيل لهم اذن ليس ههنا باق فما الذى يوجد الموجودات ويستبقيها على زعمكم بالتعاقب والايجاد فى الآنات المتوالية على ان البرهان قام على بطلان الآنات المتوالية ولكن سلمنا قولكم مسامحة فان اجابوا بان هذا الموجد بالتعاقب غير باق يلزمهم أشد المحالات استحالة واقبحها واظنهم يتحاشون عن هذا • وان اجابوا بان ههنا شيئا باقيا سئلوا وقيل لهم ان ذلك الباقى يكون باقيا ببقاء زائد على ذاته فذلك البقاء لا يخلو اما ان يكون باقيا واما ان لا يكون باقيا فان كان باقيا كان باقيا ببقاء وذلك البقاء ببقاء آخر ويتسلسل وهذا محال وان لم يكن ذلك البقاء باقيا فكيف يكون الباقى باقيا وبقاؤه الذى هو به باق غير باق هذا محال • اللهم لا ان يرتكبوا فيقولوا الباقى باق ببقاءات متصلة متشافعة فى آنات متوالية فحينئذ يطالبون بشرح هذا الكلام ويقال لهم ما معنى هذه البقاءات المتوالية ان كانت معانى بها يكون الباقى باقيا • فتلك المعانى ينبغى ان تبقى مع الباقى مدة يمكن ان يوصف الباقى فيها بانه باق والا فلا معنى للبقاء والباقى وان كانت وجودات متشافعة فقد بان ان الوجود والبقاء هما معنى واحد • وان البقاء ليس هو الا

استمرار الوجود او اتصاف الموجود بالوجود ملتفتا فيه الى المدة اذ الوجود المطلق يجوز ان يكون فى آن من الزمان ولا يجوز ان يكون البقاء الا فى مدة فهذا هو سمت الجدال معهم وقمعهم • والحق عندى ان لا يلاج من يكون عقله بحيث يخفى عليه هـذا القدر من المعقولات • فهذا هو الذى سنح لى فى الحال والله اعلم بكل المقال •

- ٣ -

رسالة الوجود

وهذا نصها قال الحكيم عمر الخيام :ـ

ان الموجود الذى هو موضوع الفلسفة الاولى اعنى العلم الكلى الذى تحته جميع العلوم ظاهر التصور لا يحتاج فى تصوره الى تصور امر آخر يسبقه لانه أعم الاشياء وهو وما اشبهه مبدأ لتصورات جميع الاشياء والشىء ايضا ظاهر التصور ويلزمه الوجود فى النفس فان المعدوم فى الاعيان اذا حكم عليه بأمر ما وجودى لا يمكن الا ان يكون موجودا عـلى ما علمت تفصيله ووجوده ليس فى الاعيان فباضطرار يلزم أن يكون موجـودا فى النفس فالشىء يلزمه الوجود فلا موجود أحد الوجودين الا ويلزمـه أن يكون شيئا ولا شىء الا ويلزمه أحد الوجودين فالشيئية من لوازم حقائق الاشياء واياك أن تحاول تصوير الشىء أو الموجود فانك ان فعلته وقعت فى الدور لا محالة والموجود والشىء وان كانا عامـين فان الموجـود أولى بأن يكون موضوع العلم الكلى لانه أظهر تصورا وموجودية الشىء ووجوده شىء واحد كالمضاف والاضافة لان الوجود لو كان شـيئا زائدا عـلى ذات الموجود لكان يلزمه الوجود أما فى الاعيان وأما فى النفس ولو كان وجود

الموجود موجودا فى الاعيان لكان موجودا بوجود « اذ حكم ان كل موجود يحتاج الى وجود » وتسلسل وكذلك لو كان الوجود شيئا زائدا على ذات الموجود (ولا شك ان الوجود عرض كيفما كان سواء فرضته موجودا فى الاعيان أو فى النفس) لكان سببا لموجودية الجوهر لان الجوهر انما يصير موجودا بوجوده وما لم يوجد وجوده لم يمكن أن يوجد هو فيلزم أن يكون العرض سببا لوجود الجوهر لكن من الثابت ان كل عرض فسبب وجوده الجوهر لان حقيقة العرض تدل على ذلك ويصير البيان دوريا وكذلك لو كان الوجود شيئا زائدا على ذات الموجود به يصير الموجود موجودا لكان وجود البارى أيضا شيئا زائدا على ذاته أعنى هذا الوجود الذى يقابل العدم فيه كلامنا ههنا فلم تكن ذات البارى تعالى واحدة بل كانت منكثرة وهذا محال • وأما أن يكون شيئا اعتباريا موجودا فى النفس فيجب أن تتحقق ان لكل شىء حقيقة ما بها يتخصص ويتميز عن غيره وهذا الحكم أولى لا يخالف فيه عقل فاذا عقل تلك الحقيقة عقل أعنى حصل أثر من تلك الحقيقة فى عقل ما ثم نسب ذلك العقل تلك الحقيقة والماهية الى الصورة الحاصلة الموجودة فى الاعيان فيكون الكون فى الاعيان أمرا زائدا على ذات تلك الماهية والحقيقة ولا يكون شيئا زائدا على ذات الموجود اذ الموجود فى الاعيان ليس تلك الماهية فان تلك الماهية لا يمكن أن توجد بعينها فى الاعيان اذ العقل ليس له أن يحكم على شىء الا اذا عقله مجردا عن العوارض الشخصية ولا يمكن أن يوجد هذا المجرد من حيث هوكذلك فى الخارج ثم اذ كان الامر على هذه الصفة وكان يظن بعض ضعفاء الظن ان الماهية المعقولة بعينها صارت موجودة فى الاعيان رسخ فى قلبه ان الوجود والموجود هما شيئان كائنان فى الاعيان ولم يتفطن لهذه المحالات ومن المحالات اللازمة لهذا الحكم وهو الوجود شىء زائد على ذات الموجود انه يلزم أن يكون الموجود فى النفس موجودا بوجود وذلك الوجود يكون

موجودا فى النفس بوجود آخر ويتسلسل الى ما لا نهاية له ومن الحجج الجدلية فى هذا المبحث للمذهب الحق ان يقال للخصم ان هذا الوجـــود الزائد على ذات الموجود هل هو موجود فى الاعيان أو ليس بموجود فى الاعيان فان قال انه ليس بموجود فى الاعيان فقد حقق الخبر بعض المذهب ثم يسأل فيقال له هذا الوجود الزائد على ذات الموجود الذى سلمت انه ليس بموجود فى الاعيان هل هو موجود فى النفس أو ليس بموجود فى النفس فان قال انه موجود فى النفس فقد حقق الخبر كله وان قال انه ليس بموجود فى النفس وكان من قبل ان يقول انه ليس بموجود فى الاعيـان فيكـون حينئذ هو المعدوم المطلق والمعدوم المطلق لا يكون عنه خبر ولا يكون عليه حكم والضرورة تشهد ببطلان هذا الحكم فقد صح وتبين ان الوجود هو صفة زائدة على ذات الماهية المعقولة موجودة فى النفس غـير موجودة فى الاعيان اعنى ان وجود الموجود فى الاعيان هو بعينه ذاته ولا معنى لوجوده الزائد عليه الا بعد ان عقل وانما اعتبر العقل فيه هذه الصفة بعد ان عقله وصيره ماهية معقولة ومن الشكوك القوية على هذا الرأى الحق وهو موضع بحث عظيم للجدلى هو انه اذا سئلنا هل الوجود المطلـق ماهية معقـولة أم ليس بماهية معقولة فان قلنا ليس بماهية معقولة كان القول محالا لانه لو لم يكن ماهية معقولة موجودة فى النفس لكان محالا قولنا ان الوجود فى الاعيان شىء زائد على ذات الماهية وان قلنا انه ماهية معقولة وقد حكمنا بأن الماهية المعقولة تحتاج الى وجود زائد عليها فتكون ماهية الوجود محتاجة الى وجود آخر معقول حتى يكون موجودا فى النفس • والجواب عنه ان الماهيـــة المعقولة تحتاج الى وجود معقول حتى يكون امرا موجودا فى الاعيان لا فى النفس لانك اذا قلت ان الماهية الموجودة فى النفس محتاجة الى وجود حتى تكون موجودة فى النفس فقد صادرت على المطلوب الاول حيث قلت ان الموجود يحتاج الى وجود وأما كلام من يقول اذا كان وجود زيد غـــير

موجود فى الاعيان فكيف يكون زيد موجودا فكلام مموه مزخرف سوفسطائى ويتفطن لاستحالته من وجهين (أحدهما) قوله اذا كان وجود زيد غير موجود فكيف يكون زيد موجودا هذا يلزم اذا قيل ان الموجود موجود بوجود وهو مصادرة المغالط على المطلوب الاول (والثانى) من الوجهين ان وجود زيد المعقول هو أمر معقول موجود فى النفس فكان المغالط لا يفرق بين الوجودين فى الاعيان والوجود فى النفس • فان قال انا نعتبر زيدا الجزئى المحسوس المعقول حتى يكون وجوده شيئا زائدا على ماهيته فى النفس أجبنا بأن نقول ان حمل المحمول الكلى على الموضوعات لا يمكن الا بعد أن تكون معقولة والوجود حكم كلى لا يمكن حمله على موضوع الا بعد أن يعقل سواء فرضه العقل عند تعقله اياه واحدا لا تكثر فيه كالبارى أو لم يفرضه كذلك وانما ظن من ظن هذا لجهله بأن المعقول الصرف لا يكون لنا ولا يمكن بل انما تكون معقولاتنا مشوبة بالتخيل والتخيل لا يدرك الا الجزئى فربما تخيلنا شيئا وعمل العقل فيه عمله اعنى تجريده عن العوارض المشخصة ولا تتفطن النفس لذلك بل تظن انه جزئى لاختلاط ذلك المعقول بالتخيل أو تصاقب بعضها من بعض وأكثر ما تعرض هذه الحالة عند فرض العقل المعقول شيئا واحدا فمن اضافة الوحدة الى ذلك المعقول ومخالطته للتخيل يظن انه جزئى • فقد تبين وصح ان الموجود فى الاعيان ووجوده شىء واحد • وانما يحصل هذا التكثر عند كونه معقولا وصيرورته ماهية معقولة مضافا اليها ذلك المعنى المعقول المسمى وجودا • ونعم ما قال فاضل المتأخرين روح رمسه وقدس نفسه فى بعض مباحثاته • لعل الوجود الذى هو ماهية الحق الاول هو الواجبية • وانما قال ذلك لان الواجبية المطلقة لا شركة فيها بوجه من الوجوه • ثم قال ان الوجود الذى هو مقابل العدم المقول على جميع الاشياء هو من لوازم تلك الماهية • فلو كان ذلك المعنى أمرا على حدة لتكثر به ذات البارى جل جلاله

وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا • وعند هـذا الموقف عديد مباحثـات عميقة وتحصيلات كثيرة وتحاقيق جمة • ومن أخذت الفطانة بيده وصحبه توفيق من الله تعال صادف في التوحيد ههنا ما يسكن اليه العقل نسأل الله التوفيق للوصول الى الكمال والحمد لله على كل حال •

رسالة الوجود

جاء ذكر هذه الرسالة فى فهرست دار الكتب الالمانية ببرلين تحت الرقم ٢٣٨٩ وهذا ما كتب فى أولها : رسـالة الوجـود لعمر بن ابراهيم الخيامى :ـ

سبحان الذى جل جلاله وتقدست أسماؤه ••• الاوصاف للموصوفات على ضربين ، ضرب يقال له الذاتى ، وضرب يقال له العرضى !••• الخ •

ثم يقول يحصل من ضرورة التضاد على ما قد عرفت تفصيله تعالى عما يقول الظالمون الملحدون علوا كبيرا ولا حول ولا قوة الا بالله ••• الخ •

ان من أعجب ما ورد فى هذه الرسائل هذا النص الذى أنقله بعينه قال الخيام :ـ (راجع صفحة ١٩٤ من الـكتاب) ولعلى ومعلمى أفضـل المتأخرين الشيخ الرئيس أبا الحسين بن عبدالله بن سينا البخارى أعلى الله درجته قد أمعنا النظر فيها وانتهى بنا البحث الى ما قنعت به نفوسنا •• الخ فيفهم من هذه العبارة أن الخيام أدرك ابن سينا وتتلمذ له مع أن ابن سينا ولد فى سنة ٣٧٠هـ وتوفى فى ٤٢٨هـ وقد اتفق المعنيون بالخيام انه توفى فى حدود سنة ٥١٧ ـ ٥٣٠هـ فعلى هذا يجب أن يكون قد عمر الخيام نيفـا ومائة عاما ، لا شك انه غير صحيح الا اذا فرضنا انه أراد الافتخار بذلك •

عمر الخيام

الرباعيات

- ١ -

يا رب خـردم درخور اثبات تونيست
واندیشهٔ من بجز منـاجـات تونيست
مـن ذات تـرا بواجبی کی دانـم
داننـدهٔ ذات تـو بجز ذات تونيست

* * *

يا الهى ! ليس لعقلى من قدرة لاثباتك • وما تفكيرى الا مناجاتك • كيف أعرف ذاتك كما ينبغى • فلا يعرف ذاتك الا ذاتك •

- ٢ -

مـا لعبتـکانيم وفلـك لعبتبـاز
ازروى حقيقتى نـه ازروى مجـاز
بازيچـه كنان بديـم برنطع وجـود
رفتيم بصنـدوق عـدم يك يك باز

✡ ✡ ✡

نحن الاعيب اطفال واللاعب بنا هو الفلك • وذلك فى الحقيقة لا فى المجاز • لقد لعبنا مدة فى رقعة الوجود • ثم ذهبنا الى صندوق العدم واحدا بعد واحد •

- ۳ -

گـر آمدنـم بمن بـدی نـامدمی
ورنیز شـدن بمن بدی کی شـدمی
به زآن نبدی که اندراین دیر خراب
نه آمد می ، نـه‌شدمی ، نـه بدمی

* * *

لو كان المجيء الي ما جئت • ولو كان الي انشائي ما أردته ، يا ليتني لم اكن في هذا الدير الخرب ولم آت اليه ، ولم اخلق فيه • ولم ابق فيه •

- ٤ -

من بندهٔ عـاصیم رضای تو کجاست
تاریك دلم نور وصفـای تو کجاست
مـارا تو بهشت اگر بطـاعت بخشی
آن بیع بود لطف وعطای تو کجاست

* * *

انی عبدك العاصی فأین رضاك • وان قلبی مظلم فأین نورك وصفاؤك • ان كنت تعطينا الجنة بالطاعة لك كان ذلك بيعا فاين لطفك وعطاؤك ؟

- ٥ -

زان بیش که غمات شبیخون آرند
فرمای که تابادۀ گلگون آرند
توزر نۀ ای غافل نادان که ترا
درخاك نهند وباز بیرون آرند

* * *

صاح ! قبل ان تهجم عليك الهموم بياتا • مرهم يأتوك بالخمر الوردية ايها الجاهل الغر لست ذهبا فاذا واروك فى التراب اخرجوك مرة اخرى •

- ٦ -

این قافلۀ عمر عجب میگذرد
دریاب دمی که باطرب میگذرد
ساقی غم فردای قیامت چه خوری ؟
بیش آرپیالۀ که شب میگذرد

* * *

تسير قافلة العمر سيرا عجيبا • فاغتنم وقتا تطرب فيه • ايها الساقى ما لك مهموما من يوم القيامة فى الغد ؟ هات الزجاجة فان الليل سينقضى •

٧

گـر مـن زمی مغانـه مستم مستم
گر کافـر وگبر وبتپرستم هستم
هر طـايفهٔ بمن گمـانی دارنـد
من زان خودم جنانـكه هستم هستم

* * *

انـا ان كنت سكران بخمرة المجوس فانا ذاك • وان كنت كافرا او مجوسيا أو وثنيا فانا ذاك • لكل طائفة ظن فى ، أما أنا فملك نفسى أكون كما اريد •

٨

در رهگذرم هـزار جـا دام نهی
گویی کـه بگیرمت اکر گـام نهی
يك ذره زحکم توجهان خـالی نیست
حکمم توکنی وعـاصیم نـام نهی ؟

* * *

تضع الاشراك يا الهى فى الف مكان من سبيلى وتقول لي ان وطئتها فانى مدريك ، لا تخلو ذرة فى العالم من حكمك • انت تحكم علي وانت تسمينى بالعاصى ؟

— ٩ —

یزدان چـو گل وجود مامی آراست
دانست زفعل‌ماچه برخواهد خواست
بی‌حکمش نیست هر گناهی که مراست
بس‌سوختن قیامت‌از بهرچه خواست؟

* * * *

لمّا كون الله وجودنا مِنَ الطين كان يعلم بالأفعال التي ستصدر منا . ليس خارجـا من حكمـهِ كل ذنب نقترفه ، فلماذا يصلينا فى السعير يوم القيامة ؟

- ١٠ -

گربر فلکم دست بُدی چون یزدان
بردا شتمی من این فلـکرا زمیـان
وازنو فلـك دگر چنـان ساختمی
کآزاده بکام دل رسیدی آسـان

لو كنت مهيمنا على الفلك همينة خالق لنقضته . ولخلقت فلكا غيره يبلغ به الاحرار امانيهم من دون عناء .

- ١١ -

ایکاش کــه جای آرمــیدن بودی
یا ایـن ره دوررا رسیــدن بودی
کاش ازپی صد هزار سال ازدل خاك
جـون سبزه امید بردمیـدن بودی

* * *

لیت للراحة محلا . ولیتنا بلغنا آخر هذا الطریق الطویل . ویا لیت لنا أملا فی العودة الی الحیاة بعد مئات الوف السنین کما یعـود العشب من قلب التراب .

- ١٢ -

آنانـکـه بکار عقـل در میکوشـند
هیهات که جملـه کاو نر میدوشند
آن به‌که لبـاس ابلهی درپـوشـند
کامروز بـه عقل تره می نفروشند

* * * *

اولئك الذین یجاهدون بطریق العقل . هیهات فانهم یحلبون ثورا . هم أجدر بأن یتقمصوا البلاهة اذ لا یشتری الیوم بالعقل باقة من کراث .

- ١٣ -

قومی متفکرند در مذهب ودین
جمعی متحیرند در شك ویقین
ناکاه منادیء در آید زکمین
کای بیخبران راه نه آنست ونه این

* * *

قوم يتفكرون فى المذهب والدين • وآخرون حيارى بين الشك واليقين •
واذا هم بهاتف يهتف بهم أيها الغافلون الطريق لا هذا ولا ذاك •

- ١٤ -

ای مفتیء شهر از تو پرکار تریم
با این همه مستی زتو هشیار تریم
ماخون رزان خوریم وتو خون کسان
انصاف بده کدام خو نخوار تریم ؟

* * *

نحن يا مفتى المدينة أصلح منك عملا• ومع كل هذا السكر أصحى منك•
انا نشرب دم العنب وأنت تشرب دم الناس فانصف فأيّنا السافك للدماء ؟

- ١٥ -

شیخی بزن فاحشه کفتا مستی
هر لحظه بدام دیکری بابستی
کفتا شیخا هر آنچه کویی هستم
أما تو جنا نجه مینمائی هستی ؟

* * *

قال شيخ لمومس أنت سكرى وفى كل لحظة تتعلقين بأذيال آخر
فقالت أيها الشيخ : ان الذى قلته صحيح لكنك أأنت أنت كما تظهر للناس ؟

- ١٦ -

دل سر حیات أکر کما هی دانست
در مرک هم أسرار آلهی دانست
ایمروزکه باخودی ندانستی هیچ
فرداکه زخودروی جه خواهی دانست؟

* * *

لو عرف القلب سر الحياة كما هى لعرف أيضا فى الموت الاسرار الآلهية.
أنت لا تعلم شيئا اليوم ونفسك معك ، فماذا تعلم غدا اذا تجردت عنها .

- ١٧ -

جون مردن تو مردن يكبارکی است
يكبار بمير اين چه بيچارکی است
خونی ونجاستی ومشتی رگ وپوست
انکار نبود اين چه غمخوارکی است

* * *

حيث انك تموت مرة واحدة ، مت ! فما هذا الذل ؟ دم ونجاسة من عظم وجلد ، ليتها لم تكن فما هذه المحنة ؟

- ١٨ -

آورد باضطرام اول بوجود
جز حيرتم از جهان چيزی نفزود
رفتيم باكراه وندانيم جه بود
زين آمدن وماندن ورفتن مقصود

* * *

جاء بی الى الوجود على الرغم منی ، ولم ازدد غير الحيرة فی هذه الحياة ، ذهبنا مكرهين ولم نعلم الغرض من مجيئنا وبقائنا وذهابنا ... ؟

- ١٩ -

از آب وگلم سرشتهٔ من چـــه کنم
وین پشم مرا تورشتهٔ من چـه کنم
هر نیك وبدی که از من آید بوجود
توبر سر من نوشتهٔ من چـــه کنم

* * *

ما أصنع یا آلهی وقد جبلتنی من ماء وطین وغزلت صوفتی ، أنت کتبت على کل ما یصدر منی من خیر وشر فی هذا الوجود ؟ فما حیلتی ؟

- ٢٠ -

عمرت تاکی بخود پرستی گذرد ؟
یـا در پی نیستی وهستی گذرد ؟
می‌نوش که عمری که اجل در پی اوست
آن به که بخواب یـا بمستی گذرد

* * *

حتی م یمر عمرك فی عبادة نفسك ، او التفکیر فی الوجود والعدم اشرب الخمر فان العمر الذی یعقبه الموت یحسن ان ینقضی فی النوم او السکر ..

- ٢١ -

تا زهره ومه در آسمان گشت بدید
بهتر زمی ناب کسی هیچ ندید
من در عجبم زمی فروشان کایشان
به زانچه فروشند چه خواهند خرید

* * *

منذ ظهرت الزهرة والقمر فی السماء ما رأی أحد أحسن من الخمرة الصافية يا عجبی من باعة الخمر ای شیء سیشترون احسن مما يبيعون ؟

- ٢٢ -

روزی که گذشته است ازو یادمکن
فردا که نیامده است فریاد مکن
برنامده وگذشته فریاد منه
حالی خوش باش وعمر برباد مکن

* * *

لا تذكر اليوم الذی مضی ولا تجزع من غد لم يأت بعد . ولا تفزع مما لم يأت ولا تأسف علی ما مضی . طب نفسا ولا تدع عمرك يمر سدی.

- ٢٣ -

مـائیم دراو فتاده جـون مرغ بدام
دلخستهٔ روزگار وآشــفته مـدام
ســر گشته درین دائرهٔ بی دروبـام
نا آمـده برمراد ونارفتـه بـه کام

* * *

وقعنا فی هـذه الحیاة وقوع الطیر فی الشرك • مفئودین من الدهر • طائشین علی الدوام • تائهین فی هذه الدائرة التی لا سطح لها ولا باب • لاجئنا مختارین • ولا ذهبنا مریدین •

٢٤

تاهشـیارم طـرب زمـن پنهـانست
چون مست شوم درخردم نقصانست
حـالیست میـان مستی وهشـیاری
من شادم از آن که زندگانی آنست

لا سبیل لی الی الطرب ما دمت صاحیا واذا ما ثملت نقص عقلی ان بین الصحو والسکر حالة هی عندی وحدها صفوة الحیاة •••

- ٢٥ -

گویند بمن بهشت باحور خوشست
من میگویم که آب انگور خوشست
این نقد بگیر ودست ازآن نسیه بدار
کاوازدهل شنیدن ازدور خوشست

* * *

یقولون لی ان الجنة طیبة بحورها • وانا اقول ان ماء العنب هو الطیب •
خذ هذا النقد وذر ذلك النسیيء،فصوت الطبل من البعید حسن ••

- ٢٦ -

گرباده بکوه دردهی رقص کند
ناقص بود آنکه باده‌را نقص کند
ازباده مراتوبه چه میفرمایی ؟
روحیست که او تربیت شخص کند

* * *

ان سقیت الجبل خمرا رقص الجبل • ناقص من ینتقص قدرها •
اتطلب منی ان اتوب من شرب الخمر وهی الروح التی تربی الانسان •

- ٢٧ -

می نوش که عمر جـاودانی اینسـت
خود خاصیت دور جهـــانی اینسـت
هنگام گل ومل است ویاران سرمست
خوش باش دمی که زند گانی اینست

* * *

اشرب الخمر فانها الحياة الدائمة • وهي وحدها مزية الدنيا • هذا أوان الورد والطرب والاخلاء سكارى فاسعد لحظة هذه هي الحياة •

- ٢٨ -

٢٠ ن

این جرخ جوطاسیست نکون افتاده
دروی همـه زیرکان زبـون افتـاده
بردوستیء شـیشـه وسـاغر نکرید
لب برلب ودر میانه خون افتـــاده

* * *

ان هذه السماء كطاس مقلوب • وفيه الاذكياء جميعهم قانطون • انظروا الى صداقة الابريق والكأس الشفة فوق الشفة والدم بينهما •••

- ٢٩ -

تا چند اسیر رنگ وبو خواهی شـــد
چند ازپی هرزشت ونکو خواهی شد
گر جشمهٔ زمزمی وگر آب حیـــات
آخر بدل خـاك فرو خـواهی شـد

* * *

حتی م تبقی أسیر اللون والرائحة • وکم تجری وراء کل خبیث وطیب ، ستغور فی باطن الارض حتی لو کنت ماء زمزم أو ماء الحیاة •

- ٣٠ -

چون میگذرد عمر چه‌شیرین وچه تلخ
پیمانه چو پر شود چه بغداد چه بلخ
می نوش که بعد از من وتو ماه بسی
از سلخ بغره آید از غره بســـلخ

* * *

حیث ان العمر سینقضی سیان عندی حلوه ومره • واذا طفحت الکأس فسواء ان تطفح فی بغداد أو فی بلخ • احس یا صاح کؤوس الحمیا ! فان القمر سینتقل من بعدی وبعدك من السلخ الی الغرة ومن الغرة الی السلخ کثیرا •

- ٣١ -

دشمن بغلط گفت که من فلسفیم
ایزد داند که آنچه او گفت نیم
لیکن چو در این غم آشیان آمده ام
آخر کم از آنکه من بدانم که کیم ؟

* * *

غلط العدو بقوله انی فلسفی . والله یعلم انی لست **كما قال** . **ولكننى** اذ وجدت نفسی فی دار الغم – الدنیا – فلا أقل ان أعرف من **أنا ؟**

- ٣٢ -

جز راه قلندران میخانه مپوی
جز باده وجز سماع وجز یار مجوی
بر کف قدح باده وبر دوش سبوی
می نوش کن ای نکار وبیهوده مکوی

* * *

لا تسلك غير سبيل قلندرية الحانة . ولا تطلب غير **الخمر** والسماع والحبيب . ضع القدح على كفك والدن على متنك . واشرب **أيها الجميل** ولا تقل لغوا .

- ٣٣ -

سیم ار چـه نه مایهٔ خردمندانست
بی سیمان را باغ جهـان زندانســت
از دست تهی بنفشه سر بر زانوست
در کیسهٔ زر دهـان گل خندانست

* * *

مع ان الفضة لا تكون ذخيرة العقلاء لكن روض الحياة سجن للمفلسين• ها هي البنفسجة نكست رأسها لخلو جوفها وها هي الوردة باسمة الثغر في كيسها الذهبي •

- ٣٤ - ١٧٧ ف/ر

در چشم محققان چه زیبا وچه زشت
منزلگهٔ عاشقان چه دوزخ چه بهشت
پوشیدن بیدلان چه أطلس چه بلاس
زیر سر عاشقان چه بالین وچه خشت

* * *

سواء في نظر المحققين الحسن والقبح • وسواء للعاشقين مثواهم في الجنة ومثواهم في النار • وسواء على السادر الحرير والبلاس • وسواء عند العاشقين توسد الريش أو الحجارة •

- ٣٥ -

دنیـا نه مقـام تست نه جای نشست
فرزانه در او خراب او لیتر ومست
بر آتش غـــم زیـــاده آبی میـزن
زآن بیش که در خاك روی باد بدست

* * *

ليست الدنيا بدار قرار لك ولا هي دار اقامة • احسن للحكيم أن يكون فيها ثملا مسطولا • اسكب الماء على نار الغم قبـل ان يذهب بك الى القبر صفر اليدين •

- ٣٦ -

دنیا بمراد رانده گیر آخر چـــه ؟
وین نامهٔ عمر خوانده گیر آخر چه ؟
گیرم که بکام دل بماندی صد ســال
صد سال دگر بمانده گیر آخر چه ؟

* * *

ما الغاية اذا بلغ المرء من الدنيا المراد ؟ وما الغاية اذا قرأ الانسان كتاب أعماله ؟ فلنحسب انك نلت مرامك مائة عام وعشت بعدها مائة عام ؟ فمـــا العاقبة ••؟

- ٣٧ -

از تن چو برفت جان پاك من وتو
خشتی دو نهند بر(مغاك)[1] من وتو
وآنكه زبرای خشت گور دگران
در (كالبدی)[2] كشند خاك پاك من وتو

★ ★ ★

حين تخرج من الجسد روحى وروحك الطاهرتان • يضعون لبنتين فى لحدى ولحدك ثم لصنع لبنة لقبر آخر يضعون ترابى وترابك الطاهرين فى القالب •

- ٣٨ -

درياب كه از روح جدا خواهى شد
در پردهٔ اسرار فنا خواهى شد
مى نوش ندانى زكجا آمدهٔ
خوش باش ندانى بكجا خواهى شد

★ ★ ★

انتبه ـ اعلم ـ انك ستفارق روحك • وستكون وراء ستار الاسرار • اشرب الخمر انك لا تدرى من أين أتيت وأسعد انك لا تعلم الى أين تذهب •

- ٣٩ -

سیر آمدام ای خدای از هستی خویش
از تنك دلي واز تهی دستی خویش
از نیست چو هست میکنی بیرون آر
زین نیستیم بحرمت هستی خویش

* * *

يا الهی مللت وجودی وضيق صدری وفراغ يدی • يا من يجعل من العدم وجودا اخرجنی من عدمی بحرمة وجودك •

- ٤٠ -

خیام که خیمه‌های حکمت میدوخت
درکورهٔ غم‌فتاد وناکاه بسوخت
مقراض اجل طناب عمرش ببرید
دلال امل برایکانش بفروخت

* * *

وقع الخيام الذى كان يخيط خيم الحكمة فى كور الغم واحترق فجأة • وقد قطع مقراض الاجل أطناب عمره وباعه دلال الامل رخيصا •

- ٤١ -

گرباده خوری توبا خرد مندان خور
یا با صنمی لا له رخ وخندان خور
بسیار مخور فاش مکن ورد مساز
اندك خور وکه گاه خور وپنهان خور

★ ★ ★

ان تشرب الخمر فاشربها مع العقلاء أو مع **باسمة موردة الخدين** **لا تشرب كثيرا** ولا تجاهر بشربها ولا تلهج بها • اشرب **قليلا وبين أوان وآخر ـ وفى الخفاء ـ**

- ٤٢ -

گرمی نوشد گدا به میری برسد
وررو بهکی خورد به شیری برسد
ور پیر خورد جوانی از سر گیرد
ورز آنکه جوان خورد به پیری برسد

★ ★ ★

اذا شرب الشحاذ الخمر رأى الامارة فى نفسه واذا شربها **الثعلب رأى السبعية** فى نفسه واذا شربها الشيخ جدد لنفسه **عهد الشباب واذا شربها الفتى رأى عهد الشيخوخة ـ طال عمره ـ**

- ٤٣ -

سر دفتر عالم معانی عشــق اســت
سر بیت قصیدهٔ جوانی عشق اســت
ای آنکه خبر نــداری از عالم عشق
این نکته بدان که زندگانی عشق است

★ ★ ★

العشق عنوان عالم المعانى • ومطلع قصيدة الشباب • فاعلم أيها الغافل عن عالم العشق هذه النكته ان الحياة هى العشق •

- ٤٤ -

بك نان به دو روز گر شو [illegible]
وزگــوزهٔ شــکسته دمی آبی ســرد
مأمــور کس دگر چرا بایــد بــود ؟
یا خدمت چون خودی چرا باید کرد؟

★ ★ ★

ان وجد المرء رغيفا فى يومه أو وجد جرعة ماء بارد فى كوز مثلوم فلماذا يكون تحت امرة غيره أو فى خدمة من يضاهيه •

- ٤٥ -

ابریق می مرا شکستی ربی
برمن در عیش‌را ببستی ربی
بر خاك فگندی می گلگون مرا
خاکم بد هن مگر تومستی ربی ؟

* * *

یا الهی حطمت ابریق مدامی • وأوصدت باب الانس فی وجهی •
سکبت علی الارض خمرتی الوردية،تراب بفمی هل أنت سکران یا ربی •

٤٦ -

ناکرده گناه در جهان
وانکس که گنه نکرد چون زیست بگو
من بد کنم وتوبد مکافات دهی
بس فرق میان من وتوچیست بگو ؟

* * *

یا الهی من الذی لم یرتکب خطیئته فی الدنیا وکیف عاش فیها من لم یخطأ
ان قابلتنی علی سیئتی بسیئة مثلها اذا فما الفرق بینی وبینك ؟•

- ٤٧ -

نازم بـه خرابات که اهلش اهلسـت
جون نیك نظر کنی بدش هم سهلست
از مدرسه برنخاست یك اهـل دلی
ویران شود این خرابه دار الجهلست

* * *

اباهی بحانات الخمر فان أهلها كفاة واذا انعمت النظر فی طالحهم وجدته رضیا لم تخرج المدرسة أحدا من ذوی القلوب المنیرة فلتدك هذه الخرابة فانها دار الجهل .

- ٤٨ -

خیـام تنت بخیمـهٔ مـاند راسـت
جان سلطانیکه منزلش دار بقاسـت
فراش ازل زبهـر دیـگر منـزل
نه خیمه بیفگند چو سلطان برخاست

* * *

ای خیام ! ان جسدك يماثل الخيمة حقا ، والروح التی منزلهـا دار البقاء تشبه السلطان، فاذا ارتحل السلطان افلا يقوض الخيمة فراش الازل..؟

- ٤٩ -

می خورکه مدام راحت روح تواوست
آسایش جان ودل مجروح تواوست
طوفان غم اردرآیـد ازبیش وبست
درباده گریز کشتیء نوح تواوسـت

* * *

اشرب الصهباء فانها راحة روحك • وأمان لنفسك وقلبك الجريحين • واذا دهمك طوفان الغم من ورائك وامامك فلذ بالخمر فانها سفينة النجاة •

- ٥٠ -

خورشـید کمند صبح بربام افکنـد
کیخسـرو روز باده درجـام افکنـد
می خورکه منادیء سحرگه خیزان
آوازهٔ (اشـربوا) در ایام افکنـد

* * *

ارسلت الشمس انوارها الى الاعالى وقد صب ملك النهار صهباءه فى الجام اشرب المدامة فقد نبذ منادى السحر كلمة «اشربوا» فى أجواز الايام •

- ٥١ -

بر مفرش خاك خفتگـــان می بینم
در زیر زمـــین نهفتـــگـــان می بنـــم
چند انکه به صحرای عدم می‌نگرم
نا آمـــد کان ورفتگـــان می بینـــم

* * *

اری فوق فراش الارض ناسا غرقى فى سباتهم • وارى تحت اطباق الثرى ناسا مختفين •• انا كلما نظرت الى بيداء العدم رأيت ناسا يذهبون من غير اياب •

- ٥٢ -

کس خلد وجحیم راندیدست ای دل
کو آن‌که ازان جهان‌رسیدست ای‌دل؟
امیـد وهراس مـا بچیزیست کز آن
خودنام ونشانی نه بدیدســت ای دل

* * *

يا قلب لم ير احد الخلد والجحيم• يا قلب اين الذى جاء من ذلك العالم؟ ان رجاءنا وخوفنا من شيء لم يظهر اسمه ولا رسمه •

- ٥٣ -

از آمـدن ورفتن ما سـودی کـو ؟
وزتـار امیـــد عمر ما بودی کـو ؟
در چنبر چرخ جـان چندین پاکان
میسوزد وخاك میشود دودی کـو ؟

* * *

أی نفع فی مجیئنا وذهابنا . لم تجد سدی لحمة **الامل من عمرنا ، فی** دائرة الفلك تشتعل أرواح كثير من الطيبين وتصير رمادا **فأين دخانها ؟**

- ٥٤ -

گوینـد بهشت وحور وکوثر باشـد
جوی می وشیر وشهد وشکر باشـد
یك جـام بـده بیـاد آن ای سـاقی
نقـدی زهزار نسـیه بهتر باشـــد

* * *

یقولون هناك ـ فی الآخرة ـ جنة وحور وكوثر **وفیهـا خمر ولبن وعسل** مصفی ناولنی أیها الساقی كأسا علی ذكرها فان النقد **الواحد أفضل** من الف نسیئة .

- ٥٥ -

برگیر زخود حساب اگر با خبری
کاول توچه آوردی وآخر چه بری
گویی نخورم باده که میباید مرد
میباید مرد اگر خوری یا نخوری

* * *

حاسب نفسك ان كنت واعيا لبياه ما الذى جئت به وماذا ستأخذ معك؟
تقول لا أشرب الخمر لانى سأموت يا هذا سوف تموت شربتها أو لم تشربها.

- ٥٦ -

؟

این صورت کون جمله نقشست وخیال
عارف نبود هر که نداند این حال
بنشین قدحی باده بنوش وخوش باش
فارغ شو ازین نقش خیالات محال

* * *

ان صورة هذا الكون كله نقش وخيال . ليس عارفا من لا يعلم هذا الحال . اجلس واحس قدحا من الخمر واسعد ولا تشغل نفسك بهذه النقوش والخيالات المستحيلة .

- ٥٧ -

ما خرقهٔ زهد بر سر خم كرديم
وز خاك خرابات تيمم كرديم
شايد بدر ميكدهها دريابيم
آن عمر كه در مدرسهها كم كرديم

* * *

نحن خلعنا رداء الزهد على دن الخمر • وتيممنا بتراب الحانات • لعلنا نجد فى أبوابها العمر الذى أضعناه فى المدارس •

- ٥٨ -

من بى مى ناب زيستن نتوانم
بى باده كشيد بارتن نتوانم
من بندهٔ آن دمم كه ساقى گويد
يك جام دگر بگير ومن نتوانم

* * *

لا استطيع العيش بلا خمر صافية • ولا أقدر ان احمل عبء جسدى بغيرها • انا عبد تلك اللحظة التى يقول فيها الساقى « خذ كأسا اخرى » وانا لا أقدر من شدة سكرى •

- ٥٩ -

پیری دیدم بخانهٔ خماری
گفتم نکنی زرفتگان اخباری ؟
گفتا می خور که همچو ما بسیاری
رفتند وکسی باز نیامد باری

* * *

رأيت شيخا فى دار خمار فقلت له الا تخبرنى عن الذاهبين •
قال : اشرب المدامة فان كثيرين من أمثالنا ذهبوا وما عاد أحد منهم •

- ٦٠ -

بر دار پیاله وسبوای دلجو
بر گرد بگرد سبزه زار ولب جو
کین چرخ بسی قد بتان مهرو
صد بار پیاله کرد وصد بار سبو

* * *

أيها الحبيب خذ كأسا وابريقا وتنزه حول الروض الاخضر فى جانب النهر فان هذا الفالك قد صنع من قدود الفاتنات مائة مرة كؤوسا ومائة مرة أباريق •

- ٦١ -

از گردش روز گـار بهری برگـیر
بر تخت طرب نشین بکف ساغر گیر
از طاعت ومعصیت خـدا مستغنیست
باری تو مراد خـــود زعالم بر گیر

* * *

خذ العبرة من تداول الايام واجلس على سرير الطرب وخذ كأسا بيدك • ان الله غنى عن الطاعة والمعصية فخذ فى الاقل لذتك من الحياة •

- ٦٢ - ١٠٩ ف

آن قصر كه بر چرخ همى زد پهلو
بر درگه او شـــهان نهـادندى رو
ديديم كه بر كنگره اش فاختـــــهٔ
بنشـستههمى گفت كهكوكوكـو ؟

* * *

ان القصر الذى كان يسامى الفلك كتفا الى كتف وكان الملوك يضعون على عتباته الجباه قد رأينا الفاخته على شرفاته تسجع قائلة (كوكوكو) أى (اين اين اين) •

- ٦٣ -

گرازپی شـهوت وهوا خواهی رفت
ازمن خبرت که‌بی نواخواهی رفت
بنگرچـه‌کسـی واز کجـا آمـــدهٔ
میدان که چه‌میکنی کجا خواهی رفت

* * *

ان كنت تجرى وراء شهوتك وهواك فانى اخبرك انك ستذهب بائسا يائسا انظر من انت ومن أين أتيت ؟ وماذا تعمل والى أين تذهب ؟

- ٦٤ -

سرمست به میخانه گذر کردم دوش
پیری دیدم مست وسـبوی بردوش
گفتم زخـدا شرم نداری ای پـیر
گفا کرم ازخدا ست‌می نوش‌وخموش

☆ ☆ ☆

مررت البارحة بالحانة ثملا فرأيت شيخا سكران حاملا دن خمر على متنه قلت له : ألا تستحى من الله يا شيخ فأجاب ان الكرم من الله فاشـرب واسكت .

- ٦٥ -

هین صبح دمید و دامن شب شد چاك
برخیز وصبوح کن چرایی غمنـــاك
می نوش دلا که صبح بسیار دمـــد
او روی بـــه ما کرده وما روی بخاك

* * *

سارع فقد طلع الصباح وتمزق جلباب الليل وقم باكر صبوحك • مالك مغموما اشرب الخمر يا حبيبي فان الصبح سيطلع كثيرا علينا موليا وجهه نحونا ونحن مولون وجوهنا نحو التراب •

- ٦٦ -

من می خورم وهر که چو من أهل بود
می خوردن او نزد خرد سهل بـــود
می خوردن من حق ز ازل میدانست
گر می نخورم علـم خـدا جهـل بود

* * *

أنا أشرب الخمر ويشربها كل من هو مثلي أهل لها ، فان شربه لهـا يسير عند العقل ان الله كان يعلم منذ الازل بأني سأشربها • فانا ان لم أشربها فعلمه اذا يكون جهلا • .

- ٦٧ -

گفتی که ترا عذاب خواهم فرمود
هرگز من ازین خبر هراسم نفزود
جایی که توئی عذاب نبود آنجا
وانجا که تو نیستی کجا خواهد بود ؟

* * *

تفضلت فقلت انی سوف أعذبك وأنا لم أخف قط هذا القول . فالمكان الذی أنت فیه لا یكون فیه عذاب وأین المكان الذی أنت لست فیه ؟

- ٦٨ -

جامی ومی وساقی برلب کشت
بهتر زبهشتی که خبر بودش رشت
مشنو سخن بهشت ودوزخ ازکس
که رفت بدوزخ وکه آمد زبهشت

* * *

كأس وخمرة وساق فی جنب روضة خیر من الجنة التی وعدتها . لا تسمعن من أحد حدیث الجنة والنار من ذا ذهب الی الجحیم ومن ذا جاء من الجنة ؟

- ٦٩ -

يك جام شراب صد دل ودين ارزد
يك جرعهٔ مى مملكت چين ارزد
جز بادهٔ ناب نيست در روى زمين
تلخى كه هزار بار شيرين ارزد

★ ★ ★

ان كأسا من الخمر تعدل الف قلب ودين • وان جرعة منها تساوى مملكة الصين • ليس على وجه الارض غير الخمر الصافية وهى المرة التى تفضل الحلو الف مرة •

- ٧٠ -

اى دلّ تو باسرار معمى نرسى
درنكتهٔ زيركان دانا نرسى
اينجا بمى وجام بهشتى ميساز
كاينجا كه بهشتست رسى يانرسى

★ ★ ★

ايها القلب انت لا تصل الى كشف الاسرار المعماة • ولا تفقه نكات الاذكيا • اجعل لنفسك فى هذه الدنيا جنة من الخمر والكأس فانك لا تعلم اتنالها فى تلك ام لا ؟

- ٧١ -

روزی که دومهلتست می‌خور می‌ناب
کاین عمر دوروزه برنـگردد دریاب
دانی کـه جهـان رو بخرابی دارد
تونیز شب وروز همی باش خـراب

* * *

اشـرب الخمر الصافيـة مرتين كل يوم • واعلم ان هـذا العمر القصير لا يعود اليك مرة اخرى انت تدرى ان الكون صائر الى الخراب فكن انت ايضا خرابا ليلا ونهارا •

- ٧٢ -

ای آنـکه نتیجـهٔ چهـار وهفتی
درهفت وچهـار دائـم انـدر تفتی
من خـور که هزار بار پیشت گفتم
باز آمـدنت نیسـت چورفتی رفـتی

* * *

يا من هو نتيجة أربعة عناصر وسبعة سيارات • لقد جعلت نفسك فى شغل فيها اشرب الخمر فقد قلت لك الف مرة مالك من أوبة فاذا ما ذهبت فقد ذهبت •

- ٧٣ -

اجـرام که سـاکنان این ایواننـــد
اسباب تـردد خرد منـــد اننـــد
هـان تاسـر رشتهٔ خرد گم نکنی
(کانهـــا که)مدبرند سـرگرد اننـــد

* * *

ان هذه الاجرام السماوية الماثلة فى هذا الايوان قد جعلت العقلاء حيارى مترددين . فاحذر أن تضيع رشدك فان المدبرين لهذا العالم حيارى مطرقون

- ٧٤ -

چون حاصل آدمی دراین جای دودر
جزدرد دل ودادن جان نیست دگر
خرم دل آنکه یك نفس زنـده نبود
وآسوده کسیکه خود نزاد ازمـــادر

* * *

لما لم يكن محصول الانسان من هذه الدنيا ذات البابين غير ألم القلب وزهوق الروح فالمسرور من عاش لحظة والمستريح هو الذى لم تلده امه .

- ٧٥ -

این کهنه رباطرا که عالم نامست
وآرامگه ابلق صبح وشام است
بز میست که واماندهٔ صد جمشید ست
قصریست که تکیه‌گاه صد بهرام است

★ ★ ★

هذا البلاط القديم بالعالم ومستقر الصباح الوضاء والليل الدامس مجلس ميراث لمائة جمشيد وقصر اتكأ على الارائك فيه مائة بهرام •

- ٧٦ -

١٥٢ ف

آن به که زجام باده دل شاد کنی
وزنا مده وگذشته کم یاد کنی
وین عاریتی روان زندانی‌را
یك لحظه زبند عقل آزاد کنی

★ ★ ★

حسن ان تسر قلبك بكأس المدامة وان لا تذكر كثيرا ما كان وما يكون ــ الماضي والآتي ــ وان تطلق ساعة مهجتك المستعارة السجين من قيد العقل •

- ٧٧ -

تـايـار شـراب جـانفزايم نـدهـد
صـد بوسـه فلك بدست وپايم ندهد
گوينـد كه توبه كن كه وقتش آمد
چون توبه كنم تاكه خدايم نـدهــد

* * *

ان الفلك لا يقبل يدى وقدمى مائة مرة ما لم يسقنى الحبيب صهباء مفرحة • يقولون لى تب من شربها فقد حان وقت التوبة وكيف أتوب ولم يشأ الله أن أتوب ؟

- ٧٨ -

تاخاك مرا بـه قالب آميختـه انـد
بس فتنه كه زين خاك بر انگيخته اند
من بهتـر از اين نمـى توانـم بـودن
كزبوته مرا چنـين برون ريختـه اند

* * *

كم من فتنة أثاروا من طينتى لما وضعوها فى القالب انا لا استطيع أن أكون خيرا مما أنا عليه فانهم هكذا أفرغونى من الكور •

- ٧٩ -

در دائرهٔ کامـدن ورفتن مـا اسـت
آنرا نه بدایت نه نهایت پیـد اسـت
کس می نزند دمی درین عالم راست
کاین آمدن از کجا ورفتن بکجاست

* * *

لا بداءة ولا نهاية للدائرة التى جئنا منها وسنذهب اليها • لا يستطيع أحد أن يقول من أين هذا المجىء والى أين هذا الذهاب •

- ٨٠ -

١٠٥ ن

تابتـوانی رنجـــه مگردان کســرا
برآتش خشم خویش منشـان کسـرا
گر راحت جـاودان طمع میـداری
میرنـج همیشـه ومرنجـان کسـر

* * *

لا تؤذ أحدا ما استطعت ولا تجلس احدا على نار غضبك واذا كنت تطمع فى راحة دائمة فاحتمل الاذى ولا تؤذ أحدا •

- ٨١ -

نیکی وبدی که در نهـــاد بشـــراست
شادی وغمی که در قضاء وقدر است
باچرخ مکن حواله کاندر ره عقــل
چرخ از تو هزار بار بیچاره تراست

* * *

لا تعزون الى الفلك الخير والشر اللذين هما من غريزة البشـــر ولا الفرح والغم اللذين هما من القضاء والقدر لان الفلك ـ بنظر العقل ـ أعجز منك الف مرة •

- ٨٢ -

چون حاصل آدمی در این شورستان
جز خوردن غصه نیست یاکندن جان
خردم دل آنکه از جهان بیرون شـــد
آسوده کسیکه خود نیامد بجهـــــان

* * *

اذا لم يكن ما يجتنيه الانسان فى هذه الحياة ذات الفتن غير الالم وعذاب النفس فالمسرور القلب من خرج من الحياة والمستريح من لم يرجع اليها •

- ٨٣ -

بنگر زصبا دا من گل چـاك شــده
بلبـل زجمـال گل طربنـاك شـده
در سايهٔ گل نشين كه بسيار اين گل
از خاك برآمدست ودر خاك شـده

انظر الى الصبا وقد مزقت جلباب الورد ، وقد طرب البلبل بجمال الورد . اجلس فى ظل الورد فطالما نبت هذا الورد فى التراب وعاد اليه .

- ٨٤ -

امشـب مى جـام يكمنى خواهم كرد
خودرا به دوجام مى غنى خواهم كرد
اول سه طلاق عقل ودين خواهم گفت
بس دختر رزرا به زنى خواهم كرد

* * *

سأشرب هذه الليلة مدامة فى جام يستوعب (رطلا) واغنى نفسى بجامين من الخمر . وقبل كل شيء اطلق عقلى ودينى ثلاثا ثم افتض بنت الكرم .

- ٨٥ -

توبه مکن ازمی اگرت می باشد
صد توبهٔ نادمانه درپی باشد
گل جامه دران وبلبلان نعره زنان
در وقت چنین توبه رواکی باشد ؟

* * *

اذا كنت تملك خمرا فلا تتب من شربها فان لك سعة لان تتوب مائه مرة توبة الندم ..! لقد تفتحت أكمام الورد وغردت البلابل فهل تجوز التوبة في مثل هذا الوقت ؟

- ٨٦ -

ای دل چوزمانه میکند غمنا کت
ناگه برود زتن روان پاکت
برسبزه نشین وخوش بزی روزی چند
زان پیش که سبزه برد مدازخاکت

* * *

أيها القلب قد غمك الدهر وسيفارق روحك الطيبة جسدك على غرة فاجلس على العشب الاخضر وعش رغدا بضعة أيام قبل أن ينبت العشب من ترابك .

- ٨٧ -

- ف -

چون مرده شوم به باده شـویید مرا
تلقین ز شـراب وجـام گوییـدا مرا
خواهید بـه روز حشـر یا بیـد مرا
از خـــاك در میکده جـوییـد مرا

* * *

- ع -

اغسلونی اذا مت بالصهباء ولقنونی بالخمر والجام وان شئتم ان تجدونی یوم الحشر فتحرونی فی تراب الخمر .

- ٨٨ -

افسوس که نامهٔ جـوانی طی شـــــد
وآن تازه بهار شاد مانی طی شـــد
آن مرغ طرب که نام او بود شباب
فریاد ندانـم که کی آمد کی شـــد

* * *

یا أسفا ! فقد انطوی سفر الشباب وانطـوی الربیـع الغض . آه !
لا أدری متی جاء الشباب ــ وهو ذالك الطائر الطروب ــ ومتی ذهب ؟ ؟

- ٨٩ -

ای همنفسان مرا به می قوت کنید
وین چهرهٔ کهربا چو یاقوت کنید
چون مرده شوم به می بشویید مرا
وز چوب رزم تختهٔ تابوت کنید

* * *

يا رفقتي اقيتوني بالخمر واجعلوا وجهي المصفر اصفرار الكهربا أحمر كالياقوت . واذا مت فاغسلوني بالمدامة واصنعوا تابوتي من أعواد الكرم :

- ٩٠ -

آنم که پدید گشتم از قدرت تو
پرورده شدم بناز در نعمت تو
صد سال بامتحان گنه خواهم کرد
تاجرم منست بیش یا رحمت تو

* * *

انا ذلك الذي ظهر الى عالم الوجود بقدرتك . وربي بدلال في نعمتك سوف أكثر من الذنوب مائة عام لاعلم ايما اعظم ذنوبي أم رحمتك ؟

- ٩١ -

آنهـا که زپیش رفتـه‌اند ای سـاقی
در خاك غرور خفته‌اند ای ســـاقی
روباده خور وحقیقت از من بشـــنو
باداست هر آنچه گفته اندای سـاقی

* * *

ای ساقی المدام ! اولئك الذین رحلوا قبلنا قد ناموا فی تراب الغرور ، أذهب واشرب الخمر واسمع منی الحقیقة فان کل ما قالوه لغو فی هواء .

- ٩٢ -

تا چند کنم عرضـــهٔ نادانیء خویش
بگرفت دل من از پریشانیء خویش
زنار مغانـه برمیان خـواهم بسـت
دانی زچه ؟؟ ازننك مسلمانی خویش

* * *

الی متی أعرض جهالة نفسی ضاق قلبی من هذا الشتات ارید أن أشد فی وسطی زنار المجوس أتعلم لماذا !؟ من خزی اسلامی .

- ٩٣ -

افسوس که سرمایه زکف بیرون شد
وزدست اجل بسی جگرها خون شد
کس نامد از آن جهان که پرسم ازوی
کاحوال مسافران عالم چون شد

* * *

یا أسفاه ! فقد ذهب رأس المال من أیدینا وکم من أکباد ادمتها ید المنون ، لم یرجع أحد من الآخرة ، لاسأله کیف حال الذین سافروا من الدنیا الیها .

- ٩٤ -

ای چرخ زگردش تو خورسند نیم
آزادم کن که لایق بند نیم
گرمیل تو بابیخرد ونا اهلست
من نیز چنان اهل وخرد مندنیم

* * *

أیها الفلك ! أنا غیر مسرور بدورانك أطلق سراحی فانی غیر خلیق بأن أقید فان کنت تمیل الی الحمقی والذین لیسوا أهلا للفضل فانا أیضا لست بالعاقل الکافی .

- ٩٥ -

آن قصر که جمشید در او جام گرفت
آهـو بچه کرد وروبـه آرام گرفت
بهرام که گور میگرفتی همـه عمـر
دیدی که چه گونه گور بهرام گرفت ؟

* * *

ان القصر الذى تعاطى فيه جمشيد الاقداح • قد ولدت فيـه الغزالة وأطمأن فيه الثعلب • و (بهرام) الذى كان يصيد حمار الوحش طول عمره • أرأيت كيف صاد القبر بهرام ؟

- ٩٦ -

از حادثـــهٔ جهـــان زاینـده مترس
وزهرچه رسد چونیست پاینده مپرس
این یکدمـه عمررا غنیمت میـــدان
ازرفتـه میندیش وز آینـده مترس

* * *

لا تخشى من حادث الدنيا ومن كل ما يصيبك منه لانه لا يدوم • وانتهز هذا العمر القصير • ولا تفكر فيما مضى ولا تخف من الآتى •

- ٩٧ -

٨٦ ق

هر چند گه رنك وبوی زیبا ستمرا
چون لاله رخ وچو سرو بالاست مرا
معلوم نشـد کـه در طربخانهٔ خاك
نقـاش ازل بهر چـه آراست مـرا

* * *

انی وان کان لونی بدیعا ، وعرفی ذکیا ، ومحیای کالشقیق ، وقامتی کالسروة لم یعلم لماذا زاننی النقاش الازلی فی هذه الارض دار السرور ؟

* * *

- ٩٨ -

١٤٢ ق

گل گفت به ازلقای من رویی نیست
چند ین ستم کلا بکر باری چیست
بلبـل بزبـان حـال با او میگفـت
یك روز که خندید که سالی نگریست ؟

* * *

قال الورد لا وجه انضر من وجهی ، فیا عجبا لم یجور علی کل هذا الجور عاصر الورد ؟ فأجابه البلبل بلسان الحال قائلا : من ذا الذی ضحك یوما واحدا ولم یبك عاما ؟

- ٩٩ -

رفتیم وزما زمانه آشفته بماند
با آنکه ز صد گهریکی سفته بماند
افسوس که صد هزار معنیء دقیق
از بیخردی خلق ناگفته بماند

* * *

ذهبنا . وبقی الزمان بعدنا مضطربا ولم یثقب الا جوهرة واحد من مائه وا أسفاه ! فقد بقیت مئآت الوف المعانی الدقیقة غیر مذکورة حذرا من حمق الناس .

- ١٠٠ -

(مهمل)

مهتاب بنه نور دا من شب بشگافت
می خورکه چنین دمی دگر نتوان یافت
خوش باش وبر اندیش که مهتاب بسی
اندر سر خاك یك بیك خواهد تافت

* * *

قد فلق القمر بنوره اهداب اللیل . فاشرب اذ لیس فی الوسع ان تحظی بعدها بمثل هذه اللحظة ، طب نفسا ! فان القمر سیسطع کثیرا علی حافه قبر کل واحد منا .

- ١٠١ -

باباده نشین کـه ملك محمود اینست
وزچنك شـو که لحن داود اینسـت
از آمــده ورفته دگر یــاد مکن
حالی خوش باش زآنکه مقصود اینست

* * *

اصحب الخمر ، فانها ملك محمود • واستمع الى القيثارة فانها لحن داود • لا تذكر الآتى والماضى وطب نفسا فى ساعتك التى انت فيها فذلك هو المقصود •

- ١٠٢ -

نيم

این چرخ کــه باکسی نمیگوید راز
کشته بـه ستم هزار محمود وایـاز
می خور که به کس عمر دوباره ندهند
هر کس که شد از جهـان نمی آید باز

* * *

ان هذا الفلك الذى لم يطلع احدا على اسراره • قد قتل الف « محمود واياز » عدوانا ، اشرب الصهباء انك لا تعطى العمر مرتين • والذي يفارق الحياة لا يعود اليها تارة اخرى •

- ١٠٣ -

گرمی نخوری طعنه مزن مستانرا
گردست دهد توبه کنم یزد انرا
تو فخر بدین کنی که من می نخورم
صد کار کنی که می غلامست آنرا

* * *

ان كنت لا تشرب الخمر فلا تطعن في السكارى • لو كان الي امرى لتبت الى الله • انت تفتخر بأنك لا تشرب الحميا وانت تعمل مئات اعمال اشنع منها •

- ١٠٤ -

در سر مگذار هیچ سو دای محال
می خور همه سال ساغر مالا مال
با دختر رز نشین وعیشی میکن
دختر بحرام به زمادر بحلال

* * *

لا تفكر ابدا في المحال • واشرب الصهباء كل العام باكواب مترعة • عش رغدا مع ابنة العنقود • فان لقاء البنت بحرام • خير من لقاء الام بحلال •

- ١٠٥ -

امروزکـه نوبت جـوانیء منسـت
می نوشم از انـکه کامرانیء منست
عیبش مکیندا گرچه‌تلخست خوشست
تلخست از انـکه زند کانیء منست

★ ★ ★

فی هذا الیوم الذی هو عهد صبای • اشرب الخمر لأن فیها نیل امنیتی لا تنقصوها فهی لذیذة علی مرارتها اجل ! هی مرة لانها حیاتی •

- ١٠٦ -

آمـد سحری نـدا ز میخانهٔ مـا
کی رنـد خـراباتیء دیوانهٔ مـا
بر خیزکـه پرکنیـم پیمانـه زمی
زان پیش که بر کنند پیمـانهٔ مـا

★ ★ ★

سمعت نداء فی السحر من حانتنا یقول : یا اخا الشرب المستهتر المفتون • قم لنملأ الکأس من الخمر قبل ان یملأوا کأسنا ـ ای ـ قبـل ان تدهمنا المنیة •

- ۱۰۷ -

آن جسم پیالـه بین بجان آبستن
همچـون سمنی بـارغوان آبستن
نی‌نی غلطم کـه باده از غایت لطف
آبیسـت بـاآتش روان آبسـتن

* * *

انظر الى الكأس فانها حبلى بالروح • وانها كياسمين حبل بالارجوان •
لا لا ! فقد اخطأت فى القول بل هى من شدة لطفها ماء حل فى نار ذائبة •

- ۱۰۸ -

در میکده جزبمی وضو نتوان کرد
وین نام که زشت شد نکونتوان‌کرد
می ده‌که کنون بردهٔ مستوریء مـا
بدریده جنان شد که رفو نتوان‌کرد

* * *

لا يمكن التطهر فى الحانة الا بالمدامة وهذه السمعة التى تردت لا يتيسر تحسينها عاطنيها فان ستار عفافنا قد تمزق • حتى ليستحيل أن يرفأ •

- ١٠٩ -

از آمـدنم نبـود گردون‌را سـود
وز رفتن من جمـال وجاهش نفزود
وز هیچ کسـی نیز دوگوشم نشنود
کاین آمدن ورفتنم از بهرچـه بود

* * *

ما كان للكون نفع من مجيئ • ولم يزدد من ذهابي جماله وجاهه •
ولم تسمع اذناي ايضا من احد ما الغاية من مجيئ وذهابي •

- ١١٠ -

بـرخیز وبیـا بتا برای دل مـا
حل‌کن به جمال خویشتن مشکل ما
یك کوزهٔ می بیـار تـانوش کنـم
زآن پیش که کوزه‌ها کنند از گل‌ما

* * *

قم وتعال ايها الحبيب • رعاية لقلبنا • وحل بجمالك مشكلنا • هات كوزا
من الخمر لنحسوها قبل ان يصنعوا اكوازا من طيننا •

- ١١١ -

بس خون کسان که چرخ بیباك بریخت
بس گل که برآمد زگل وباك بریخت
بر حسن وشباب ای جوان غره مشو
بس غنچهٔ ناشکفته بر خاك بریخت

* * *

طالما هدر الفلك دماء الناس وطالما نبت الورد وتناثرت أوراقه على الثرى •
أيها الفتى لا تغتر بحسنك وشبابك • فقد طالما تساقط الورد على التراب قبل ان تتفتح اكمامه •

- ١١٢ -

١١٩ ف

تاباز شناختم من این پای زدست
این چرخ فروما یه مرا دست ببست
افسوس که در حساب خواهند نهاد
عمری که مرا بی می ومعشوقه گذشت

* * *

غل الفلك النذل يدى منذ صرت افرق بين رجلى ويدى • واغماه !•
سيحسبون من عمرى زمانا مر لى بغير مدامة ولا معشوقة •

- ١١٣ -

ابر آمد وباز برسر سبزه گریست
بی بادهٔ ارغوان نمیباید زیست
امروز که این سبزه تماشا که ماست
تاسبزه خاك ما تماشا که کیست

* * *

جاء السحاب وبكى ثانية فوق العشب • فلا يجوز أن نعيش من غير مدامة ارجوانية • ان هذا العشب مسرح لانظارنا اليوم • فلمن يا ترى سيصبح عشب ترابنا مسرحا ؟

- ١١٤ -

از درس علوم جمله بگریزی به
واندر سر زلف‌یار آویزی به
زان پیش‌که روزگار خونت ریزد
توخون صراحی بقدح ریزی به

* * *

حسن ان تهرب من درس العلوم كلها • وحسن تتعلق بطرة الحبيب . وقبل ان يسفح الدهر دمك • فاسفح دم الابريق فی القدح •

- ١١٥ -

چون عهده نمی شــو دکسی فردارا
خــوش داردمی این دل پرسودا را
می نوش به ما هتاب ای ماه که مــاه
بســـیار بتــابد ونیـــابد مـــارا

* * *

لما كان الغد غير مضمون لاحد ادخل السرور على قلبك المشـغوف واشرب الخمرة في ضوء القمر لان القمر يا أيها القمر سيطلع كثيرا ولا يلقانا .

- ١١٦ -

پیش از من وتولیل ونهاری بوداست
کردنده فلك زبهر کاری بوداســـت
زنهار قـــدم بخـــاك آهســـته نهی
کآن مرد مك جشم نکاری بوداست

* * *

كان قبلي وقبلك ليل ونهار . وكان الفلك يدور من أجل غـاية برفق وخفف الوطء على التراب فانه كان حدقة عين لحبيب .

- ١١٧ -

ای چرخ فلك خرابی از كينۀ تست
بيداد گری عادت ديرينۀ تست
ای خاك اگر سينۀ تو بشگافند
بس گوهر قيمتی كه در سينۀ تست

* * *

أيها الفلك الدوار . الخراب أثر من آثار حقدك . والظلم عادتك القديمة . ويا أيتها الارض ان فتحوا صدرك وجدوا فيه كثيرا من الجواهر الثمينة .

- ١١٨ -

من باده خورم وليك مستی نكنم
الا بقدح در از دستی نكنم
دانی غرضم زمی پرستی چه بود ؟
تاهمچو تو خويشتن پرستی نكنم

* * *

انا أشرب المدامة ، ولكنی لا أعربد والى غير الكأس لا أمد يدی أتعلم ما غرضی من عبادة الخمر ؟ ذلك ان لا أعبد نفسی مثلك .

- ١١٩ -

حکمی که ازو محال باشد پرهیز
فرموده ازو کناره گیر وبگریز
من مانده میان امر ونهیشن عاجز
این قصد چنان بود که کج دار ومریز

* * *

أمرني : أن أتجنب وافر من الحكم الذي لا محيص لى فيه وقد بقيت عاجزا حيران بين أمره ونهيه فهو كمن يقول اقلب الكأس ولا تسكب ما فيها.

- ١٢٠ -

این کوزه چو من عاشق زاری بوداست
دربند سر زلف نگاری بوداست
این دسته که در گردن او میبینی
دستیست که در گردن یاری بوداست

* * *

كان هذا الكوز مثلى صبا كئيبا مفتونا بفرع مليحة • وهذه العروة التي تراها في جيده كانت يدا على عنق حبيبته •

- ١٢١ -

بر خیز ومخور غـم جهـان کذران
خوش باش دمی به شاد مانی کذران
در طبـع جهـان اکر وفایی بـودی
نوبت بتـو خـود نیامدی از دکران

* * *

انهض ولا تحزن على الدنيا الفانية . وطب نفسا واقض وقتك مسرورا لو كان الوفاء من شيمة الدنيا لما انتقلت اليك من الآخرين .

- ١٢٢ -

دارنده چـو ترکیب طبـائع آراسـت
از بهرچهه او فکندش اندر کم وکاست
کرز آنکه بد آمد صور عیب کراست
ورنیك آمد خرابی ازبهرچه خواست

* * *

لما ركب الخالق الطبائع . لماذا جعلها بين النقص والزيادة ؟ فان جاءت رديئة فالعيب عليه . وان جاءت جيدة فلماذا يخربها ؟

- ١٢٣ -

آنهـــا که بفـکر در معنی سـفتند
در ذات خـدوانـد سـخنهـا کفتند
سـر رشـتهٔ اسـرار ندا نست کسی
اول زنخی زدنـد وآخـر خفتنـد

* * *

اولئك الذين ثقبوا درر المعانی بأفكارهم تكلموا كثيرا فی ذات الباری • لم يعرف أحد منهم مبدأ الاسرار انما هرفوا أولا وناموا أخيرا •

- ١٢٤ -

آغاز روان کشتن این زرین طـاس
وانجام خرابیء چنـین نیك أسـاس
دانسته نمی شـود بمعیـار عقـول
سنجیده نمی شـــود بمقیاس قیـاس

* * *

لا يعرف بمعيار العقل ، ولا يقاس بالمقاييس مبدأ دوران هذا الطاس ـ الفلك ـ المذهب ومنتهي خراب هذا الاساس الجيد •

- ١٢٥ -

ما ئيم خريدار مى كهنه ونو
وانكاه فرو شندهٔ جنت بدو جو
كفتى كه بس ازمرك كجا خواهم رفت
مى پيش من آر وهر كجا خواهى رو

* * *

نحن نشترى كلتا المدامتين المعتقة والجديدة • ونحن الذين نبيع الفردوس بشعيرتين قلت لى :ــ الى أين أذهب بعد الموت هات لى الصهباء واذهب الى حيث تشاء •

- ١٢٦ -

اين عقل كه درراه سعادت بويد
روزى صد بار خود ترا ميكويد
درياب تو اين يكدمه فرصت كه نهٔ
ان تره كه بدروند وديكر رويد

* * *

هذا العقل الذى يسير فى طريق السعادة يقول لك كل يوم مائة مرة انتهز الفرصة فلست ذلك «الكراث» الذى اذا حصدوه نبت مرة اخرى •

- ١٢٧ -

از جرم حضيض خاك تاج اوج زحل
كردم همه مشكلات كردون راحل
بيرون جستم زبند هر مكر وحيل
هر بند كشاده شد مكر بند اجل

★ ★ ★

لقد تحللت جميع مشاكل الكائنات الموجودة بين الارض وزحل • ونجوت من عقدة كل مكر وحيلة • وقد انحلت كل عقدة فى الحياة سوى عقدة الاجل •

- ١٢٨ -

أى كل تو بروى دلربا ميمانى
اى مل تو بلعل جانفزا ميمانى
اى بخت ستيزه كار هردم بامن
بيكانه ترى وآشنا ميمانى

★ ★ ★

يا ورد انت تحاكى محيا الحسناء • ويا خمر أنت كياقوتة تبهج الروح • ويا أيها الحظ العاثر أنت فى كل وقت خصم لي ، وتظهر بمظهر الصديق •

- ١٢٩ -

پیرانه سرم عشق تو دردام کشید
ورنه زکجا دست من وجام نبید
آن توبه که عقل داد جانان بشکست
وآن جامه که صبر دوخت ایام درید

* * *

أوقعنى غرامك فى شركه ورأسى مشتعل بالشيب والا فما أنا وكأس الحميا لقد عبث الحبيب بالتوبة التى وهبها لي العقل ومزقت الايام ذلك القميص الذى خاطه الصبر •

- ١٣٠ -

صیاد ازل که دانه در دام نهاد
صیدی بکرفت وآدمش نام نهاد
هرنیك وبدی که میرود در عالم
او میکند وبهانه بر عام نهاد

* * *

وضع صياد الازل حبة فى الفخ واصطاد • وسمى صيده آدم • انه هو الذى يعمل كل قبيح وحسن فى العالم • ويحمل الناس تبعة ذلك •

- ١٣١ -

فــردا علم نفــاق طی خــواهم کرد
باموی سفید قصــد می خواهم کرد
پیمــانهٔ عمر من بـــه هفتــاد رســید
این دم نکنم نشاط کی خواهم کرد

★ ★ ★

سأطوى غدا راية النفاق • وسأقصد الخمر ورأسى مشتعل بالشــيب
بلغت من العمر سبعين عاما فاذا لم انشط الآن للطرب فمتى أعمل ذلك ؟

- ١٣٢ -

هرذره که در روی زمینی بودســت
خورشید رخی زهره جبینی بودست
گرد ازرخ آســتین باآزرم فشـــان
کان هم رخ وزلف نازنینی بودســت

★ ★ ★

ان كل ذرة على وجه الثرى هى من وجه حسناء زهراء الجبين • يا هذا انفض الغبار من أردانك برفق وأدب فانه كان أيضا وجــه وقذالة حسناء اخرى •

- ١٣٣ -

برجه برجه زجامه خراب ای ساقی
درده درده شراب ناب ای ساقی
زآن بیش که از کاسهٔ سر کوزه کنند
ازکوزه به کاسه کن شراب ای ساقی

* * *

يا أيها الساقى قم من فراش النوم وناولنى خمرا رائقة وقبل أن يصنعوا من جماجمنا أكوازا فاسكب الخمر من الكوز فى الكأس واسقنا يا ساقى •

- ١٣٤ -

تاظن نبری که از جهان میترسم
وزمردن وزرفتن جان میترسم
مردن چو حقیقتیست زان باکم نیست
چون نیك نزیستم از ان میترسم

* * *

لا تظنن انى أخشى الدنيا أو أخاف الموت وفراق الروح • الموت حقيقة فلا أعبأ به • ولكننى أخشى أن لا أكون قد عشت سعيدا •

- ١٣٥ -

عالم همـــه محنتست وايام غم است
كردون همه آفتست وكيتى ستم است
فى الجملة چو دركار جهـان مينكرم
آسوده كسى نيست وكرهست كم است

* * *

العالم كله محنة والايام غم • والفلك كله آفة والدنيا ظلم • انى أنظر الى أعمال الحياة فلا أجد فيها مستريحين سعداء وان وجدوا فهم قليل •

- ١٣٦ -

خوش باش كه عالم كذران خواهد بود
جان درپى تن نعره زنان خواهد بود
اين كاسـۀ سـرها كه توبينى فـردا
زير لكد كوزه كران خواهـد بـود

* * *

اسعد فان الدنيا ستنقضى وسوف تنوح الروح بعد الجسد • وهـــذه الجماجم التى تراها الآن • ستطأها أقدام الكوازين غدا •

- ١٣٧ -

چندين غم مال وحسرت دنيا چيست
هر كز ديدى كسى كه جاويد بزيست
اين يك دو نفس درتن تو عاريتيست
بـا عـاريتى عاريتى بايـــد زيســـت

* * *

لم هذا الغم من أجل المال . ولم هذه الحسرات من أجل **الدنياه أرأيت أحدا خلدت له** الحياة ؟ هذه انفاسك فى جسمك عارية . **فعش مع الحيـــاة العارية كالعارية** .

- ١٣٨ -

ساقى قدحى كه كار عالم نفسيست
كرشادى ازويك نفس آن نيز بسيست
خوش باش بهرچه بيشت آيدكه جهان
هر كز نشود چنانكه دلخواه كسيست

* * *

أيها الساقى عاطنى كأسا فالعالم « نفس » وحسب **الانسان من السرور نفس واحد أيضا** . طب نفسا من كل ما تلاقيه فى **الحياة لان الحياة لن تكون على وفق رغبة** أحد .

- ١٣٩ -

آبادیء میخـانه ومی خوردن ماسـت
خون دو هزار توبه در کردن ماست
کرمن نکنم کنـاه رحمت چـــه کند
آرایش رحمت ازکنه کردن ماسـت

* * *

تعمر **الحانة** بشربنا الخمر وفی اعناقنا دم الفی توبة • انا ان لم اذنب • **فما** تصنع الرحمة ؟ انما الرحمة تزدان بآثامنا •

- ١٤٠ -

هر که که طلوع صبح ازرق باشـد
باید که بکف جـــام مروق باشـــد
کوینـد بافـواه کـه می تلـخ بـود
باید که بکف جـــام مـروق باشـد

* * *

کلما انفلق الصباح وجب أن یکون فی الکف کأس **خمر مروقة** • **یقولون** ان **الخمر** مرة فی الفم اذا یجب ان تکون الخمرة هی **الحق علی کل** حـال •

- ١٤١ -

آنان که در آمدند ودر جوش شدند
آشفتهٔ ناز وطرب ونوش شدند
خوردند پیالهٔ ومدهوش شدند
در خواب عدم جمله هم آغوش شدند

* * *

اولئك الذين ظهروا الى الوجود . وجاشوا . قد شغفوا بالشرب والغنج والدلال وقد شربوا كأسا ودهشوا ثم احتضن بعضهم بعضا فى نوم العدم .

- ١٤٢ -

می خور که بزیر گل بسی خواهی خفت
بی مونس وبی حریف وبی همدم وجفت
زنهار به کس مگو تواین راز نهفت
هر لاله که پژمرده نخواهد بشکفت

* * *

اشرب الحميا انك سترقد طويلا تحت الثرى حيث لا أنيس ولا صديق ولا رفيق ولا زوج احذر أن تفشى هذا السر لاحد ـ الزهرة الذابلة لا تتفتح أى ـ لا يعود اليها زهوها ورونقها ـ

- ١٤٣ -

در دهر هر آنکه نیم نانی دارد
وزبهر نشست آشیانی دارد
نه خادم کس بود نه مخدوم کسی
کوشاد بزی که خوش جهانی دارد

* * *

من يملك من دنياه نصف رغيف وعشا حقيرا لسكناه لا يكن خادما ولا مخدوما فليعش سعيدا فان عيشه رغد .

- ١٤٤

زآن پیش که از زمانه تابی بخوریم
بایکد کر امروز شرابی بخوریم
کاین چرخ فلك به وقت رفتن ما
چندان ندهد امان که آبی بخوریم

✡ ✡ ✡

قبل ان يصيبنا شواظ الزمان تعالوا نشرب الخمر معا فان هذا الفلك الدوار ساعة ارتحالنا لا يمهلنا ان نشرب جرعة من الماء .

- ١٤٥ -

ساقی گل وسبزه بس طربناك شدست
دریاب که هفتهٔ دگر خاك شدست
می نوش وگلی بچین که تادر نگری
گل خاك شده است وسبزه خاشاك شدست

* * *

أيها الساقى ان الزهر والعشب فى طرب كثير انتبه فسيكونان ترابا بعد اسبوع أشرب الصهباء واقطف الورد ففى طرفة عين يستحيل الورد ترابا والعشب غثاء احوى •

- ١٤٦ -

چندین غم بیهوده مخور شاد بزی
واندره بیداد تو باداد بزی
چون آخر کار این جهان نیستی است
انکار که نیستی وآزاد بزی

* * *

لا تحزن فالحزن عبث وعش فرحا وفى طريق الظلم سر عادلا لما كانت نهاية الحياة هى العدم • فاحسب انك لم تكن • وعش حرا •

- ١٤٧ -

این یك دوسه روزه نوبت عمر گذشت
چون آب بجو ببار وچون باد بدشت
هر گز غم دو روزه مرایاد نگشت
روزی که نیامدست وروزی که گذشت

* * *

ذهبت أيام العمر القليلة كالماء فى الوادى أو الريح فى البيداء • انـــا لا أغتم ليومين من الايام اليوم الذى لما يأت واليوم الذى مضى •

- ١٤٨ -

چون مرده شوم بـه باده شوييد مرا
تلقـين زشـراب وجـام كوييد مرا
خواهيـد به روز حشـر يابيـد مرا
ازخـاك در ميـكده جـوئيد مـرا

* * *

اذا مت فاغسلونى بالخمر • ولقنونى بالشراب والجام • وان اردتم أن تلقونى يوم الحشر ، ابحثوا عنى فى تراب الحانة •

- ١٤٩ -

تاچنـــد زمســجد ونمـــاز وروزه
درمیکده‌ها مست شــو ار دریــوزه
خیام ! بخور باده که این خــاك تــرا
گه جام کند ، وگه سبو ، گه‌کوزه •

* * *

حتی م تشغل نفسك فی المسجد والصلاة والصوم • **اسكر فی الحانات** **ولو بالشحاذة** • یا خیام ! اشرب الخمر فسیجعلون من **بدنك هذا مرة جاما ومرة دنا ومرة كوزا** •

- ١٥٠ -

می خوردن من نه‌ازبرای طرب است
نی بهر فساد وترك دین **وادب است**
خواهــم که بیخودی بر آرم **نفســی**
می‌خوردن‌ومست بودنم زین‌سبب‌است

* * *

انی لا اشرب الخمر للطرب • ولا للفساد وترك **الدین والادب • انی** **ارید** ان اتنفس الصعداء وانا ذاهل عن نفسی • فلهذا اشرب **الخمر واثمل** •

- ١٥١ -

از آمـــدن بهـــار واز رفـــتن دی
أوراق وجـــود مـــاهمی گـــردد طـــی
می‌خور، مخوراندوه که گفتست حکیم
غمهای جهان جو زهر وتریاقش می

★ ★ ★

بمجیء الربیع وذهابه تنطوی أوراق وجودنا طیـا • اشـرب الخمر ولا تبتئس فقد قال الحکیم غموم الدنیا سموم ودریاقها الخمر •

- ١٥٢ -

دی کـــوزه گری بدیدم اندر بازار
بر پـــاره گلی لـــگد همی زد بســـیار
وآن گل بزبان حـــال باوی میگفت
من همچو تو بوده ام مرا نیکـــو دار

★ ★ ★

رأیت أمس خزافا فی السوق یرکل قطعة من الطین وکان لسان حالها یقول للخزاف لقد کنت یا هذا مثلك فعاملنی بالحسنی •

- ١٥٣ -

ای بی خبر از کار جهـان هیـچ نـهٔ
بنیـــاد به باداسـت از آن هیچ نـهٔ
شـد حد وجود درمیـــان دو عـدم
أطـراف تو هیچ و درمیـان هیچ نـهٔ

* * *

یا من لا علم له بشؤون الدنیـا أنت عدم « لاشیء » **لقد قام أساسك** على الهواء فأنت عدم « لا شیء » واذ صار حد وجودك **بين العدمين فطرفاك** عدم وأنت بين ذلك عدم « لا شیء » •

- ١٥٤ -

ای نیـك نـکرده وبدیهـا کرده
وانگـاه بلطـف حـق تولا کـــرده
بر عفـو مکن تکیـه که هرکز نبـود
ناکرده چو کرده کرده چون ناکرده

* * *

یا من لم یأت بحسنة وأتى بالسیئات متكلا على لطف **الحق لا تتكل على** عفو الله فلیس عنده البریء كالآثم ولا الآثم كالبریء •

- ١٥٥ -

ای دیده اگر کور نـهٔ گـور ببـین
وین عالـم پر فتنه وپر شـور ببـین
شاهان وسران وسـروران زیر گلند
روهـای چومـه در دهن مور ببـین

★ ★ ★

أيتها العين ان لم تكونى عمياء فانظرى الى القبر ، وانظرى الى هـذا العالم المفعم بالفتن والشغب ثم انظرى الى الملوك والاعيـان والامـاثل تحت سلطان عاهر والوجوه التى هى كالقمر فى أفواه النمل .

- ١٥٦ -

بر چرخ فلك هیچ کسی چیر نشـــد
وزخـوردن آدمی زمـین سـیر نشـد
مغـرور بدانی که نخـوردسـت ترا
تعجیل مکن هم بخورد دیر نشـــد

★ ★ ★

لم يغلب أى انسان (يتحدى) الفلك الدوار ، لم تشبع بطن الارض من أكل بنى الانسان . أنت مغرور لانها لم تأكلك فلا تعجل فانها لا تلبث أن تأكلك .

- ١٥٧ -

خالق توئی ومراچنان ساختهٔ
هستم بمی وترانه دلباختهٔ
چون روز ازل مرا چنین ساختهٔ
ازبهرچه در دوزخم انداختهٔ

* * *

أنت الخالق وعلى هذه الشاكلة خلقتنى وقد صرت مفتونا بالخمرة والنغم . واذ أنت أوجدتنى على هذا المثال منذ الازل فلاى شىء قذفتنى بالنار .

- ١٥٨ -

چون عمر زياده كردد از شصت منه
هر گه قدم زنى بجزمست منه
زان پيش كه كاسهٔ سرت كوزه كنند
توكوزه زدوش وكاسه از دست منه

* * *

عند اجتياز عمرك الستين لا تكن الا سكران فى كل مكان تضع فيه قدمك ، وقبل أن يجعلوا من كأس علوتك كوزا فلا تضع الكوز عن متنك ولا الكأس من يدك .

١٥٩

یا رب بدل اسیر من رحمت کن
برسینهٔ غم پذیر من رحمت کن
برپای خرابات رو من بخشای
بر دست پیاله گیر من رحمت کن

* * *

یا الٰهی ارحم قلبی الکسیر وصدری الآهل بالغم ورجلی التی تسعی الی الحانات ویدی التی تقبض علی کأس الحمیا •

١٦٠

از منزل کفر تابدین یك نفس است
وزعالم شك تا بیقین یك نفس است
این یکنفس عزیزرا خوش میدار
چون‌حاصل‌عمر ما همین یکنفس است

* * *

من منزل الکفر الی منزل الدین نفس واحد ، ومن عالم الشك الی عالم الیقین نفس واحد • ادخل السرور الی هذا النفس العزیز فان محصول عمرنا هذا النفس فقط •

١٦١

برخیز وبده باده چه‌جای‌سخن است
کامشب دهن تنك تو روزیء منست
مارا چورخ خویش می گلگون ده
کاین توبهٔ من‌چوزلف توپرشکن‌است

* * *

قم عاطنيها اذ لا محل للكلام ، ان فمك الصغير فى هذه الليلة نعمتى المقدرة لى فاسقنى مدامة وردية كمحياك المورد فان توبتى واهنة كسوالفك المتكسرة .

١٦٢

در راه خرد بجز خردرا مپسند
چون هست رفیق نیك بدرا مپسند
خواهی که همه‌جهان ترا بپسندند
میباش بخوش دلی وخودرا مپسند

* * *

ليكن اعجابك بالعقل فى طريق العقل ، واذا حصل لك صديق طيب السريرة فلا تلتفت الى الرذيل . اتريد ان يجمع الناس على الاعجاب بك . كن طيّب القلب ولا تعجب بنفسك .

١٦٣

یك دست بمصحفیم ویك دست بجام
گـه مردحـلالیم وگهی مرد حرام
مـائیم دراین گنبـد فـیروزهٔ جـام
نه کافر مطلـق نـه مسـلمان تمـام

* * *

بيد مصحف وبيد كأس ، مرة نأتى بالحلال ومرة نأتى بالحرام ، لسنا تحت هذه القبة الفيروزجية بالكافرين على الاطلاق ولا بالمسلمين على التمام.

١٦٤

یـا رب من اگر گنـاه بی حد کردم
برجـان وجوانی وتن خـود کردم
چـون برکرمت وثـوق کـلی دارم
برگشـتم وتوبه کردم وبـد کردم

* * *

يا الٰهى أنا ان أتيت خطيئة لا حد لها فقد جنيت على روحى وشبابى وجسمى ، واذ أنا على ثقة بكرمك فقد انبت وتبت وما أحسبنى أصبت .

١٦٥

گرز انـكه بدست آيد ازمی دومنی
می خور تو بهر محفل وهر انجمنی
كانكس كه چنان كرد فراغت دارد
از سبلت چون تويی وريش چومنی

* * *

اذا حصلت على منّين من الخمر فاحس الخمر فی كل محفل وندی ، ومن عمل ذلك كان فی غنی عن شاربك ولحيتی .

١٦٦

درجستن جـام جم جهـان پيموديم
روزی ننشـستيم وشـبی نغنوديـم
زاستاذ چو وصف جام جم بشنوديم
خود جام جهان نمای جـم ميبوديم

* * *

لقد طوفنا فی الدنيا نتحری عن « جام جم » ، لم نهدأ يوما ولم ننم ليلة وعندما سمعنا من الاستاذ وصف « جام جم » وجدناه فی أنفسنا .

١٦٧

دانی که سپیده دم خروس سحری
هر لحظه چرا همی کند نوحه گری
یعنی کــه نمودند در آیینه صبح
گز عمر شبی گذ شت وتو بیخبری

* * *

أتدری لمَ ینوح دیك الصباح فی کل لحظة ؟ انه یعنی انك اُریتَ فی مرآت الصباح لیلة مضت من عمرك وأنت فی غفلة من ذلك .

١٦٨

ایوای برآن دل‌که دراوسوزی نیست
سودا زدهٔ مهر دل افروزی نیست
روزی که توبی باده بسر خواهی برد
ضایع تر از آن‌روز ترا روزی نیست

* * *

ویلاه للفؤاد الذی لیس فیه حرقة ولا بمصاب بحب حسناء فاتنة ، ان یوما یمر علیك من غیر صهباء لا یضاهیه یوم ضائع لك .

١٦٩

گر باده خوری تو باخرد مندان خور
یا با صنمی لاله رخی خندان خور
بسیار مخور فاش مکن ورد مساز
اندك خور وگه‌گاه خور وپنهان خور

* * *

اذا شربت الخمر فاشربها مع العقلاء،أو مع صنم وردى المحيا ضاحك الثغر . لا تشرب كثيرا ، لا تجهر بشربها . ولا تدمن عليها ، اشرب قليلا ، وبين آونة واخرى ، وفى الخفاء .

١٧٠

آن قوم که سجاده پر ستند خرند
زیراکه بزیر بار سالوس درند
وین ازهمه طرفه ترکه در پردهٔ زهد
اسلام فروشند وزکافر بترند

* * *

حمير اولئك الذين يعبدون « السجادة » لانهم يرزحون تحت أثقال الرياء وأطرف من هذا وذاك انهم يبيعون الاسلام متسترين بستار الزهد وهم أسوأ من الكفار .

١٧١

جاوید نیم چـو اندرین دهر مقیـم
بس بی می ومعشوق خطایست عظیم
تاکی ز قدیم ومحدث ای مرد سلیم
چون من رفتم چه محدث چه قدیم

* * *

أنا لست خالدا فی هذا الدهر ، فمن الخطأ أن أعيش من غير خمر وحبيب ، حتى م تكثر القول عن المحدث والقديم أيها العاقل فاذا انا انتهيت فسواء لدى الحديث والقديم •

١٧٢

ای پـیر خردمند بگا هز بـر خیز
وآن کودك خـاك بیزرا بنـگر تیز
پندش ده وگو نرم نرمـك می بیز
مغز سر « کیقباد » وچشم « پرویز »

* * *

أيهـا الشيخ العاقـل قم مبكرا وانظر الى ذلك الصبى الذى ينخـل التراب ، انصحه وقل له ينخل التراب برفق ولطـف فانـه مـخ رأس « كيقباد » وعيون « پرويز » •

١٧٣

از باده شود تکبّر از سـرهـا کم
وزباده شـود کشـاده پنـد محکم
ابلیس اگـر زباده خـوردی یکدم
کردی دو هزار سـجده پیش آدم

* * *

الحميّا تخضل شوكة الكبرياء من الرؤوس ، وبها تنحل عقدة الحياة المحكمة ، ولو أن ابليس احتسى منها جرعة لسجد لآدم الفى مرة •

١٧٤

چون آگهی ایدو ست زهر اسراری
چندین چه خوری بیهوده تیمـاری
چـون می نرود باختیـارت کـاری
خوش‌باش درین دمی که هستی باری

* * *

ايها الحبيب ! لمّا كنت مطلعا على كل سر فلم تغنم بلا طائل وما دامت الامور جارية على غير اختيارك فطب نفسا بهذه الهنيهة التى أنت فيها •

۱۷۵

چون نیست دراین زمانه سودی زخرد
جز بیخرد از زمانه برمی نخـورد
پیش آر از آن کـــه خردم راببرد
باشد که زمانــه ســوی ما بهنــگرد

★ ★ ★

اذ لم يكن ربح للعقل فى هذا الزمان ، فلا يربح الا من كان بلا عقل، عاطنى من تلك التى تذهب بالعقل فلعل الزمان ينظر الينا باحسان •

۱۷۶

خوش آنکه دراین زمانه آزاده بزیست
خرسند بهر چیز که خدا داده بزیست
وین یکدم عمر را غنیمت بشــمرد
آزاده وبــاســـاده وبابــاده بزیســت

★ ★ ★

هنيئاً لمن عاش فى هذه الحياة حرّا جذلان بما قسمه الله له ومن عد هذا العمر القصير غنيمة وعاش حرا مع الحبيب والخمر •

١٧٧

ای دوست غم جهان بیهوده مخـور
بیهوده غم جهان فرسـوده مخـور
چون بود گذ شت ونیست نابود پدید
خوش باد وغم بوده ونابوده مخـور

* * *

یا صدیقی ! لا تحمل روحك هم الدنیا من غیر جدوی ، ولا تغتم لهذه الدنیا الواهنة بلا طائل ، ما مضی فات وما لم یمض لم یأت بعد ، طب نفسا ولا تغتم لما کان ولا تکترث لما لم یکن .

١٧٨

آنراکه وقوفست بر أحوال جهـــان
شـادی وغم ورنج بروشـد آسـان
چون نیك وبد جهان بسر خواهد شد
خواهی همه دردباش وخواهی درمان

* * *

هـان لدی المطلع عـلی أحوال الحیاة السـرور والغم والالم ، ومـا دام لنعمة الدنیا وکربها نهایة فسیان الداء والدواء .

١٧٩

مرغی دیدم نشسته بربارهٔ طوس .
درچنگ گرفته کلهٔ کیکاووس
باکله همی گفت که افسوس افسوس
کو بانك جرسها وکجا نالهٔ کوس

* * *

رأيت طائرا على قلعة « طوس » وفى مخالبه جمجمة « كيكاؤوس »
وهو يقول للجمجمة يا أسفا يا أسفا أين أصوات الاجراس ورنين الكوسات .

١٨٠

پاك از عدم آمديم وناپاك شديم
آسوده در آمديم وغمناك شديم
بوديم زآب ديده درآتش دل
داديم بباد عمر وبرباد شديم

* * *

جئنا من العدم « نقيين ، بريئين » فصرنا آثمين ملوثين جئنا الى الوجود مسرورين ـ مطمئنين ـ فصرنا مغمومين ، كنا كدموع العين المنسبكة على نار الفؤاد فذهب عمرنا هباء وصرنا فى التراب .

١٨١

این چرخ فلك كه مادراو حیرانیم
فانوس خیال ازو مثالی دانیم
خورشید چراغدان وعالم فانوس
ماچون صوریم واندرو گردانیم

* * *

ان هذا الفلك الدوّار الذی نحن فیه حیاری مثل الفانوس السحری فالشمس مصباح والعالم فانوس ونحن صور تدور فیه •

١٨٢

باتو بخرابات اگر گویم راز
به زانك كنم بی تو بمحراب نماز
ای أول وآخر وجزتو همه هیچ
خواهی تومرا بسوز وخواهی بنواز

* * *

یا الٰهی انه لا فضل عندی ان افضی لك بما اكنه وأنا فی حانة الخمارین من أن اصلی لك بالمحراب ولست معك ، یا أیها الاول والآخر ومن سواك (عدم) ان شئت فاحرقنی وان شئت فالطف بی •

١٨٣

شیخی بزن فاحشه گفتا مستی
هر لحظه بدام دیکری پابستی
گفتا شیخا هر آنچه گویی هستم
أما تو چنانچه مینمائی هستی ؟

* * *

قال شيخ لمومس انت سكرى وفى كل لحظة تتعلقين بشخص ، فقالت أيها الشيخ ان الذى قلته فيّ صحيح ، لكنك أأنت أنت كما تظهر للناس •

١٨٤

اسرار جهان چنانکه در دفتر ماست
گفتن نتوان که آن وبال سرماست
چون نیست دراین مردم نادان اهلی
نتوان گفتن هرآنچه در خاطر ماست

* * *

لا نستطيع أن نفضى بأسرار الحياة لان فى ذلك وبالا على رؤسنا واذ لا نجد أهلا بين هؤلاء الناس الجهلاء فلا نستطيع أن نصرح بما يدور فى خلدنا •

١٨٥

ای رفته وباز آمده (بل هم) گشته
نامت زمیان نامها گم گشته
ناخن همه جمع آمده وسم گشته
ریش ازپس کون در آمده دم گشته

* * *

يا من ذهب وعاد مرة اخرى وصار (بل هم كالانعام أو أضل سبيلا) لقد ضاع اسمك بين الاسماء واجتمعت أضافيرك وصارت حوافر وظهرت لحيتك فى عجزك ذيلا .

١٨٦

بشنو زمن ای زبدهٔ یاران کهن
اندیشه مکن زین فلك بی سروبن
برگوشهٔ عرصهٔ قناعت بنشین
بازیچهٔ چرخ را تماشا میکن

* * *

انصت الي يا خالصة الاحباء القدامى ، لا تفكر فى هذا الفلك الذى لا بداية ولا نهاية له ، اعتزل فى زاوية فى عرصة القناعة فطالع العوبة الفلك متفرجا .

١٨٧

خواهی که پسندیدهٔ ایام شوی
مقبول قبول خاصه وعام شوی
اندر پی مؤمن وجهود وترسا
بدگوی مباش تا نکو نام شوی

★ ★ ★

أتريد أن تكون الرجل المتميز المرموق المقبول لدى الخاصة والعامة ؟ لا تسمع المؤمن ولا اليهودى ولا النصرانى الرفث من القول تكن طيب الذكر حسن السمعة ـ جيد الاسم .

١٨٨

اکنون که زند هزار دستان دستان
جز بادهٔ لعل از کف مستان مستان
برخیز وبیاکه گل بشادی بشکفت
روزی دوسه دادخود زبستان بستان

✡ ✡ ✡

الآن وقد غرد البلبل هزجا بعد هزج ، فلا تتناول من السكارى الا الخمر الوردية ، تعال فان براعم الورد قد تفتحت جذلى وخذ نصيبك من البستان يومين أو ثلاثة .

١٨٩

لب بر لب كوزه بردم از غايت آز
تا زو طلبم واسطهٔ عمر دراز
لب بر لب من نهاد وپنهان ميگفت
مى خور كه بدين جهان نمى آيى باز

* * *

وضعت شفتى على شفة الكوز لشدة حرصى لكى اطلب منه العمر الطويل فوضع شفته على شفتى وقال لي بالخفاء احسس الخمر فانك لن ترجع الى الدنيا مرة اخرى .

١٩٠

اى واقف اسرار ضمير همه كس
در حالت عجز دست گير همه كس
يا رب تو مرا توبه ده وعذر پذير
أى توبه‌ده وعذر پذير همه كس

* * *

يا الٰهى المطلع على سر كل أحد ويا من يقيل عثرة الساقط عند عجزه. امنحنى يا الـهى عفوك ومغفرتك يامن هو التواب الغافر للذنوب .

١٩١

آنروزکـــه نبـــودی شـراب پاکم
زهـــراست بکامم اربود تریاکـــم
زهـــراست غم کیتی وتریاکش می
چون می خورمی ززهـر نبود پاکم

★ ★ ★

ان اليوم الذى ليس لى فيه شراب مروّق ، فالسم فى فمى ولو كان درياقاً ، ان همّ الحياة سمٌّ ودرياقها الخمر فاذا ما شربتها فلا ابالي بسمها •

١٩٢

گـردون ززمـــین هیچ گلی برنارد
تانشکنـــد وبـــاز بگل نسپارد
گـر ابر چـــو آب خاك را بردارد
تا حشر همه خـون عـــزیزان بارد

★ ★ ★

ما رفع الفلك طينةً من الارض الا كسرها واودعها التراب مـــرة اخرى ، ولو ان السحاب حمل ماء الارض لا مطـــر الى يوم الحشر دم الأعـــزة •

١٩٣

جانها همه آب گشت ودلها همه خون
تاچیست حقیقت پس پرده درون
ای با علمت خرد رد وگردون دون
ازتو دوجهان پر وتوازهر دو برون

* * *

ذابت النفوس ودميت الافئدة لمعرفة حقيقة ما وراء الستار يامن فی جنب علمه العقل متقهقر والسماء منخفضة لقد امتلأ بك الخافقان وانت خارج منهما •

١٩٤

شرمت نايد ازين تباهی كردن
زين ترك اوامر ونواهی كردن
گيرم كه سراسر جهان ملك توشد
جز آنكه رهاكنی چه خواهی كردن

* * *

ألا تستحی من هذا الطيش والعبث بالأوامر والنواهی ، هب ان الدنيا صارت بأجمعها ملك يدك افتستطيع فی النهاية ان لا تتركها •

١٩٥

در دائرهٔ وجـــود دیر آمـــده ایم
وزپایـهٔ مـــردمی بزیر آمـــده ایم
چـــون عمـــر نه‌برمراد ما میگذرد
ای کاش سر آمدی که سیر آمده ایم

★ ★ ★

أتينا الى دائرة الوجود (الحياة) متأخرين وانحططنا من مرتبة البشرية وحيث ان العمر لا يمر وفق رغبتنا فيا ليته قد انقضى فقد مللناه (سئمناه) •

١٩٦

ای آن‌که توئی خلاصهٔ کون ومکان
بگـذار دمی وسوسـهٔ سـود وزیان
یکجـــام می از ســاقیء باقی بستان
تاباز رهی ازغم این هـــر دوجهان

★ ★ ★

يامن هو خلاصة الكون والمكان دع عنـك وسوسة الربح والخسار خذ جاماً من يد الساقي واشرب لكي تكون في نجـــوة من هم الدنيـــا والآخرة •

۱۹۷

گو نید مرا کهمی توکمتر خور ازین
آخر بچه عـــذر برنداری سرازین
عـذرم رخ یار وبادهٔ صحبدم اسـت
انصاف بده چه عذر روشنتر ازین

* * *

یقولون لي اقلل من شرب الخمر ، ثم ما عذرك علىالاستهتار بها بحيث لا ترفع رأسك عنها . فأجبت عذرى محيا الحبيب ومدامـــه الصبوح ، فانصف ياصاح ؟ فاى عذرٍ اوضح من هذا .

۱۹۸

نقشیست کـه بروجود ماریختـــهٔ
صـــد بو العجبی زمـابر انکیختـهٔ
من زان بـــه ازین نیتموانم بودن
کزپوتـه مـرا چنین فرو ریختـــهٔ

* * *

ان هذه السمات التى صبيتها على وجودنا اثارت منا العجائب والغرائب ليس في امكاني ان اكون احسن مني فمن الكور افرغوني على هذه الشاكلة

١٩٩

چون عشق ازل بود مرا انشا کـرد
بر من زنخست درس عشق املا کرد
وانگاه قراضـهٔ زر قلب مـــرا
مفتاح در خـــزائن معنـــا کـــرد

* * *

عندما انشأني العشق الازلي انشاءاً فان اول درس املاه علي هـو « العشق » ومن ثم صنع من قراضة ذهب قلبي الذهبي مفتاحا لباب خزائن المعاني .

٢٠٠

یکچنـد زکـــود کی باستاد شدیم
یکچند باستا دیء خـود شاد شدیم
پایان سخن شنو که ماراچـــه رسید
ازخاك در آمـــدیم وبرباد شـدیم

* * *

ذهبنا في عهد طفولتنا مدة الى الاستاذ وسررنا اياماً بعلمنا ، ولـكن اسمع ما حل بنا في النهاية . لقد جئنا من التراب ثم صرنا هباءً تـذروه الرياح .

مقام الخيام في الاداب الحديثة

الرباعيات فى اللغات الاجنبية

لم يترك عمر الخيام بعده من الآثار غير رباعيـــاته وبضع رسائل فى الفلسفة والطبيعيات والجبر والكيمياء • وقد وقف المتأخرون على رباعياته فوجدوا فيها من الحلاوة والروعة وبعد التفكير ما اثار فى نفوسهم الاعجاب الشديد بها فافتتنوا بها اى افتتان وتهافتوا على ترجمتها الى اللغات نثرا ونظما، واستظهروها وتمثلوها فى مجالسهم وانديتهم والذين تولوا الاشادة بذكر عمر الخيام ورباعياته واذاعة صيته هم جماعة من اعلام المستشرقين الذين يعود اليهم الفضل فى بعث اسمه واعلاء شأنه ولولا هؤلاء الافاضل لبقي الخيام خامل الذكر مجهولا لا ذكر له عند الناس • ولست اريد ان ابحث عن السبب الذى ساق هؤلاء الى الاعتناء والرغبة فيها وانما يكفيني ان اقول ان المعانى الجليلة التى تضمنتها الرباعيات صادفت هـــــوى فى القلوب على اختلاف المشارب ولأمت الاذواق والطباع فليس فى الرباعيات تلك المسحة الشعرية الآرية والخيال الوسيع وانما تجلى فيها الذوق الانسانى العام فكان الخيام كمن ترجم عن احساس النـــاس وعبـــر عن شعورهم وشكوكهم وتخيلاتهم وآمالهم وآلامهم وباح بمكنوناتهم ودخائلهم •

هذا هو السر الذى بعث الميل اليه فى نفوس الناس وها نحن اولاء نذكر اسماء الرجال الذين عنوا برباعياته •

اول من عرف الخيـــام من الفرنجة العـــلامة توماس هـــايد Thomas Hyde استاذ اللغتين العربية والعبرانية فى جامعة اكسفورد

ومؤلف تاريخ اديان البرثيين والميديين وقد بحث فى شعر عمر الخيام فى مؤلفه الذى ظهر فى سنة ١٧٠٠ م ٠

وفى سنة ١٨١٨ م ترجم المستشرق النمساوى هامر برغستل Hammar Purgstal خمسا وعشرين رباعية ونشره فى كتابه تأريخ الدولة العثمانية مدعياً ان هذه الرباعيات مخالفة للدين الاسلامى ٠

وفى سنة ١٨٥٧ م ترجم المستشرق غرسن دوتاسى Gorcin de Tassey عشر رباعيات ٠

وفى القرن التاسع عشر ترجم المستشرق السير كور ازلي Gore Ouseley رباعيتين وكان سفيرا فى طهران وتوفى سنة ١٨٤٤ م ٠

وفى سنة ١٨٩٨ ترجم المستشرق ادور هيرن Edward Haren الرباعيات الى الانكليزية نثراً معتمداً على النسخة التى اعتمدها فتزكرالد Fitz Gerald وبين ما راعاه هذا من الاصل فى ترجمته وما لم يراعه ٠

وترجمها الى الفرنسية نثراً المسيو نيقولا Nicolas الذى كان مستخدما فى السفارة الفرنسية فى طهران وقد ترجم هذا كل ما اشتملت عليه النسخة التى طبعت فى بمبى ومن رأيه ان الخيام شاعر صوفى مشغول بالعشق الالهى سكران بالخمرة المقدسة وشبهه بحافظ الشيرازى ٠

وترجمها الى الانكليزية كل من ونفلد Whinfield وهالن Hallen وهرسن Hirison وريشارد لكلين Richard Legallienne لكنهم لم يبلغوا الشأو الذى بلغه فتزكرالد ٠

وقد ترجمها الى الفرنسية المسيو ت ٠ هنرى T. Henry وهو من العلماء المعروفين ومن الذين كتبوا عنه المستشرق الانكليزى الاستاذ العلامة دينسن روس Denison Ross .

وممـــن تتبـــع سيرتـــه المستشرق وفالنتـــين زوكوفسكى Valentin Zhukovski فكتب باللغة الروسية اشياء ترجمها عن دينسن روس •

وبحث المستر براون E. G. Brown استاذ اللغتين العربيـــة والفارسية فى كمبرج بحثاً مفيداً فى فلسفته وسيرته •

وممن بحث فى فلسفته الاستاذ جاكسن Jackson الاميركى •

وبحث المستشرق برتلمي ديربلو Barthelémy d'Herbelot المتوفى سنة ١٦٩٥ م فى كتابه « المكتبة الشرقية » عن الخيام •

وفى سنة ١٨٩٧ كتب البروفسور زوكوفسكى مقالا عن الرباعيـات احدث هزة عنيفة فى الاوساط العلمية فقد برهن زوكوفسكى على ان ٨٢ من ٤٦٤ رباعية وروت فى طبعة نيقولا قـــد تكررت فى دواوين شعراء آخرين ومنها ما تكرر فى غير ديوان واحد لعدة شعراء •

وقد ذهب البروفسور كرستنسن العالم الدانماركى فى « مباحث فى رباعيات عمر الخيام » طبع هايدبرغ ١٩٠٤ الى أبعد من ذلك فأوضح الزيادة الطارئة على الرباعيات وابدى شكوكه حتى فى الشعر الذى تضمنته أقـدم المخطوطات لبعدها من الشاعر نفسه •

* * *

وقد اشتهر الخيام فى الغرب ـ خصوصا بين المتكلمين بالانكليزية ـ بترجمـــة الشاعر الانكليزى الموهـــوب فتز كرالد Fitz Gerald لرباعياته • وقد نشرها فى سنة ١٨٥٩ فافتتن بها الانكليز والامريكان افتتانا عظيما والفضل كله يعـــود فى ظهورها بالانكليزية الى البروفسور كوويل Gowel استاذ العبرية والسنكريتية فى كمبرج •

الرباعيات في اللغة العربية

- ١ -

البستانى

واول من نقل الرباعيات الى العربية نظما الشاعر الرقيق وديع البستانى فترجم اربعين رباعيا من الانكليزية من نظم الشاعر « فيتزكرالد » وهذا لم يترجم الرباعيات بنصها وفصها وانما نظم معانى الخيام واخرجها فى قوالب شعرية هى من نتاج قريحته وفيض شاعريته فجاءت بعيدة عن الاصل ولكن عليها مسحة من شاعرية الخيام . والبستانى بترجمته لها ابعدها عن الاصل اكثر الا ان له فضل الاولية فى لفت انظار العرب الى رباعيات الخيام .

وفى ترجمته رقة وجمال واحساس . واليك نموذجا من ترجمته :

رب رحمـــاك ان اردت الحسابا　　انمـــا قلت مـــا حسبت صـوابا

أفألقي على يـــديك العقـــــابا

بين من صوروا الوجـــود سرابا　　أنا اجلوك فى الكؤوس حبـــابا

أنا شيخ التوحيد بين النـــدامى　　لا اثني ان عـــددوا الاربـابـا

* * *

بت فى حانتي سـمير المـــدام　　وقبيـل انهـزام جنـد الظـلام

هتف الطيف بالنـدامى النيـــام

ايـــها الغافلون هبـــوا قياما　　وارشـفوها وودعـــوا الايــاما

قبل ان تجرعوا كؤوس المنـــايا　　وتعافوا والخمـــر عـزت شرابا

حل عيد النيروز والانس حلا　　　والنسيم الشافي العليل ابلا
وثغور الازهار ترشف طلا
صاح لاحت فى دوحنا يد موسى　　　صاح مرت بالروض انفاس عيسى
عاد فصل الربيع والنفس طابت　　　صاح والعيش والسلافة طابا

* * *

وليالي داود ليست تعود　　　والمغني ولى وولى العود
مع امسي واليوم ازهر عود
فوقه بلبل يغني لورد　　　شفه السقم من غرام ووجد
يا حبيباً فى وجنتيه اصفرار　　　عاشت الخمر لا ذبلت اكتئابا

* * *

ومقامى غصن ظليل بقفر　　　ورغيفان مع زجاجة خمر
كل زادى والاهل ديوان شعرى
وحبيب يهواه قلبى المعنى　　　بشجي يذيبني يتغنى
هكذا اسكن القفار نعيما　　　وارى هذه القصور خرابا

* * *

امس ابصرت جارنا الخزافا　　　يجبل الطين كيف شاء اعتسافا
ويكيل المقدار منه جزافا
وكأني سمعت بين يديه　　　صوت حي يبكي ويدعو عليه
ويك رفقاً فأنت طين وماء　　　لتذوقنه عذابي عذابا

- ٢ -

السباعى

واعقب البستانى السيد محمد السباعى وهذا احد الادباء المصريين فأخرج الى العربية مائة رباعية ورباعية وقد ترجمها ايضاً عن الانكليزية

البعيدة عن الاصل الفارسى وهى من حيث السبك والسلاسة والرقة دون ترجمة البستانى لان فيها من الالفاظ المهجورة والتعابير الثقيلة على الاسماع ما يعافه الذوق ويمجه السمع ولهذا لم تشتهر كاشتهار ترجمة البستانى • وقد صدر الترجمة بهذين البيتين :

غرد الطـــير فنبـه مـــن نعس   وادر كأســـك فالـــوقت خنس
سل سيف الفجر من غمد الدجى   وتعرى الصبح من ثوب الغلس

وهذان البيتان من نظم الشاعر العربى (ابن وكيع) ولهما ثالث وهو قوله :

وانجلى عن حلـــل فضية   نالها من ظلم الليـــل دنس

ولم يشأ السباعى ان يشير الى اسم ابن وكيع تحتهما وانما اغار على قوله فسباه وكان مقضياً عليه اجتناب هذا العاب •

- ٣ -

الهاشمى

واول من نقل الرباعيات الى العربية نظما فى العراق الشاعر صديقنـا الاستاذ الاديب السيد محمد الهاشمى • وقد توليت ترجمتها من الفارسية نثراً وتولى نظمها فى العربية فجاءت الترجمة طبقا للاصل الفارسى وآيـة فى الرقة والسلاسة منها :

يا الهـــى اذا جنيت فـــأثمي   يا الهـــى على شبابى وجسمى
وعلى نفسى الحزينـــة جـــرمى   انا جان رجـوت عفـــواً وصفحا
منك قد غره رضاك فجـــارا

جيئتي فى الدنيا اذى واضطراب   وبقـــائى تحـــير وارتيـــاب

وبقســـر يكـــون مـني ذهاب   اى قصـد من جيئــة وبقـــاء
وذهاب ؟ قد ضلت الالبـــاب
بيـد مصحف وكأس بأخـــرى   تــارة بالحـلال آتى وطـــورا
بحـــرام آتى فأحمـــل وزرا   لست تحت السماء بالكافر الملحـ
ـــد ولا كنت كامل الاسـلام

* * *

يا آلهــي اوعـــدتني بعـــذاب   انا منـــه فى حـــيرة واضطراب
اين قـل يا ربى مكان العـــذاب   حينمـا كنت لا عـــذاب فانّى
هـــو ؟ اذ انتـــم بكل مكان

* * *

- ٤ -

الصافي

وعندى ان اصح الترجمات على الاطلاق هى ترجمة الشاعر العربى الفذ صديقنا احمد الصافى النجفى الذى أرانا المعجز فى ترجمته الجميـــلة الرائعة ولو طلب الى الخيام ـ وهو الشاعر الفحل المتضلع من العربية ـ ان ينقل رباعياته الى العربية لما استطاع ان يعربها كتعريب الصافى ولولا قرابة قوية بين الصافى والخيام فى التفكير والصفات لما قدر الصافى ان يترجم الخيـــام فالصافى خيام العرب ومن يطالع شعر الصافى يجد روحه اكثر شبها بروح الخيام فكأن انفاس الخيام ترددت فى صدره وكأن عبقريته قد انتقلت اليـــه واليك نموذجا من ترجمته الجميلة التى لا مثيل لها :

آلهي قل لي من خلا من خطيئـة   وكيف ترى عاش البرىء من الذنب
اذا كنت تجزي الذنب مني بمثله   فما الفرق ما بيني وبينك يا ربى

جاء من حانتنـــا النـــداء سحـــيرا | يا خليعا قـــد هـــام بالحـــانات
قـــم لكى تملأ الكؤوس مـــداما | قبل ان تمتـــلي كؤوس الحيـــاة

* * *

قم قبل غـــارة الاسى مبكـــرا | وادع بهـــا وردية تجلو الدجى
فلست يا هـــذا الغبي عسجـــدا | حتى توارى فى الثرى وتخـــرجا

* * *

ان ذاك القصر الذى ضم جمشـــ | ـــد وفيـــه تناول الاقـــداحا
ولدت ظبية الفلا خشفهـــا فيـــ | ـــه وامســـى الى ابن آوى مراحـــا
يـــا لبهرام كيف كان يصيـــد الـــ | ـــوحش من قبـــل غدوة ورواحا
فانظر الآن كيف قد صاده القبـــ | ـــر وامســـى لا يستطيع براحـــا

* * *

- ٥ -

الزهاوى

ثم اعقبه الاستاذ الشاعر الفيلسوف جميل صدقى الزهـــاوى فترجم الرباعيات من الاصـــل الفارسى رباعية برباعيـــة نثراً ثم نظما شيئاً بعد شيء واختار منها مائة وثلاثين رباعية .

ومن يطالـــع الترجمة النثريـــة ويطابقهـــا مع الترجمة الشعرية يجد الزهاوى قد تصرف تصرفا شائناً فى النقل واهمل المعنى الذى اراده الخيام ولو اراد الزهاوى الاجادة لاجاد واحسن الا انه ركب مطية العجلة وكان يفخر انه ترجم الرباعيات فى اربعة ايام .

* * *

- ٦ -

احمد رامی

اما فی مصر فاول من نقلهـا عن الفارسية الشاعر احمد رامی وقـد طبعت الترجمة عام ١٩٢٤ ولم اطلع عليها الا عام ١٩٣٠ وقد درستها بامعان فاذا هی دون ترجمة الزهـاوی بكثير وانا ادون رأيی فی كتابی هذا واذا انبری لی من ينكر علیّ ذلك فانی علی استعداد لاظهار عيوب الترجمـــة رباعية فرباعية قبـل نشـر كتابی الذی سيصدر فی الموازنة والمقارنة بين تراجم المترجمين •

- ٧ -

عبد الحق فاضل

وفی سنة ١٩٥٢ نشر الصديق الشاعر الاديب عبدالحق فاضل ترجمة الرباعيات فی كتاب أسماه « ثورة الخيام » فجاءت الترجمة تحمل الصحة والعافية وليس فيها ما يشينها فهی جميلة كجمال أخلاق المترجم حفظـه الله وعبدالحق ممن تفهم الخيام، والذين تفهموا مغزی الرباعيات من العالم العربی أربعة ادباء لا غير وهم الصافی والهاشمی ومصطفی جواد وعبدالحق فاضل أما الآخرون فما تعرفوا للخيام ولا لرباعياته بل اعتدوا عليه سامحهم الله •

- ٨ -

أبو شادی

وكذلك الدكتور أحمد زكی أبو شادی فقد نظـم مـا نثره الاسـتاذ الزهاوی سنة ١٩٢٨ فی ١٣٠ رباعية وطبعها بمطبعة المقتطف سنة ١٩٣١ ، ومن يطالعها يجد ان فيها شيئا من معانی الرباعيات •

- ٩ -

مفرج

ثم تولى الاديب الكبير توفيق مفرج خريج جامعة كولومبيا ترجمة الرباعيات من الانكليزية نثرا الى العربية والترجمة مسجعة مسبوكة جميلة •

* * *

- ١٠ -

الرباعيات في اللغة التركية

واول من ترجم الرباعيات الى اللغة التركية ـ المعلم فيضى ـ المعلم التركى الكبير ولم يترجم اكثر من مئة رباعى •

ثم اعقبه الأديب المعروف ـ مستجابى زاده عصمت ـ فترجم الرباعيات الى اللغة التركية

واعقب هذا الدكتور ـ عبدالله جودت ـ الآديب التركى الشهير وقد اشتهرت ترجمته اكثر من غيرها •

ثم جاء الفيلسوف الشاعر ـ رضا توفيق ـ والّف كتاباً بالاشتراك مع الاديب الايرانى المحقق حسين دانش وهو أنفس كتاب ظهر فى اللغة التركية فى رباعيات الخيام •

ثم انفرد الاديب الايرانى الشهير ـ حسين دانش ـ بالتأليف وحده فترجم الرباعيات الى التركية فاستعان بالالفاظ الفارسية كثيرا •

ونشر الاديب التركى ـ حافظ عبدالقادر ـ الازميرى رسالة صغيرة تضمنت ترجمة مختصرة لعمر الخيام •

وترجم الشاعر التركى ـ رفعت أحمد أربعين رباعية فوفق كثيرا وآخر من نقلها الى التركية الاديب الفاضل ـ حسين رفعت ـ وقد ترجم (١٥٨) رباعية فأجاد كل الاجادة فى النقل وحافظ على روعة الاصل الا انه استعان كثيرا بالالفاظ الفارسية وذلكم النقص الوحيد الذى يؤخذ عليه .

* * *

- ١١ -

الرباعيات في العبرانية

وقد نقلت رباعيات عمر الخيام الى اللغة العبرية وأول من تصدى الى نقلها على ما أعلم صديقنا الشاعر الالمعى الاديب الاستاذ عزرا حداد ثم أعقبه صديقنا المأسوف عليه العالم الفاضل المحامى سليم اسحق فنقل الرباعيات الى العبرية وقد توفى عام ١٩٤٢ وكانت له يد بيضاء علينا وقد أسفنا أشد الاسف لوفاته ولا يفوتنى أن أذكر بأننى لا اعرف رجلا فى العراق أعلم منه باللغات الاوربية والشرقية والفلسفة والتأريخ والتشريع والتصوف رحمه الله وشمله بعفوه وكرمه .

الرباعيـــات

كنا قد نشرنا فى مؤلفنا «عمر الخيام» الطبعة الثانية نص ١٥٤ رباعية مع ترجمتها الى العربية وقد بذلنا قصارى جهدنا للاطلاع على النسخ المطبوعة فى الغرب والشرق فعثرنا على نسخة طبعت فى الهند « كلكته » كما ظفرنا بطبعة حجرية اخرى طبعت فى بومباى فى محرم الحرام سنة ١٢٩٧ هجرية مع رباعيات الشاعر الشهير بابا طاهر ، ثم اطلعنا على نسخة المرحوم الاديب حسين دانش ونسـخة الاديب فروغى ذكاء الملك ونسـخة البروفسور الدكتور فردريخ روزن وبعد فحص ودرس وتدقيق أيقنا ان هذه النسخ الثلاث الاخيرة هى أصح النسخ .

وفى النسخ المطبوعة فى الهند وفى ايران عشرات من الرباعيات قد نسبت الى الخيام وهو ليس بصاحبها بل لغيره من الشعراء . ان رباعيـات الخيام من المشاكل والمعضلات التى لم تحل بعد وان اختلاف النسخ مع تفشى الانتحال لا يبعث الاطمئنان بصحتها وما لم يعثر الباحثون المعنيون برباعياته على نسخة أما كتبت بخط يده أو بخط يد أحد تلاميذه فلا يصح القطع بأن الرباعيات المتداولة بين الناس ناجية من شائبة الانتحال .

نسخة رستم علييف ، ومحمد نورى عثمانوف

تحت اشراف يوكنى برتلس

موسكو ١٩٥٩

وفى أثناء انشغالنا فى طبع الكتاب سافر صديقنا وزميلنا الفاضل الطيّب السريرة الاستاذ كوركيس عوّاد الى موسكو لغرض تدقيق المخطوطـات العربية ، وعند ايابه اتحفنا بهديته التى أشرنا اليها أعلاه ، وهذه النسخة تحتوى على ٢٩٣ رباعية ، وقد نشر العالمان نص الرباعيات من النسـخة المخطوطة وقد طبعت فى موسكو سنة ١٩٥٩ ولدى فحصها فحصا دقيقا مع مقارنتها بالنسخ الموجودة لدينا خاصة النسخة التى نشرها البروفسور اربرى الانكليزى تبين لنا انه لا يسوغ لنا الاعتماد عليها والتوثق من صحتها فهى اولا لا تأريخ فيها ، ثانيا انها مشحونة بأغلاط فى نص الرباعيات وقوافى

الرباعيات ، ثالثا ولم يجر أى تحقيق فى شأنها أى لم يعرف عن أية نسخة نقلت وفى أية مكتبة عثر عليها لذلك فقد صرفنا النظر عنها .

★ ★ ★

نسخة المستشرق البروفسور اربرى
لندن سنة ١٩٤٩

وبعد تحقيق طويل وفحص دقيق رأينا ان أوثق نسخة يعتمد عليها الآن هى النسخة الخطية التى نشرها البروفسور أربرى تحت عنوان « من كلام اسوة الحكماء عمر خيام نيشابورى عليه الرحمة والغفران » وهى تحتوى على « ١٧٢ » رباعية وتبتدىء النسخة برباعية أولها :

باتو بخرابات اكر گويم راز

وتنتهى بالرباعية التى اولها :

پاك از عدم آمديم وناپاك شديم

وكتب فى آخرها اسم ناسخها وتأريخ نسخها كما يأتى : تم الكتاب بعون الله وحسن توفيقه والصلوة والسلام على محمد خاتم النبيين وآله الطيبين الطاهرين وسلم تسليما دائما أبدا كثيرا فى تأريخ سنة ثمان وخمسين وستماءة الهجرية على يد تراب الاقدام محمد القوام الكاتب النيسابورى ... انتهى

فيظهر لنا ان الناسخ محمد القوام قد نسخ الرباعيات بعد وفاة عمر الخيام بنيف وماءة وعشرين عاما الا انه اهمل ذكر النسخة التى نقل منها الرباعيات .

وقد نشرنا فى هذه الطبعة مائتى رباعية وما زال الريب يعترينى من صحة الرباعيات التى نسبت الى الخيام وقد بذلت جهدا غير يسير فى تقريب الترجمة الى الذوق والاسلوب العربيتين والترجمة عمل شاق وعناء كبير وقلما وفق مترجم الى نقل لغة الى اخرى كما ينبغى الا اذا استثنينا عزيزنا الصافى الذى ترجم الرباعيات الفارسية الى العربية والدكتور الفاضل حسين محفوظ واضع كتاب « بين المتنبى وسعدى » فانهما أجادا فنجحا ...

نهاية المطاف

نموذج من نثره الفارسى ـ نموذج من حل المعادلات الجبرية ـ غرام الخيـــام .

نثـر الخيـــام

- ١ -

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الفاضل والحكيم الكامل أبو الفتح عمر ابن الخيام لقـد استدعى منى جماعة من الاخوان بأصفهان فى سنة اثنين وسبعين وأربعمائة ترجمة الخطبة التى أنشأها الشيخ الرئيس على بن سينا قدس سره فأجبتهم الى ذلك وأقول :

پاكا پادشاها ، دادار و ايزد كامگار ـ خداوندى كه آغاز همه چيزها ازوست ، وبازگشت و انجام همه چيزها بدوست ـ وايزد جـل جـلاله جوهر نيست كه بپذيرفتن اضداد متغير گردد ـ بايد دانست كه نه هر جوهرى ضد پذير باشـد چـون ملايك وچـون اجرام سـماوى ، بل چون صوركه صور جوهرند واضداد پذيرند ـ ولـكن اين سـخن خطـابيسـت ، أى مفيـد للتصـديـق الخبـر الجـازم] كه اين بزرگ ميگو يد ـ وايزد جـل جـلاله جوهر نيست كه نشـايد وضعى ويرا وديگر چيزها را بود باشتراك ـ وى زير هيچ جنس نبـود

زیراکه در ذات او تکثر نیست ، نه با اعتبار عقلی که حد ذات او بدو متکثر شود ، چون حد بیاض بلونیة وکیفیة ، ونه نیز بترکیب اجزا چون جسم بماده وصورة ـ واین اسماء ومعانی که بر ایزد اطلاق کنند وبر غیر او چون موجود وواجب اوصافیست لوازم اعتباری که تکثر بدو حاصل نشود چون اکثر اسماء اضافی وسلبی که اگر سبب ذات متکثر شدی لازم آمدی که هر موجودی را اوصاف بسیار بودی نامتناهی واین محال باشد ـ وعرض نیست که وجود جوهر پیش از وجودوی باشد ـ وبکم اش وصف نکنند که تقدیر پذیر شود واو را اجزا باشد ، و نه بکیف تا مانده شود ـ نه بمضاف که ایزد را بوی وصف نشاید کرد ـ مضاف حقیقی است زیرا که همه چیزها را آغاز وانجام ازوست ، و وی را بهمه چیزها اضافتست ـ آن اضافت که بسبب وی تکثر لازم نیاید ـ واین بزرگ چنین میگوید که او از مقولهٔ مضاف نیست وآنکه بدو اضافت نباشد ـ وبکجائی اش وصف نکنند تا محاط باشد ـ وبکیّش باز نبندند ، تا از مدتی به مدتی انتقال کند ـ ونه بنهاد و وضع تاهیئت مختلف بروی در آید وحدودش باشد ، و نه به جدة که چیزی بر وی شامل گردد ـ و این مقولهٔ جدة بنزدیك خواص صناعت چون جامه پوشیدن وسلاح ونعل وخاتم داشتن بودکه بر کل جوهری یا بر بعضی ازوی شامل گردد وبحرکة آن جوهر منتقل گردد ـ واگر بمقولهٔ جدة چیزی خواهند که عام ازین باشد وتکلفی نکنند آن نباید پذیر فتن ـ وبانفعالش وصف نکنند الا ابداع کردن ـ بباید دانست که مذهب حق آنست که همه ایجادها از خداست ، اگر با بداع باشد آن ایجاد یا با حداث ، وابداع ایجاد کردنی باشدکه ابتداء زمانی ندارد ، واحداث ایجاد کردنی باشدکه ابتداء زمانی دارد ـ ولاکن این ابداع بدین فعل که اینجا گفته است ابداع خواسته است

که فیضان او از ذات باریتعالی بود نی واسطهٔ حرکت - وحرکت زمان را بدوراه نیست بلکه زمان از وی بوجود آمده است - و اندر جسمانیات باشد فلك اعلی تا مرکز عالم - وزمان مقدار حرکت اعلی است - وتقدیر کردن آن حرکت بتقدم و تأخر و بودن این اجسام سفلی در تغیر وکون وفساد از جهت حرکات سماویات است - و دهر چون ظرفیست زمان را - وگوئی بر جمله زمان محیط است - ونسبت دهر نسبت ملائکه کنند بزمان واجزاء زمان و زمانیات که ایشان سرمدی اندو متغیر نشوند هرگز - و جای پس از زمان پدید آمده است که حد نهندهٔ او فلك است ، وبیرون از فلك هیچ موجود نیست نه خلاونه ملا - یکی ازان روی که تقدیر و اجزا نپذیرد ، ویکی ازان رو که نظیر و ضد ندارد ، و یکی بذات و نعت وکلمه و عدد - کامگاریست که عدم را بوجود قوی کند - داداری است که قوة را بفعل آرد ، ممکن را واجب گرداند - قوتش نا متناهی است از روی احکام و اتقان وشدة - وبعضی از موجودات را نگاه دارد بمدتی نا متناهی - وبعضی که احتمال بقاء نا متناهی نکند عدة اشخاص نا متناهی بعدد کند - حکمش همه موجودات را بر نیکو ترین نظامی گردانیده ، ورحمتش راه نموده است همه موجودات را سوی یا فتن کمال خویش - ممکن نبود که چیزهاء نامتناهی بعدد موجود گرداند یکبار ، همچنین ممکن نگردد که جسم بی واسطه از ذات ایزد حاصل الوجود گرد - زیراکه جسم مرکبست از ماده و صورت و در ذات ایزد جل وعز هیچ تکثر نیست ، وچیزی که متکثر باشد از واحد موجود نیاید بی واسطه ، اما ملائکه که واجب الوجود گشته اند بوجود ایزد ایشان ممکن الوجود اند در حد نفس خویش ، پس همه متکثر باشند زیر اکه بحسب اعتبار عقل ایشان را دوری باشد متقابل ولاکن در وجود

بسیط اند واحدی الذات ، فایض با بداع از ذات باری عز و جل ـ وجود جواهر روحانی که در زمان ومکان در نیاید صورتها محض اند که با ماده مخالطة وعلاقه ندارند وهیچ معنی در ایشان نیست بلکة همه بسیط اندوسرمدی وبمطالعهٔ ایزد شریف گشته اند ـ ایزد مثال واجب الوجود را در ذات ایشان نهاد بافعال او ظاهر ـ پس هریکی را بوجوب وجود که از ایزد یافته بود واسطهٔ وجود ملکی گشت و افلاك پدید آمد ـ اجسامی خدا پرست و نورانی که اشکال شان فاضلترین اشکال است مدور ، ولون ایشان نیکوترین الوان است منور ، وصورة شان بهترین صورة است که نه نظیر دارد و نه ضد ـ وبباید دانست که هر جسم سماوی که حرکت وضعی کندا او نوعی دیگر است و از نوع جز شخص او نتواند بود ، و کون و فساد نپذیرد ـ وبالاترین افلاك فلك معدل النهار است وفلك البروج که معدل فلك استوا است وتعویج ـ واگر همه ستاره بودی وفلك نبودی بسیاری روشنی علتهاء کون وفساد این عالم را تباه کردی ـ واگرفلك بروج از معدل النهار میل نداشتی احوال همه عالم یکسان بودی و ترتیب ونظام نبودی ـ پاکا خدایا همچنانکه قوة نامتناهی است جودت در دادن وجود هیچ باقی نگذارد ـ وممتنع بود که نامتناهی بیکبار موجود گردد مگر پراگنده ـ پس هیولی را ابداع کردی که اورا قوة پذیر فتن نامتناهی است چون قوة تودر دادن ـ وخداوند انقیادی که بدان منقاد شود فاعل کون را بچیزی که بدان عاصی شود فاعل کون را ـ پس گرمی را نما کننده آفریدی وسردی راگرد آرنده،رطوبت انقیاد را ویبوست عصیان را ـ و ازاین چهار رکن ارکان بیافریدی ، چون آتش و هوا و آب و زمین ـ وگرم ترین را بر جایگاه بر ترین فرود آوردی ازبهر آنکه اگر سردی آنجا بودی گرم گشتی

بحرکت فلك ، و هیچ‌کائنی نماندی که نه تباه شدی از جهت غلبهٔ گرمی بر دیگر عناصر هم بقوت وهم بجایگاه ـ واین سه عنصر بالائی رابی رنگ آفریدی واگر نه شعاع را راه نبودی تا در ایشان بگذشتی ـ بباید دانستن که این سخن مجازی است ازبهر آنکه شعاع را انتقال کردن و در چیزی گذشتن نبود ، ولاکن چون جسم روشن در برابر جسمی روشنی پذیر باشد که میان ایشان جسمی بی رنگ باشد تا جسم روشنی پذیر مستعد روشنی پذیر فتن شود ، وایزد تعال روشنی در وی بیافریند ، و لمیت این سخن عقل بشری در نتواند یافتن ـ وزمین را رنگی دادی میان سپیدی و سیاهی تا روشنی پذیر باشد ـ وچون روشن شد گرم‌گردد ـ وگرمئی غریزی که این گرمی سبب وجود صورتهاء طبعی است ـ عناصر بسیار مرکبات بیافریدی از جماد و معادن ونبات وحیوان ومردم ـ و هریکی را در شرف و خست مرتبتی دادی محدود ـ وغرض در آفرینش این ارکان مردم بود ، و از فضالهٔ او دیگر چیزها بیافریدی تا هیچ چیز از هیچ چیز پذیر نده فائت نشود ، وهمه موجودات بحق خویش رسند ـ بباید دانستن که ایزد عز وعلا را در هیچ چیز غرض بناشد که غرض از عجز و نقصان صاحب غرض باشد و خیر آن غرض با ذات او گردد ، بلکه همه موجودات واجب الوجود اند باضافة باوجود ایزد تعالی ـ وهیچ موجود از دیگری اولی تر نیست بوجود بلکه همه بر صفتی اند از نظام واتقان ونیکوئی وتمامی که ازان بهتر نشایدکه آن نوع بود ـ ولاکن در سلسلهٔ نظام مبدائی که هرچه میان او و میان ایزد جل جلاله واسطه کتر است او شر یفتر است ـ ودر سلسلهٔ نظام معادی هر چند در میان او و میان هیولی واسطه بیشتر است آن شریفتر است ـ پس پدید آمدکه همه موجودات در تمامی ونیکوئی در نوع خویش یکی اند ، و تفاوت در شرف و خست

افتاده است نه آنکه یکی اولی تر است بوجود از دیگری ـ و مردم را روان گویا دادی که اگر آنرا پاکیزه گرداند بعلم حق و عمل خیره مانند ملائکه (گردد) و ثواب عظیم یابد ـ وچون مزاج نوع انسانی معتدل بود واضداد نداشت مانند اجرام سماوی گشت در پذیر فتن نفس ناطقه ـ و چون از ماده مفارقت یافت مانند ملائکه گشت در ادراك معقولات ، ودر بساطت تا بقاء جاویدی او را لازم آمد ـ خداوند ما و آفریدگار ما و خداوند و آفریدگار مبادی تا ترا جوئیم و ترا پرستیم و از تو خواهیم و توکل به تو کنیم که آغاز همه چیزها از توست و باز گشتن همه چیزها بتوست ـ والسلام علی سید الانام محمد وآله البررة الکرام ـ

راجع (کتاب الدراسات الاسلامیة الشرقیة مؤلفه قاضی أحمد میان آکتار) فی لاهور .

نص الخطبة التي ترجمها عمر الخيام الى الفارسية

هـذه خطبـة من انشـاء الشـيخ الرئيس أبى علي بن سـينا

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان الملك الجبار ، الاله القهـار ، لا تدركه الابصـار ، ولا تمثله الافكار ـ لا جوهر فتقبل الاضداد متغير ، ولا عرض فسبق وجود اجوهر ـ لا يوصف بكيف فيشابه ويضاهى ، ولا بكم فيقدر ويجرى ـ ولا بمضاف فيوارى فى وجوده الحاوى ، ولا بأين يحاط به ويحوى ولا ينتهى بمنتهى فتنقل من مدة الى اخرى ـ ولا بوضع يختلف عليه الهيئـآت ويكشـفه الحدود والنهايات ـ ولا بجدّة فيشتمل شامل ولا بانفعال فيغيّر وجـوده عامل ـ ولا بفعل الا ابداعا ، ويرتفع من محل الزمـان ارتفاعا ـ الزمان عنه فى الامكنة الاعلى ، وناحية الجوهر الادنى ـ وفى عند اشتمال الحركة على متقدم ومتأخر و وجود الجسم فى تبدل وتغير ـ والدهر وعآء زمانه ، ونسبة مبدعاته الى اختلاف احيانه ـ والمكان يلى الزمان وجودا ، ويحدّه او ايل علل الزمان تحديدا ـ وأحدٌ لا ينقسم تعديدا ، ولا حـدّا ، واحـدٌ لا يقارن نظيرا ولا ضدا ، واحدٌ ذاتا ونعتا وكلمة وعددا ـ قهّـار للعـدم بالوجود والتحصيل ، جبّارٌ لمـا بالقوّة وبالفعل والتكميل ـ ذى قوة غير متناهية شدة ، وفى المقوّى عليه عدّة ومُدّة ـ وحكمه هيّأت لكل شىء أسباب فعاله ، ورحمته تهدى كل شىء الى خصائص كماله ـ ذات يفيض عنه وجود كل موجود ، وترتب الموجودات عنه بترتيب مقدّر محدود ـ وليس فى طباع الكثرة ان يكون (يوجد) معا ، ولا فى قوة الجسم ان يظهر عنه مبدعا ـ كل مبدع واجب الوجود بوجوده ، ووجوده ممكن فى حـد

نفسه ـ ويظهر عنه وجود جواهر روحانية لا مكانية ولا زمانية ، صور عارية عن المواد ، خالية عن القوة والاستعداد ـ تجلّى لها فأشرقت ، وطالعهـا فتلألأت والقى فى هوياتها مثاله ، فأظهر عنها امثاله ، فكان لكل واحد بماله من الاول وجود ملك ، وبما تخفّق (تخلق ؟) من ذاته وجـود فلك ـ وابدع بتوسُّطهن اجساما ربانيـة يشتمل اكثرها عن اجسـام نورانيـة ـ أشكالها أفضل الاشكال وهو المستدير ، وألوانها أحسن الالوان وهـو المستنير ـ وصورها افضل الصور لبرأتها عن الاضداد ، وامنها من التغير والفساد ـ بين فلك فلكى معدل النهار والبروج فلك الاستواء والتعويج ـ فلو كن افلاكا بلا نيرات دون النجوم لما اختلف الاوقات الفاعلة لنشـو الحيوان والنبات ، ولو كن نيرات بلا افلاك لأزهق اثبات الاضـواء وعلل الكون والفساد ـ ولو لم يكن الفلك المائل عن معدل النهـار ، لاسـتوت الفصول وتشابهت احوال النواحي والأقطار ـ سبحانك سبحانك كنت ذا قوة غير متناهية ـ وجود لا يبقى فى اعطاء الوجود من باقية ـ وكان ممتنعا وجود ما لا يتناهى ان يوجد معا ، وان يوجد الا مفترقا لا مجتمعا ـ فابدعت الهيولى ذات قوة غير متناهية فى الانفعال ، كأنك ذو قوة غير متناهية فى الفعال ـ وعلمت ان الكون والفساد لا يكون الا بجامع ومبد د وذى انقياد والكون والاستقصاء على المفسد ـ فخلقت الحرارة مبددة لذاتها ، والبرودة جامعة فى صفاتها ـ والرطوبة لينقاد بها الاجسـام للتخليق والتشـكيل ، واليبوسة ليتماسك لها على ما افتدت من التقويم والتعديل ـ فخلقت منهـا العناصر الاولى ، واسكنت سخينها المكان الاعلى ـ ولو اسكنت العنصر البارد يسخن بحر الفلك ـ ولـمـا بقى كائن الا ّ هلك ـ لاستيلاء الحرارة على سائر الاركان بالقو ّة والمكان ـ وخلقت العناصر العلى ذات اشفاف بالطباع ، اولا لامتنع عن النفوذ فيها ساطع الشعاع ـ خلقت الارض ذات لون غبراء ، والا ّ لما وقف عليها الضياء الذي هو علة الحرارة الغريزة الفاعلة للتصور

الطبيعة ـ فخلقت منها جمادا ونباتا وحيوانا اشتاتا ـ فتكوّن وفاسد وتولّد وتوالد ـ والغرض المقدم فيها خلقة الانسان ، وخلقت من فضالته سـايـر الاكوان ـ لئلأ يفوت عناصرا حقه ، ولا يقصر من قابل فسخفه ـ وخلقت الانسان ذا نفس ناطقة ان زكّاها بالعلم والعمل ، فقد شابه لها جواهر اوائل العلل ـ واذا اعتدل مزاجه وعدم الاضداد ، فشاكل به السبع الشـداد ـ واذا فارق صور القوابل ، فشاكل بها العلل الاوائل ـ ربّنا ورب سادتنا ، اياك نروم ولك نصلي ونصوم ـ وعليك المعوّل وانت المبدأ الاول ـ نسألك التوفيق والعصمة والتنبيه عن الغفلة ـ وافاضة الهداية ، وكشف الشبهة ـ انك وفيّ ذالك ومبداه وأوله ـ والحمد لوليّه ومستحقه والصلواة عـلى نبيه محمد خير خلقه واصحابه اجمعين ـ

راجع (كتاب الدراسات الشرقية الاسلامية لمؤلفه قاضي أحمد ميـان اكتار) لاهور .

جبر الخيام

وفيما يلى نثبت نموذجا من حل « الخيام » المعادلات التكعيبية هندسيا ، وهى كما يأتى :

م ، ح فى المعادلات الآتية أعدادا موجبة صحيحة

(١) س^{٣} + د^{٢} س = د^{٢} ح

ويقول « الخيام » : ان جذور هذه المعادلة ، هو الاحداثى الافقى لنقطة تقاطع الخطين البيانيين للمعادلتين :

س^{٢} = د ص

ص^{٢} = س (ح − س)

(٢) س^{٣} + م س^{٢} = ح^{٣}

وجذرها هو ، الاحداثى الافقى لنقطة تقاطع الخطين البيانيين للمعادلتين :ـ

س ص = ح^{٢}

ص^{٢} = ح (س + م)

(٣) س^{٣} + م س^{٢} + د^{٢} س = د^{٢} ح

وجذرها هو ، الاحداثى الافقى لنقطة تقاطع الخطين البيانيين للمعادلتين :ـ

ص^{٢} = (س + م) (ح − س)

، س (د $\pm$ ص) = د ح

وهو أيضا من أوائل الذين حاولوا تقسيم المعادلات الى أقسام متنوعة ،

واعتبر المعادلات ذات الدرجة الأولى ، والثانية ، والثالثة ، اما بسيطة ، واما مركبة

فالبسيطة تكون على ستة أشكال كما يأتى :ـ

حـ = س

حـ = س^{۲}

حـ = س^{۳}

م س = س^{۲}

م س = س^{۳}

م س^{۲} = س^{۳}

والمركبة تكون على اثنى عشر شكلا كما يأتى :ـ

س^{۲} + د س = حـ

س^{۲} + حـ = د س

د س + حـ = س^{۲}

س^{۳} + د س^{۲} = حـ س

س^{۳} + حـ س = د س^{۲}

حـ س + د س^{۲} = س^{۳}

س^{۳} + حـ س = هـ

س^{۳} + هـ = حـ س

حـ س + هـ = س^{۳}

س^{۳} + د س^{۲} = هـ

س^{۳} + هـ = د س^{۲}

د س^{۲} + هـ = س^{۳}

والمركبة قد تكون أيضا مركبة من أربعة حدود ، وهي كما يأتي :ـ

$$س^{٣} + د س^{٢} + ح س = هـ$$

$$س^{٣} + د س^{٢} + هـ = ح س$$

$$س^{٣} + د س^{٢} = ح س + هـ$$

$$س^{٣} + ح س = د س^{٢} + هـ$$

$$س^{٣} + هـ = د س^{٢} + ح س$$

وبحث « الخيام » في النظرية المسماة بنظرية « فرما » وقال :

ان مجموع عددين مكعبين لا يمكن أن يكون مكعبا .

ويوجد في كتاب « الخيام » عن الجبر ، قانون لحل المعادلات ذات الدرجة الثانية ، والقانون الذي وضعه يستعمل للمعادلات التي تكون على النمط الآتي :ـ

$$س^{٢} + د س = ح$$

أما القانون فهو :

$$س = \sqrt{\tfrac{١}{٤} د^{٢} + ح} - \tfrac{١}{٢} د .$$

راجع كتاب تراث العرب العلمي في

الفاضل قدري حافظ طوقان عضو المجمع العلمي العربي بدمشق .

غــرام الخيــــام

لم يذكر أحد من المؤرخين الذين دونوا ترجمة الخيام لا في عصره ولا في العصور التي تلي وفاته خبرا عن غرام الخيام ، على انه ليس غريبا ان يقع الخيام في هذا الفخ ولا هذا بالامر المهم فهو انسان كسائر الناس يعتريه ما يعتري المخلوقات من الاناسي والعجماوات ولكن المهم بنظرنا ان نتعرف الى تلك الحسناء التي استولت على مشاعر الحكيم الرياضي الفلكي الطبيب الشاعر واعتقد ان التعرف الى التي اصطادته بشباكها امنية كل من اشتغل بحيـــاة الخيام وأدبه وقد جمعت مقطوعاته بالعربية ودققت النظر فيها فلم اشم منها رائحة تنبيء عن شكوى صبابة ولوعة حب غير انه يوجد « بعض الشيء » في رباعياته وقد يدل ذلك « الغزل » الصريح الصارخ على اثر غرام مس قلب الحكيم فاكثر من صيحاته . وفي رأينا لو ان الخيام كان قد ابتلى كما ابتلى غيره بالحب لتعرض حتما مترجموه الى ذكر ذلك في مؤلفاتهم وبحثوا عن حبه باسهاب ....

وقد انفرد في عصرنا هذا واحد من فضلاء الاتراك هو الدكتور عبدالله جودت بخبر عن غرام الخيام نشره في كتابه « رباعيات خيام » في الصفحة ٢٤ من الطبعة الثانية سنة ١٩٢٦ فقال ما ترجمته :ـ نشر أحمد الخياط « اسم مستعار » في العدد ١٧١ من « الاجتهاد » ابحاثا من مصادر شرقية عن حياة وآثار الخيام فزعم هذا الشخص المتخفي وراء اسم « أحمد الخياط » ان الخيام هام بحب شاعرة اسمها « مهستي » وكانت نديمة السلطان «سنجر» السلجوقي وقد ولدت في مدينة « گنجة » ونشأت في مدينة « نيسابور » ...

وقد أردف الدكتور بحثه برباعية بقينا حائرين في أمرها فهل هي من محصول قريحة الخيام أم انها لمعشوقته مهستي وبعد ان قلبنا جميع ما لدينا من النسخ المطبوعة في الهند وايران وأوربا عثرنا عليها في النسخة الحجرية

المطبوعة فى بومباى فى محرم الحرام سنة ١٢٩٧ هجرية وقد آثرنا نقلها الى هذه الطبعة مع ترجمتها :ـ

خـواهى زفراق در فغـان دارمـرا
خواهى زوصـــال شـادمـان دارمرا
من باتو نگويم كه چـه سان دارمرا
زانسان دل تو خواست چنـان دارمرا

أى : ان شئت فاجعلنى اضج من فراقك أو ان شئت فاجعلنى جذلان بوصالك أنا لا أقول لك بأى طرز تعاملنى ؟! فكما يرغب فؤادك عاملنى

وقد ترجم لها العالم التركى شمس الدين سامى فى كتابه « قاموس الاعلام » ج ٦ ص ٤٥٠١ فقال :ـ مهستى من الشواعر المشـــهورات فى ايران واشتهرت فى حياتها بلقب مهستى أى السيدة الكبيرة وكانت من نديمات السلطان سنجر السلجوقى وانه اراد ذات يوم السفر الى خـــارج نيسابور فدخلت عليه مهستى وتلت رباعية تضمنت أخبار السلطان بأن الصقيع قد فرش الارض بالفضة البيضاء لكى لا تدوس فرسه الارض بل لـكى تطأ بنعلها الذهبى الفضة البيضاء .

قالت :

شـاها فلك اسب سـعادت زين كرد
وز جملهٔ خسروان ترا تعيـين كرد
تـــادر حركت ســـمند زرين نعلت
ننهند بزمين پاى زمـين سيمين كرد

يا مليكى لقد اسرج الفلك حصـان السعادة وخصك وحدك من بين الملوك ولكى لا يمس نعله الذهبى الارض جعل الارض من الفضة البيضاء .

فهـــارس

كتــاب

«عمر الخيام»

تصنيف وترتيب

حكمت توماشى

من أمناء مكتبة المتحف العراقى للجمهورية العراقية فى بغداد

بغـــداد ١٩٦١

فهرس المواضيع

فهرس الاشخاص

- ب -

- ت -

- غ -

- ف -

فهرس البلدان والامكنة والبقاع

ـ أ ـ

ـ ب ـ

ـ ت ـ

ـ ج ـ

فهرس الاقوام والشعوب والجماعات والملل والنحل

« فهرس أسماء الكتب والرسائل والمقالات »

- ز -

- س -

- ش -

— ن —

— و —

فهرس الفهارس

نمـاذج
من ترجمتين جديدتين لرباعيات عمر الخيام
- ١ -
اهازيج الخيام

كنا قد نشرنا للدكتور المؤرخ اللغوى الشهير مصطفى جواد فى الطبعة الثانية من كتابنا « عمر الخيام » نموذجا من نظم الترجمـة المنثورة لرباعيات عمر الخيام وقد أكمل الاستاذ ترجمة الرباعيات التى اتفقنا على اختيارهـا فأبرزها فى حلتها الجميلة وقد آثرنا أن نهدى الى القارىء متعة جديدة بنشر الرباعيات التالية. وقد أضاف الدكتور الى الرباعيات من فيض قريحته فجاءت الرباعيات ترفل فى ثوب الكمال فكان مثله كمثل من أفاض من آلائه على حسناء بعقد جديد زانها بهاء وجمالا .

وقد كتب الدكتور كلمة كمقدمة لنظمه رأينا أن نثبتها فى كتابنا قال حفظه الله :

كان الاستاذ الأديب الكبير الصديق الكريم مؤلف هذا الكتاب قـد أهدى اليّ نسخة منه من الطبعة الاولى ، وفيها ترجمة ما اختاره من رباعيات الخيام ، على حسب ما أدّت اليه قريحته النقّادة ، وقد قرأت الترجمة المنثورة فراقتني وأثارت فيَّ ميلاً شديداً الى صبّها فى قالب نظمي يقيدها بقيـود العروض ، لتكون أقرب الى الايقاع والامتاع ، وكان ذلك حرصاً على جمالها، ورغبة فى زفّها مجلوّة فى معارض النظم ، ومحبوة بكرائم الأعاريض ، فلعلها تزداد الى جمالها كمالاً ، والى بهائها روعة ، وطلبت ذلك الى الصديق الكريم ، فوافق الطلب هوى فى نفسه واستحساناً لذلك الميل قبل تحقيقه ، واستنظمني بادىء ذى بدء عدة رباعيات نشرها فى الطبعة الثانية لهذا الكتاب، وكان نظمى لها على طريقة التسميط السباعيّ الأشطر ، لأني عجزت عن أن أضمّن أربعة أشطار عربيّة معاني الرباعية الفارسية ، واستمررت على النظم حتى أتيت على آخر رباعية اختارها المؤلف الفاضل ، وفي هذه الطبعة الثالثة أراد ــ حفظه الله ــ أن ينشر من نظمي أكثر مما نشر أول مرة ، وهو المقدار الذى تراه تالياً لهذه التقدمة الشارحة ، والشرح المقدّم :

مصطفى جواد

يا بنيّ اسلُكاً بهذا الزمانِ
ما ابتداه قلندر فى الحان :
لا تُرِدِ غير خمرة وأغاني
وحبيب معطّر الأردانِ
فاحمل الكأس يا صبيحُ براحِ
واحمل الدّنّ طافحاً بالراح
وترشّفْ ولا تكُن مهذارا .

* * *

لا تُقِم مأتماً أيا خيّامُ
للخطايا ولا يُخفكَ الملامُ
أيُ جدوى فى الغمّ وهو سقامُ
قلّ أو زاد ليسَ فيه سلامُ
انّ غفران ربّنا للخطايا
لا لنفسٍ تعاف وِرد الدنايا
فتمرّدْ ولا تكن خوّارا

علّمتني شربي الحُميّا سرورا
واعتقدي هجري الهُدى والكُفورا

أنا لا أجمل الخصام عبورا
زادنا البحث والجدال شرورا

لعروس الزمان قلت مشيرا
أي مهر تبغين قالت يسيرا

قلبَك المُزدهَى فخلّ النُّضارا

* * *

انّ ذاك القصر الذي فى التسامي
زاحمتْهُ الأفلاكُ أيَّ زحامِ

وفريقٌ من الملوك العظامِ
سجدُوا عند بابهِ باحترامِ

صدحتْ فوقه الفواخت : «كوكو»
فسَّرته الورى بأين الملوكُ ؟

غادروه وخلّفوهُ اضطرارا

مُذ بدا في السَّماء نجم وبدرُ
ذا جُمانٌ وذاكَ في الشكل دُرُّ
لم يَرَ الناسُ والمفاتنُ كُثْرُ
فيه خيراً ممّا اسمُهُ العذب خَمرُ
عجباً للذين باعُوا الراحا
ما الذي يشترونه استرباحا
وهو خير منها وأسمى اعتبارا ؟

* * *

أنت ختامَ في المساجد تبقى
تسرد الصوم والصلاة وتَشقى
عش ثمولاً ولو بشحذٍ فتلقى
أيُّهاذا الخيامُ للعيش ذوقا
قبلما يجعلون ذي الأبدانا
مرةً أكؤساً ومرّاً دنانا
ومراراً جاماً يفيضُ عُقارا

اغسلوني اذا دهاني القضاءُ
بسُلافٍ لنورها لألاءُ
وبخمر فى الجام ، اني أشاءُ ،
َلقّنوني فذاك حقاً َغناءُ
وبيوم النشور ان تطلبوني
فى ُتراب بحانةٍ تجدوني
فمَعادي فى صحبة الخمر سارا

* * *

كان هذا الكوز الصموتُ مِثالي
مغرماً فى الغُدْوّ والآصالِ
مستهاماً بفرع ذات جمالِ
يتمنّى المُنى بقرب الوصالِ
هذه العروة التي فى الجيد
يد صبّ كانت على التأكيد
َمدّها لاعتناق احدى العذارى

ان أكن شارباً لخمر الدنان
من مجوسٍ عنت لربٍّ ثاني
أنا ذاكم حقيقتي في عياني
كثرت قالة الزمان بشأني
أنا نفسي مليك لنفسي أكون
مثلما أشتهي وتبقى الظنونُ
حائماتٍ حولي تُريد اختبارا

* * *

قُم حبيبي الحيّ وارعَ فؤادي
فزماني باغٍ كثير العوادي
بالجمال البهيّ منك اعتضادي
فيه حلٌّ لمُشكلي المتمادي
هاتِ كوزاً من الشمول انتهازا
قبلما يجعلوننا أكوازا
يشربون السُّلاف فيها مرارا

انَّ ذاك القصـر العتيـق النفيسـا
والمعـاطىُ جمشيد فيه الكؤوسـا
صـار للظبـي مـولـداً مأنوسـا
وبـه الثعلب اطمـأنَّ أنيسـا
ان بهراماً الذي اصطـاد دهراً
حُمُر الوحش كيف قد سـاء أمرا
صاده القبر فاستقاد صَغارا

* * *

لا أُطيـق الحيـاة من غـير خمر
وبجسمي أنوءُ مِن غير سُـكرِ
أنا عبدٌ لِلَحظة ، كُلَّ عُمري ،
غُصَصٌ دونها وأوقات عُسْرِ
حين سـاقي الطِّـلا يقول رفيقـا
هـاك كأسـاً اخرى ولست مُطيقا
لم يدع لي سكري الشَّديد اقتدارا

أمسِ قد بانَ لا تقل كيف بانا
وغدٌ لم يجئ فليسَ زمانا
لا تكن آسفاً على ما كانا
أو يروّعْكَ حادث ما حانا
طِبْ برغم الزمان يا صاح نفساً
وتمتّعْ بكل يومكَ خَلْسا
لا تَدعْ لحظةً تمرُّ خِسارا

* * *

أنا قد طحتُ في شِباكِ الغرامِ
بكِ والشيبُ واضحُ الأعلام
فلذاكِ استغثتُ كأس المُدامِ
أفسدَت عادتي عليَّ مَقامي
في مَتابي الذي به العقلُ جادا
مَزّقتْ لي الأيام بُرداً مُجادا
خاطه الصبر فافتقدتُ اصطبارا

تعدل الكأس ألف قلبٍ ودينِ
وقليلٌ منها عديل الصّين
فهي المرّةُ التي باتفاق
فضلَتْ ألف حلوة في المذاق
ليس في الأرض غيرها من ثمين
ان نظرنا بمستنير اليقين
فاتشفها لتدرك الأسرارا

* * *

انّ هذا الورد النصيع البليلا
قال يوماً لنفسه تعليلا
ليس وجهٌ كمثل وجهي جميلاً
وبعَصْري قاسيتُ ضيماً طويلا
فأجاب الهزارُ يا وردُ دعنا
هل ترى مَن بضِحْكِ يوم تهنّا
ثم لم يَبْكِ بعدَه أعصارا ؟

مفتي الناس خـل عنك الدعـاوى
هـل تظنن اننـا نتسـاوى ؟ !
نحن أهدى وان حنقت الفتـاوى
نحن أصحى ولو نكون نشـاوى
قـد شـربنـا دم العناقيـد سـكرا
وشربت الدماء ظلمـاً وجورا
أينـا سفكه أشـد دمـارا ؟

* * *

قال شـيخ لمومس أنت سـكرى
فى حضون الاخدان صبحاً وظهرا
فأجـابت انى كمـا قلت بهـرا
فحياتى اسـتوت خفـاءاً وجهـرا
لم احـاول اخفـاء حـالي فقـل لي
أنت فى السـر مثلمـا فى التجـلي
أيهـا الشيخ كم تدلي الستارا ؟

- ٢ -

أخيلة الخيام

الاستاذ السيد محمد الهاشمي في مقدمة فضلائنا ومن أصحاب السلائق العالية المتميزين بالخلق الاسلامي وهو أول من عانى ترجمة الرباعيات عن الفارسية في البلاد العربية بعد البستاني ، والاستاذ حفظه الله يرى ان الخيام صوفي النزعة والصفة وان تغزله بالخمر تغزل مجازي وانه يقصد بخمرته « خمرة الحب الالهي » وقد أحجم عن نشر الرباعيات المترجمة مدة طويلة وقد ظفرنا بطائفة من الرباعيات ننشرها في مؤلفنا معتزين بها وبجلالها وجمالها لانطباقها على الاصل انطباقا صحيحا ، ونحن نعد القراء الكرام بأننا سنخرج هذه الترجمة في حلتها الرائعة وسوف نقدم لها مقدمة ثمينة وقد أسمينا هذه الترجمة « بأخيلة الخيام » لتوافق التسمية لذوق الاستاذ .

يا الهي اذا جنيت فاثمي
يا الهي على شبابي وجسمي
وعلى نفسي الحزينة جرمي
انا جان رجوت عفوا وصفحا منك قد غره رضاك فجارا

* * *

جيئتي في الدنيا أذى واضطراب
وبقائي تحير وارتياب
وبقسر يكون مني ذهاب
أي قصد من جيئة وبقاء وذهاب ؟ قد ظلت الألباب

بيد مصحف وكأس باخرى
مرةً بالحلال آتى ومرّا
بحرام آتى فأحمل وزرا
لست تحت السماء بالكافر المطلق ولا كنت كامل الاسلام

* * *

لا تعارض واسلك سبيل السلامة
لا يقيموا جهلا عليك القيامة
واتق الناس لا أذى لا ملامة
واقصد المسجد الذى لا يقيمونك فيه مقلدا واماما

* * *

كم الى كم يسبيك لون وعرف
والى القبح والجمال تخف
أنت ماء وفى التراب تجف
فى انتهاء المدى أكنت عليها ماء سم ؟ أم كنت ماء الحياة

* * *

ما مضت ليلة على غماء
لم تصل انتىّ الى الجوزاء
أو تفيض العينان بحرا بماء
قلت انا غدا سنسقى جميعا أفعمرى الى غد موصول

لا تــدع ســاعة من العمر تمضـى
فى ضيــاع بـدون انـس وخفـض
ان رأس المـال الـذى لك تقضــى
من حطام الدنيا الذى لك، عمر ينقضى عهده بما أنت قاضى

* * *

أزل العشق حينمـا شـاء خلقى
بـى أملى من بدئـه درس عشـقى
درس عشـق أمـلاه امـلاء صـدقى
ومن التبر من قراضة قلبى ضاع منه مفتاح كنز المعانى

* * *

فيـك من قسـوة ولـين قديمـــا
خلــق الله جنـــة وجحيمـــا
وبنـاديـك بهجـــةً ونعيمـــا
لم أكن آثما فطوبى لنفسى حيث مالى الى الجنـــان سبيل

* * *

كــم زمـانـا قضيت تعبد نفســك
بمنــى الفقـر والغنـى تتمسك
خـذ على محنةٍ من العمر كاســك
فجدير بالعمر آخره الموت انقضـاء بالسكر أو بالرقـاد

ان يقـــولوا فى الخـلد حـور وخمر
ومصفـى مـن شـــهدة هـو نهـر
فصحيـح اذن ومـا هـو وزر
ان عبدنا خمرا هنـا وحبيبا فهمـا سوف يعبدان هناكا

* * *

فى فجـاج همنـا وفى فلـوات
ونهضنـــا نسيح كل الجهــات
مـا أتانـا من المقـــابر آتـى
مخبر عما فى المقـابر يجرى انما كل راحـل لا يعـود

* * *

عادتى شـرب الخمر تنفى شـجـونى
ثـم دينى فى تـرك كفـــر ودينى
قـد سـألت الدنيـا العروس اخبرينى
ما الصداق الذى تريدين منى فأجابت فـؤادك الجذلان

* * *

كـوثـر قيـــل مـا هنـاك وخـــلد
ورحيـق صـــاف وشـــهد وقنـــد
فاملأ الآن كـأس خمـــر فنقـــد
بيدى الآن عاجل هو خير لى من الف آجل من ديونى

اشـرب الخمـر تنف عنـك البـلاء
تنس دنيـا وتنس اخرى سـواء
اختر النـار رطبـة حمـراء
فستنسى مـاء الحيـاة اذا صرت ترابـا بـه يزاد التراب

* * *

تعـدل الخمر الف صـاحب ديـن
وربت جرعـة عـلى ملك صينى
ليس أحـلى فى الارض من زرجون
مرة الطعم مرة وهى أحلى من مذاق من ألف روح كريم

* * *

خـالـق من مـاء وطـين برانـا
فرضينـا من دهـرنـا ما دهـانـا
أنـت يا رب دائمـا تنهـانـا
عن مـدام واننـا فقـراء حسبنا الفقـر مانعا من مـدام

مـــذ انارو وجـه الســماء سـنيّـا
زيّنـوا المشـترى بهـــا والثريّـــا
قســمة فى الـكتاب خطت عليّـــــا
هذه قسمتى وهذا نصيبى أى ذنب علىّ بعـد القضـــاء

* * *

اصطبح فالاعشاب تمسـى هشيما
والقـوام الرشـيق لن يسـتقيمـا
فمن العيش فاختلســه نعيمـــا
في حواشي الروض الذى سيلاقى ما نلاقى مما علينا سيجرى

* * *

يـا الهـى وعـــدتنى بعـــذاب
انـا منـه فى حيرة واضطـراب
أين قـل يـا رب مكـان العـــذاب
حيثما كنت لا عـذاب فانى هو ؟ يا كائنـا بكل مكـان

عاطفـة كريمـة

يحدو الضمير وينشد الانصاف ان التراجم شيخها « الصراف »
أدب كأن ابن المقفع صاغه فتمثلت بسطوره الاوصاف
وابن العميد حباه كل صفاته فبعلمه تتهذب الالآف
ومحدث تصغى النفوس لقوله فـاذا تكلم فالحديث سلاف
السحر فى أنغامه والخمر من الفاظه وحديثه تستاف
ترنو المسامع والقلوب لصوته شوقا وقول الآخرين يعاف

* * *

ومعاقر « الخيام » بعض غبوقه لا يستفيق وخمره الارهاف
ومعاصر « الحلاج » فى اشراقه لا يستكين ونهجه الانصاف
ملكت جوانحه فؤادا طائرا أركانه الاخلاق والالطاف
فيه تزار المكرمات وتقتفى وبه لروّاد الكمال مطاف
رمز الوفاء وللوفاء مكانة غنّت بها الاجداد والاسلاف
ضاع الوفاء وغاض فى زمن به السم في العسل الزكى يداف

المحامى : فهد المولى ـ بغداد

لم تنشر هذه المقطوعة الرائعة لصديقنا النبيل المحترم الاستاذ المحامى فهد المولى ابتهاجا وفخرا بالمديح وانما أردنا اثباتها فى مؤلفنا هذا لنبين ان الاستاذ فهد المولى من ذوى السجايا الرفيعة والسلائق العالية • فلا عدمت بغداد من ذى مروءة ووفاء وشرف •

المؤلف

طبع في مطبعة المعارف فى بغداد وقد تم الطبع

فى شهر مارت ١٩٦١